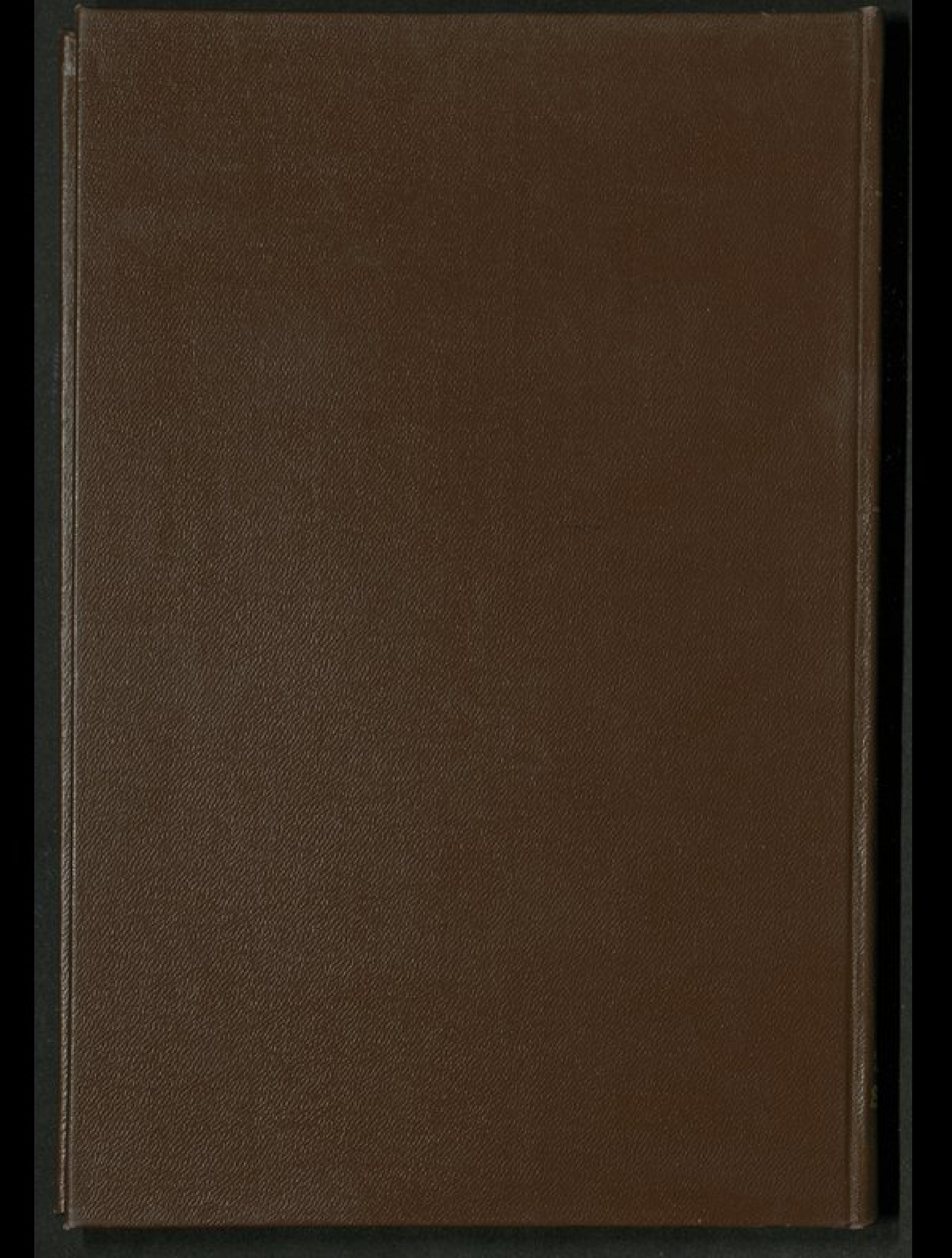


وصايا الله العشر

وصايا الله العشر

وكمالها في شريعة يسوع الملك

محاضرات ألقاها في كاتدرائية الروم الكاثوليك بمصر القاهرة

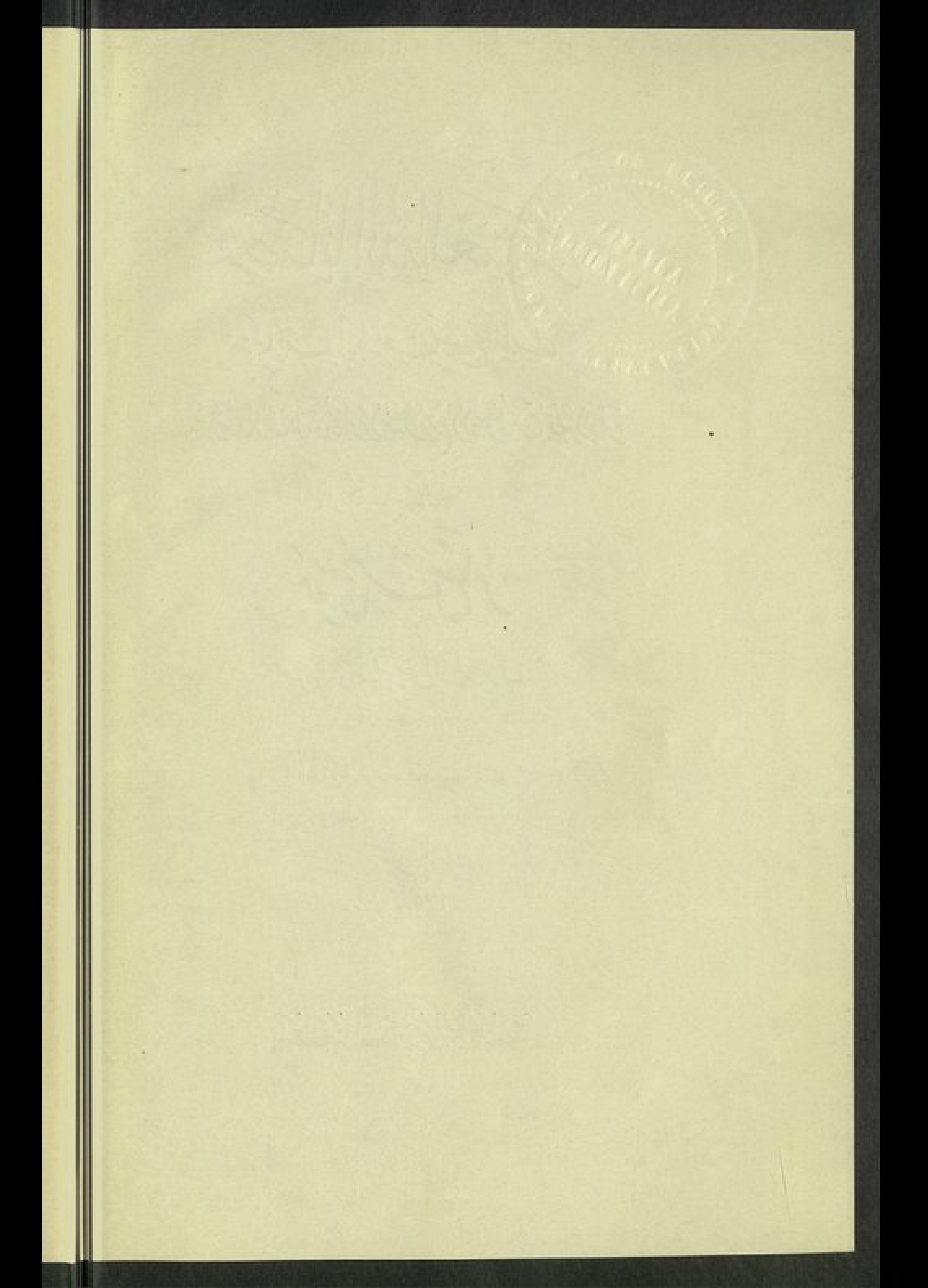
الارشمندريت

ثيوفانس شاهر

من الاكليروس البطريركي

مطبعة القديس بولس في حريصا

سنة ١٩٣٧



بطريركية
انطاكية والاسكندرية واورشليم وسائر المشرق
للروم الكاثوليك

القاهرة في ١٧ فبراير ١٩٣٧

سجل - عدد
١٠ ١٥٥

لحضرة الابن العزيز الارشمندريت ثاوفانوس شار
الجزيل الاحترام

تحية بالرب ودعاء وبركة رسولية

ان وصايا الله العشر هي دستور البشرية الاعلى للتهذيب والخلاص وقد اعلنه عزّ وجلّ اولاً في العهد القديم بين جلال الغمام ومهابة السكون في قمة الجبل ليكون صلة حسية بينه تعالى وبين الانسان واعلنه ثانية في عهد النعمة الجديد بشخص السيد المسيح يسوع الملك الذي شرح ذلك الدستور بحكمته الازلية واوجزه في شريعة المحبة حيث قال « ان الوصية الاولى والعظمى في الناموس هي ان تحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل فكرك ومن كل ذهنك والثانية التي تشبهها ان تحب قريبك مثل نفسك »

وفعلاً ان الوصايا الثلاث الاولى هي محبته تعالى العملية والسبع الوصايا التالية هي مختصرة في محبة القريب فكلاهما متشابهان متلاحمان غير متجزئين من حيث مصدرهما وتسلسلهما من حيث ان الانسان يحب الله لانه هو الخالق ويلتزم حتماً ان يحب قريبه لانه صورة الله كمثاله

ولم يكتفِ السيد المسيح بذلك الشرح البليغ بل انه كان هو المثال العملي الاسمى لتلك المحبة فقد بلغ بها الى اسمى ما تكون درجاتها اذ احب الله اباه بتقديم ذاته ذبيحة على الصليب انتقاماً لعدله المهان واحب البشرية اذ تقدم بديلاً عنها في تلك الذبيحة حتى ليجب القول ان السيد له المجد هو الملك على جميع القلوب في شريعة المحبة وبهذه الشريعة يريد ان يملك

ولقد سبقتم ايها الاب العزيز فاظهرتم في كتابكم « يسوع الملك » معرفة يسوع ملك الدهور في المحبة وبينتم في كتابكم الآخر « الكنيسة عروس يسوع الملك » عمله الخلاصي في الكنيسة التي انشأها على الارض لتملك باسمه ولتكون دلالة لامعة على المحبة العظمى التي بها احبنا في وضعه هذه المؤسسة الالهية

وها انكم وصلتم كتابيكم هذين النفيسين باللحمة الوثيقة التي يتم بها موضوعهما اذ فسرتم في كتابكم الثالث « شريعة موسى وكمالها في شريعة يسوع الملك » دقائق ذلك الدستور الالهي الذي انزله الله في وصاياه العشر مبينين ان هذه الوصايا هي شريعة المحبة الشاملة التي بها يملك المسيح وعروسه على جميع العقول والقلوب

ويقيننا انكم لم تقدموا على وضع هذا الكتاب الا بعد امتلائكم من الحياة الداخلية الروحية وارتشادكم في تفصيل كل وصية بانوار المسيح المثال الاعلى للحياة الكهنوتية العاملة

على ان الموضوع الذي درستموه ليس جديداً ولكنكم جددتموه بل احييتموه باسلوبكم الشائق وعالجتموه بطريقة سهلة واضحة تتناسب مع مقتضيات العصر والاحوال والعقليات المختلفة . وهذا مما يجعلنا نتوسم لمطالعي كتابكم الفوائد العملية الخلاصية

فنثني اجمل الثناء على همتكم ونشاطكم ونأذن لكم بطبع كتابكم هذا لينتشر بين ايدي المؤمنين وينتشر بواسطته الخير الروحي العميم . والله تعالى نسأل ان يجزل لكم مكافأة عبيده الكهنة العاملين داعين بحفظكم وتوفيقكم ومكررين لكم ايها الابن العزيز البركة الرسولية

✠ كيرلس التاسع

محل الختم بطريرك انطاكية والاسكندرية

واورشليم وسائر المشرق



SACRA CONGREGAZIONE ORIENTALE

Prot. N. 852/33

Roma, 29 Dicembre 1933
(Borgo Nuovo, 76)

Rev. do Signore,

Mi è grato partecipare alla S. V. che sono pervenuti a questo S. Dicastero i due libri da Lei inviati e contenenti le Conferenze che Ella ha svolto su i due importanti argomenti « Cristo Re » e « La Chiesa, sposa di Cristo ».

Ringrazio la S. V. per l'omagio fatto, e nello stesso tempo non posso fare a meno di augurarLe che questi libri, siano veramente fecondi di bene, et che la Sua attività culturale, che si esplicherà certamente in altre Conferenze, valga ad illuminare menti erranti e trasfondere in altri il sentimento cristiano.

Gradisca i sensi della mia distinta stima e considerazione, con cui mi confermo

di V. S. R.
devotissimo
L. Card. Sincero, Vescovo di Palestrina
Segretario

G. Cesarini, Assessore

Al Reverendo Signore
D. Teofano Charr
Curia Patriarcale Melchita
Cairo

TRADUCTION CONFORME

SACRÉE CONGRÉGATION ORIENTALE

Prot. N. 852/33

Rome, le 29 Décembre 1933
(Borgo Nuovo, 76)

Révérend Père,

J'ai le plaisir de communiquer à votre paternité que cette S. Congrégation a reçu vos deux livres contenant les Conférences que vous avez données sur les deux sujets importants « Le Christ Roi » et « l'Eglise Epouse du Christ ».

Je remercie Votre Paternité de l'hommage offert, et je ne puis, en même temps, ne pas vous souhaiter que ces livres soient vraiment féconds en bien et que votre activité culturale, qui se déploiera certainement en d'autres conférences, puisse éclairer des esprits errants et transfuser à d'autres le sentiment chrétien qui vous anime.

Veuillez agréer l'expression de mon estime distinguée et de la considération avec laquelle je m'affirme

de Votre Paternité Rév.
le très dévoué

(signé) : *L. Card. Sincero, Evêque de Palestrina, Secrétaire*

(signé) : *G. Cesarini, Assesseur*

Au Révérend Père Théofane Charr
Patriarcat Melkite
Le Caire

كلمة عن الجزئين السابقين

يسوع الملك - الكنيسة عروس يسوع الملك

لحضرة الاب نقولا ابي هنا المخلصي المحترم

هما كتابان كتابان ! ولعلك تستغرب هذا الوصف ايها القارئ !

رويدك ! انك اذا استقريت الرجال، تراهم اشباهاً متماثلين في الصورة، واذا خبرتهم واحداً واحداً، ترجع الى نفسك وتقول ما أقلّ الرجال في هؤلاء !

واذا تبيّن لك احدهم واسع المدارك، عاليَ المزايا، ناهض الهمم، كبير النفس، صباراً على الشدائد والاهوال، فلا أظنك الا تختصر في وصفه وتقول : هذا هو رجلٌ رجل

وإني لأستقري وقد استقريت كثيراً من هذه الاوراق المجموعة ضمن ورقةٍ صفيقةٍ او جلدٍ مما نطلق عليه اسم كتاب ولا أكتمك ايها القارئ العزيز انني أجدُ اكثرها لا يحقّ له اسم كتاب الّا لانه صفحات مجموعة على نمط معروف كما ان كثيراً من الناس لا يطلق عليهم اسم رجال الّا لجامع الصورة البارزة اي لأنهم ابناء آدم

اما الكتابان اللذان اصفهما لك فهما خليقان بان يُنظما ما بين اجلّ الكتب صورةً ومبنًى ومعنًى . ولهذا قلت انهما كتابان كتابان وهو تعبير سبقني اليه كثير من اقطاب الكتّاب

والشعراء . قال ابو تمام راثياً :

بطشت منهمُ بلؤلؤة الغوّاص حسناً ودميةِ المحرابِ
بالصريح الصريح والأروع الأر وع منهمْ وباللُّبابِ اللبابِ

وقفتُ على ذينكَ الكتابين « وقوفَ شحيحٍ ضاعَ في التُّرب خاتمهْ » فاذا انا امام عنوانين عظيمين « يسوع الملك » « الكنيسة عروس يسوع الملك »

شعارانِ فخمان ذانك العنوانان ! انهما يستوقفان البصائر والأبصار ممن لهم بصيرةٌ وبَصَر

اعجبني كلٌّ من العنوانين بل كلٌّ من الشعارَين . فقلت في نفسي : لئن كان الكتاب يدلُّ عليه عنوانه ولئن كان داخل البيت بحسب شعاره ليكونَنَّ هذان الكتابان من اجمل ما بنته العقول وافخم ما انتجته القرائح واحسن ما ترتاح اليه النفوس . فلأدخل اليهما ، ولأرَ سريرتهما ، ولأملأ نظري وقلبي من زينتهما

ودخلت اولاً الى قصر « يسوع الملك » وانت تعلم ايها القارئ ان يسوع هو بعُرف مئات الملايين من البشر ، إلهُ انسان ، يدينون له ويعبدونه ويخرُّون لاسمه ركّعاً وسجوداً ويقولون « ان الله اعطاه اسماً يفوق كل اسمٍ لكي تجثو لاسم يسوع كلُّ ركبة في السماء وعلى الارض وتحت الثرى »

وانت تعلم ايضاً انَّ مئات الملايين من غير المسيحيين ، يجلّون يسوع كنبيٍّ عظيم ان لم يعترفوا به إلهاً . كما انَّ فريقاً كبيراً من البشر بل ملايين لا تحصى ، يرونه اعظم نابغة في الدنيا اذا لم

يقدّسوه الهاً ولم يقرّوا به نبياً

اذن يسوع هو موضوع تجلّة في البشريّة جمعاء لا يستثنى منها سوى عددٍ قليل يكرهون يسوع كما يكره الارمدُ نور الشمس او كما يكره المجرم الاثيم القاضيَ العدل لخوفه من سلطان قضائه العادل

فالاهتمام بيسوع الملك، والدخول الى قصره الفخم او قراءةُ كتابٍ يبحث عنه وعن عمله وكل ما له علاقة به، كل ذلك عظيمٌ ولذيذ ومفيد

وأول ما استوقف نظري من ذلك القصر رتاجه الكبير والرسوم الأنيقة الحيَّة المحيطة به أُريد مقدّمة ذلك الكتاب فقد رأيت ان المهندس البارع قد لخَّص في تلك الرسوم ما يتضمَّن القصر من طُرَفٍ وتحفٍ

فلقد رسم هناك الحياة الابديّة رسماً نقله عن المصوّر الاول « يسوع الملك » نفسه اذ قال مخاطباً لله ابيه « وهذه هي الحياة الابدية ان يعرفوك انت الاله الحقيقي والذي ارسلته يسوع المسيح » مبيّناً « ان السعادة هي في معرفة الله وكمالاته وفي معرفة ابنه الالهي مخلّص العالم »

مخلّص العالم!

كلمة عظيمة وان قلّت لفظاً، وجليلة الفحوى وان ظهرت مبتذَلة، فهي تقتضي بياناً واسعاً وشرحاً وافياً يحقّ حقيقتها ويردّ عنها شُبَهَ المشتبهين وسهام الجاحدين

فهل صحيحٌ ان يسوع هو ابن الله المتأنس وملك الدهور كلها وهو هو امس واليوم والى منتهى الدهر وانـه الاوّل والآخر والذي وعد الله به منذ خطئ آدم والذي ظهر بكامل الصفات الالهية والانسانيّة والذي يأتي في آخر الازمان ليـدين الاحياء والاموات ؟

هل صحيح ان يسوع هو مخلص العالم وانه جاء الى الارض محققاً نبوءات الانبياء عنه وقد علّم الناس تعاليمه الالهية وجعل نفسه قدوة لهم واخبر انه هو الله وابن الله مؤيّداً قوله هـذا بافعال الهية اي بآيات وعجائب ونبوءات كما انه اتمّ افعالاً بشريّة برهنت على انه انسان جامع بين الطبيعة الالهية والطبيعة البشرية في اقنوم ابن الله المتأنس ؟ هل كل ذلك صحيح ؟

محمولٌ جلَل لموضوع جلل . إسنادٌ عظيم الى ذاتٍ اذا صحّ ما يسند اليها فهي اعظم الذوات على الاطلاق

هذه هي الطُرَف والتحف التي ينظمها في داخل قصر «يسوع الملك» المهندس لذلك القصر الفخم او المؤلف لذلك الكتاب الجليل حضرة الارشمندريت ثاوفانوس شار . فهلمّ نستجلي تلك البدائع وننظر مكان خُبرها من خَبرها

الغرض الاسمى الذي يرمي اليه حضرة الاب المؤلف، ان يعرّف يسوع الى الناس محقّقاً لهم أنّه هو الفرد الذي وصفه في مقدّمته بأنه إله انسان وانّه مخلّص العالم الى آخر تلك الصفات الجلّى التي اسندها اليه . لذلك لم يكن له بُدٌّ من ان يستند

اوّلاً الى تاريخ يسوع نفسه اي الى الاناجيل . انـه كمهندس بارع رسم لبنائه تخطيطاً كاملاً وحـين شرع به أسس تأسيساً مكيناً وطيداً لتحمل قوّة الأساس عالي البنيان

فسحة الزمان بين عصرنا وعصر كتابة الاناجيل بعيدة المدى فمن البديهيّ ان يتصدّى كثيرون في ايامنا لأن يرموها بالتزييف والتحريف والتصحيف كما تصدّى لها اقوام في العصور الخالية . فكان من همّ المؤلف ان يعقد فصولاً شائقة بيّن فيها بالحجج اللامعة والبراهين الدامغة صحّة الاناجيل وسلامتها من كل مـا يرميها به المرجفون . وقـد استمدّ بيّناته من اولياء الاناجيل انفسهم أوّلاً اي من الكنيسة جامعـة المؤمنين بيسوع ومن المؤمنين انفسهم منذ صدر النصرانية على تفاوت لغاتهم وبلادهم . فهناك العلماء الاثبات والكتّاب الكنسيّون المتصلون بعهد الرسل، وهناك النَقلة والمترجمون، وهناك الملوك المسيحيّون، وهنـاك المؤمنون عامّة، وهناك رئاسة الكنيسة العُليا والدنيا، كلّ ذلك سياج قويّ بل حصن حصين لهذه الكتب دون عبث العابثين وتحريف المحرّفين

ثمّ تطرّق حضرة المؤلف الى تناول البيّنات عـلى سلامة الاناجيل، من اعداء الاناجيل انفسهم . ولا عجب فالفضل مـا شهدت به الاعداء . فهناك اليهود المذكورون في الاناجيل بكلّ ظلم وغلاظـة ومكر ورياء يقرأ علماؤهم وكتّابهم ذلك ولا يستطيعون ان يزيّفوا شهادةً من اقوال الاناجيل ولا ان ينكروا

ما رُسم فيها من تاريخ اجدادهم بحقٍّ صراح. وهناك المبتدعون والجاحدون، وهناك الوثنيّون، وهناك ثلّة من الناقمين على المسيح وعلى اناجيله. كلّ هؤلاء صمدوا لحرب الاناجيل. فلمّا نزلوا الى المعمعة إذا بسيوفهم نابيةً عن مضاربها، وقسيّهم متكسرة في ايديهم، واذا باقدامهم في المعترك قد زلزلها الجبن والخوَر، فنكصت الى الوراء بخزيها، وهي ترى الغنيمة في الهزيمة. لان الاناجيل في عصمة وحصن أشمّ منيع تتحطّم عليه كلّ قوى المناوئين

كشف لنا حضرة المهندس البارع عن قوّة الاساس لذلك القصر ثمّ انتقل بنا الى باحة البناء واطلعنا على التخطيط اللبق الذي رسمه فكره الثاقب فبيّن استعداد العالم قبل المسيح لمجيء المخلص الفادي، وعُنيَ بحسر اللثام عن سرّ تأخره في قدومه وما اجمل ما قال حضرته في هذا العَرْض :

« وهو (اي الله) بدلَ ان يُطلع علينا شمسه دفعةً واحدة كلّ يوم، يجعل الفجر بشيرًا بها يمزّق امامها ستر الظلام، ويذهب الأفق فتنتشر في الفضاء اشعةً ضئيلة من الضياء ثمّ تتجلّى شيئاً فشيئاً الى ان ترتفع ملكة النهار بقرصها الذهبيّ وتضيء بنورها الوهّاج الآفاق ناشرةً في العالم بهجة النور والحياة. وهكذا يجعل في نواة البلّوطة كل جوهر السنديانة فتنمو صغيرة وتتأصل جرثومتها وتتفتّح براعمها وتنمو ساقها وترتفع في الفضاء وتطلع اوراقها وتمتدّ اغصانها وتصبحُ الدّوحةَ العظيمةَ التي تهزأ بالعواصف »

ثمَّ صعد بنا الى مرتَباٍ عالٍ جعلنا نشارف الممالك القديمة ونرى كيف رسم الله هندستهُ العظمى لما أراد بنيانه من جلائل اعماله اي من تصريف مشيئته في تلك الممالك بان جعلها متفرّقة النزعات والمطامع والمِلَل والنِحَل متطاحنة في حروب هائلة حتى دال بعضها في أثر بعض وقامت على انقاضها مملكة واحدة جمعت الامم والشعوب والقبائل الى عصمتها فبسطت عليهم سيطرتها ومهَّدت في المعمور كله سُبُل المواصلات ونشرت لغتها في الاقطار تزاحم لغات الأرض قاطبةً، فأصبح ميسوراً أمر الانتفاع بوسائل الخلاص التي ارادها الله لتيسُّر نشر التعاليم الانجيلية . وكلّ هذه التقلُّبات تقدَّم النبي دانيال فتنبَّأ عليها نبوءات جليَّةً وانّ ابن البشر اي المسيح «يؤتى سلطاناً ومجداً ومُلكاً فجميع الشعوب والامم والألسنة يعبدونه وسلطانه سلطان أبدي لا يزول وملكه لا ينقرض» . وقد تبسَّط المؤلف في شرح ذلك بما لا يبقى معه مساغٌ للريب مثبِتاً كلامه بالشواهد القويّة من التاريخ الصحيح واقوال مفسّري الكتاب المقدَّس حتى من علماء اليهود الذين فسَّروا نبوءة دانيال بما يفسرها علماء المسيحيين

ثمَّ لم يعتِم ان ارانا ضرورة مجيء المخلِّص فاسترسل في بيان دعوة الشعب الاسرائيلي وانّ الله اختاره ليُهيّئ منه وفيه ولادة الإله الانسان . كما استرسل ايضاً في بيان الحالة الادبيّة على الأرض قبل المسيح تلك الحالة التي عمه البشر في تيه ظلماتها وغرقوا في طوفان شرورها، بحيث صارت الدنيا هيكلاً واسعاً لا يعبد فيه

غير الاثم والفجور، ودولةً لا يسود فيها الّا الأنانيـة والمطامع والظلم والارهاق والاستعباد والاستبداد وكلّ نوع من الموبقات، حتى شعبُ الله المختار ترجّح في ارجوحة الاباطيـل واخذه في طريقه تيار المآثم ولم يكن الله يُقيله عثاره الا اذا رجع الى نفسه وعرف خطيئته امام القدير. لذلك كانت البشريّة قد بلغت منها الحاجة القصوى الى مجيء المخلِّص فهتفت بلسان اشعيا : « ليتك تشقّ السماء وتنزل ... اقطري ايتها السماوات من فوق ولتمطر الغيوم الصدّيق »

وتلطّف المهندس ففتح لنا عقيب تلك المشاهد الرائعة غُرَف قصرهِ وأبهاءه ليطلعنا على ما ضمنها من جلائل الاسرار ونفائس التُّحف. فأرانا في بهو فخم لاهوت المسيح وناسوته، مبيّناً بالقول الفصل والدليل المُقنع تلك العقيدة اللازمة الملزمة. ثمّ وقف بنا على بيت لحم حيث شهدنا ميلاد الطفل الالهي وما صحبه من الخوارق وسمعنا الموسيقى السماويّة تصدح فوق المذود الحقير العظيم ان « المجد لله في العلى وعلى الارض السلام وفي الناس المسرّة »

نَعمت بصيرتنا وبصرنا بهذا المشهد الفتّان وبآية الدهر بل اعجوبة الله في حبّه. رأينا المغارة التي تنافس قصور الدنيا، والاطمار البالية التي هي اثمن من حُلل الملوك الموشّاة بالذهب والمرصّعة بافخر الجواهر. شاهدنا قوّة الله العظيمة في احقر ضعفٍ بشري وشاهدنا احقر الضعف البشري في اعظم مظهر من قوّة الله. رأينا الإله الانسان

ثمّ سرنا الى غرفة تمثّلت فيها حياة يسوع الخفيّة وهو ممتهن لحرفة النجارة قد نصب نفسه قدوةً للعمل والنشاط وسلوةً وعزاء للعاملين الفقراء . والى جانبها بهو رحيب جلس يسوع في صدره على منبر التعليم يلقي من الدروس على البشريّة ما لم يَجُل في خواطر الفلاسفة واركان الدنيا . وعلى كثَبٍ شهدنا يسوع يسير في ارض الجليل واليهوديّة وفي تخوم صور وصيداء وهو ينثر عجائب الوهيته فيقوّم العُرج ويقيمُ الكسحاء والمقعدين، يفتّح آذان الصمّ وعيون العميان، يشفي المرضى وذوي العاهات ويحيي الموتى بكلمته القادرة . ورأينا يسوع في بهو آخر وهو في موقف النبوءة عما سيعرض له وللمدينة المقدّسة ولليهود الذين تكبّروا وكابروا وقاوموا نعمة الله واتصلوا فيما بعد الى ان يجحدوا الصديق الذي أمطرته غيوم رحمة الله وان يعذّبوه ويصلبوه

وبلغ بنا المهندس الى بهوين جثونا فيهما خشّعاً امام قداسة يسوع وأمام الوهية يسوع رب السماء والارض . ثمّ طفنا حتى شهدنا يسوع وهو يشارف الدنيا وينـادي امم الارض وقبائلها ليحبّوه . واذا بالناس يلبّونه من كل صوب، وقد اخذ حبّه بمجامع افئدتهم فنبذوا كلّ ماتعدهم به الدنيا من اباطيل ليترسّموا آثاره ويكونوا في ظلاله ويسكنوا في ديار قدسه . فهنـاك الرسل والنسّاك والشهداء والرهبان والراهبات والمؤمنون والمؤمنات من كل أمة ولسان يحملون نيره الطيب وحملـه الخفيف . أجل ان يسوع هو محبوب ومعبود مئات الملايين من البشر . قصد القياصرة

الرومانيّون ان تقف قوّتهم ونكالهم واسلحتهم اسداداً في سبيل ذلك الحبّ فعجزت اسودهم وسيوفهم ونيرانهم وكلّ ما اخترع كيدهم من عذاب عن الحؤول بين يسوع ومحبّيه . بل دالت دولهم وخوت على عروشها وقامت على انقاضها دولة حبّ يسوع تنشر الرحمة والحقّ والعدل في كل مكان يرفّ عليه علمها الأسمى . وثارت ثعابين الشرّ والفساد من رسل الزندقة والإلحاد تنفث سمّها الذُّعاف لتقتل في القلوب حبَّ يسوع فكان ان تلك الثعابين سحقت وعاد سمّها عليها وبقي حبّ يسوع ينمو في القلوب والنفوس على كرّ الاجيال والعصور جاذباً اليه الامم والشعوب من اقطار الدنيا الاربعة

ونقف على اثر ذلك تجاه مشهدين يتصدّع القلب لاحدهما حسرةً ولهفاً ويبتهج بثانيهما غبطةً وجذلاً . ننظر في الاول يسوع يعرق دماً من تصوّر خطايا البشر اجمعين وخيال آلامه التي سترهقه عذاباً حتى يكون كفّارةً وازكى القرابين . ها انه ينزع في بستان الزيتون، يخونه ألصق الناس بهِ، يساق الى المحاكمة، يحكم عليه، يلطَم، يكلّل بالشوك، يلبَس برفيراً كاذباً، يوضع في يده قصبة عوض الصولجان، يُجلَد بالمقارع، يئن رازحاً تحت صليبه، يواكبه الاسقاط والرعاع والكبار والصغار بهزء وتعيير الى حيث صلبوه بين لصين الى ان قال : قد تمّ وأسلم الروح . وهناك في تلك الساعة الرهيبة تستنكر الطبيعة جحود البشر للاحسان فهي تتألم لآلام خالقها : الارض تتزلزل، والشمس تظلم، والصخور

تتشقق، وحجاب الهيكل يتصدّع، والموتى تهبّ من ارماسها لتشهد ربّها وربّ الطبيعة كلّها متألماً ميتاً لخلاص الانسان

وننظر في الموقف الآخر شبل يهوذا هبّ من رقدة الموت ظافراً قد انشقّت صدفة الضريح عن جوهرة الحياة . ويطلعنا المهندس البارع على سوابق اسرار القيامة ولواحقها، على ادلّتها وبراهينها وعلى النور الذي تفجّر من جانب القبر المقدّس فأنار العالم بالفضائل والآداب والمحبة والعفاف والكفر بالنفس، وسيادة روح السلام وما افرغه في القلوب من الرحمة والعطف لمسح دموع الباكين وتعزية الحزان والرأفة بالمرضى والعجز ونشر الفضائل الراهنة والمدنيّة الصحيحة

ويفتح لنا حضرة المهندس بهوين آخرين أرانا في احدهما الضحيّة السامية سرّ الاسرار واعجوبة الاعاجيب . يرينا يسوع وهو لم يكتفِ بكل ما بذله في سبيل الانسان وخلاصه حتى بذل جسده الاطهر غذاء حقيقياً ودمه الازكى مشرباً حقيقياً ولم يترك حضرة المؤلف بيّنة على صحّة هذا السرّ الالهي وحقيقته من الاناجيل المقدسة والآثار المسيحية على توالي العصور إلّا أتى بها لاثبات العقيدة السامية ووجوب الاغتذاء بالزاد الالهي الكريم مبيناً مفاعيله العظيمة في تقديس النفوس التي تتناوله بما يحقّ له من التقوى والورع والايمان والتهيّب والمحبة

وأرانا في البهو الآخر حياة يسوع كاملة وأنه هو قائدنا الاعلى ومثالنا الاسمى وانه هو الطريق والحقّ والحياة، على سمته

يجب ان نسير، وبحقه يلزم ان نتمسك، وبحياته يجب على كل مسيحيٍ ان يحيا

فصَّل حضرة المؤلف هذا الاجمال بكلّ دقائقه وتبسَّط في شرح اجزائه بما شاء علمه وتقاه بياناً يُثلج الصدور ويملأ النفس ثقةً وايماناً ومحبّةً وسلاماً ونعيماً . واذا به يتجه امامنا الى آخر أبهاء القصر العظيم واذا بنا أمام مشهدٍ تتهاوى لديه التيجان إجلالاً وتخرّ القياصرة وملوك الارض وترى ذلّها هناك مجداً وفخراً وكمالاً . هنالك رأينا ملوك الارض وامراءها واحبارها وشعوبها تزخر كالبحر من كل جهةٍ وصوب ومن كل أمة ولسان وقد جثت أمام يسوع، ويسوع جالس على عرشه الانور، مكللاً بتاج الكرامة، لابساً برفير المجد والجلال، قابضاً على صولجان العزّة والسلطان . هو يسوع الملك !

اجل انه ملك لكنه ملك السلام، ملك الرحمة، ملك العدل . هو خالق البرايا فحقّ له ان يكون مليكها . لم يتناول ملكه بالقهر والظلم بل بالشرع والحق . برحمته للعالمين، بتواضعه في ميلاده وحياته، بتعاليمه وآياته وعجائبه، بآلامه وصلبه وموته لفداء خلقه، بقيامته المجيدة . هو يسوع الملك تتضاءل امامه الملوك وتدول الممالك دون دولته . لقد اعطاه الرب الاله عرش داود ابيه، فيملك على آل يعقوب الى الابد ولا يكون لملكه انقضاء

المقدمة

إنّ الله جلّ جلاله الكائن بالذات وينبوع كل الخيرات، مصدر الفهم والقدرة والجمال ومعدن الحقّ والخير والكمال، الازليّ السرمديّ اراد جلّت حكمته بفضل جوده وسخائه أن يمتّع الخليقة الناطقة بخيراته ويشركها في سعادته. فبعد أن خلق الملائكة، برأ الكون بما فيه من جماد ونبات وحيوان. ثمّ نصّب آدم ملكاً عليه في جنّة الفردوس ليكون لسان حال الخليقة غير الناطقة في تسبيح الله وتمجيده

وقد قرّرت حكمة الله ان لا تُعطى السعادة الا عن طريق الامتحان والجهاد على نحو ما قال القديس بولس « لا احد ينال الإكليل ما لم يُجاهد جهاداً شرعياً » (٢ تيمو ٢ : ٥) فوهب للانسان عقلاً يعرفه به، وحرية يختارهُ بها لنفسه فوق كل خير موجود، ليكون له بنعمة الله حق التمتع بالمكافأة التي أعدّها له

لذلك سمح بأن يُمتحن الملاك قبل ان يثبت في نعيم السماء كما جُرّب الانسان في الفردوس الارضي. ولكي يُساعد الله الانسان على معرفة الحقّ واختيار الخير سنّ له شرائع ووصايا تُساعده على اتباع الطريق المؤدّية الى الخلاص الابديّ. وزانه بنعمته وصداقته الفائقة الطبيعة تمهيداً للسبيل الى تلك السعادة

الموعود بها ولكن آدم سقط وفقد نعمة الله الا انه لم يفقد الفهم الكافي ليدرك الحقائق والواجبات الضرورية للخلاص، وقد نقشها الله على صفحات قلبه، فكانت شرائع طبيعيَّة لآدم وذرّيته الى منتهى الاجيال . وتناقل البنون خلفاً عن سلف هـذه الوصايا الطبيعية حتى في اشد عصور الضلال، كما تشهد الآثار الباقية حتى الآن في ما سمّوه شريعة حمورابي المنقوشة على عمود حجريّ . وحمورابي هذا قد سبق موسى النبي بكثير وكان من عهد ابراهيم أبي المؤمنين، وهذه الآثار تذكرنا وصايا الله

الا ان ذلك لم يمنع الناس بدافع طبيعتهم الساقطة ان يتناسوا هذه الشريعة الطبيعية ويبتعدوا عن معرفة الخالق وعن ممارسة واجباتهم . فاختار الله لنفسه شعباً خاصاً عهد اليه ان يحافظ على معرفة الإله الحقيقي ويستعد لمجيء المخلص، فأعطاه الوصايا العشر في طور سيناء بين البروق والرعود، ونقشها له على لوحين حجريين رمزاً الى وجوب رسوخها في القلوب والاذهان والمحافظة عليهـا قولاً وفعلاً

ولما حلّ ملء الزمان لخلاص العالم، أرسل الله ابنه الوحيد فكمّل الشريعة الطبيعيَّة والموسويَّة بشريعة جديدة جعلها أساس ديانته وهي المحبة . وعلّم ان الله هو أبو الرحمة والرأفة، واراد ان ندعوه أبانا . ولخص الوصايا في وصيَّتين : اي محبـة الله ومحبة القريب . وقال : «من يحبّني يحفظ وصاياي» (يوحنا ١٤ : ٢١) وسمى ذلك وصيَّة جديدة وصية المحبة . وقال : « بهذا يعرف

الجميع انكم تلاميذي ان كنتم تحبّون بعضكم بعضاً » (يوحنا ١٣ : ٣٥) وقد أراد ان نحبّ القريب محبّتنا لنفسنا : « فكل ما تُريدون أن يفعل الناس بكم فافعلوه انتم بهم » (متى ٧:١٢). لا بل زاد على ذلك ان جعل القريب ممثلاً لشخصه بقوله: « كل ما فعلتم باحد اخوتي هؤلاء الصغار في فعلتموه » (متى ٢٥:٤٠). وربط طبقات البشريّة بروابط العطف والتواضع والتضحية وقهر النفس، فاراد ان يخدم الكبير الصغير وقال : « من اراد ان يكون فيكم كبيراً فليكن لكم خادماً . ومن اراد ان يكون فيكم اول فليكن عبداً للجميع » (متى ٢٠:٢٦-٢٧) . واظهر صعوبة الخلاص على الاغنياء ما لم يمارسوا افعال الرحمة، فقال : « ما أعسر على ذوي الاموال ان يدخلوا ملكوت الله » (لوقا ١٨ : ٢٤) . وعلّم الانسان الكُفر بالذات وقَهر الاهواء والصبر على شدائد الحياة قائلاً : « من اراد أن يخلّص نفسه يهلكها » (لوقا ٩:٢٤) « ومن يصبر الى المُنتهى يخلص » (متى ٢٤:١٣) . ولما كانت الديانة المسيحية ديانة روحية إلهيّة طلب منا ان ندعو حتى مَن كان عدوًّا لنا قريباً لنا : « أحبوا اعداءكم وأحسنوا الى من يبغضكم . وباركوا لاعنيكم . وصلوا لاجل من يعنتكم » (لوقا ٦:٢٧-٢٨) . واراد ان نتغلب على القوّة الشهوانية، فأعاد شريعة الزواج الى كرامتها وحرمتها الاولى بقوله : « في بدء الخليقة ذكراً وأنثى خلقهم الله . . . وما جمعه الله لا يفرّقه انسان . . . من طلّق امرأته وتزوج اخرى فقد زنى عليها . وان

طلّقت امرأة بعلها وتزوجت آخر فقد زنت » (مر ١٠ : ٦-١١) . وقد طلب الطهارة حتى في اعماق ضميرنا وفي افكارنا : « ان كل من نظر الى امرأة لكي يشتهيها فقد زنى بها في قلبه » (متى ٥:٢٨)

ولم يجعل مكافأتنا على ذلك في شيء من سعادة هذه الدنيا وفي الامور المادّية . بل اراد ان يوجّه كل افكارنا الى روحانية النفس وخلودها، والى المكافأة في الحياة الابديّة : « افرحوا وابتهجوا فان اجركم عظيم في السماوات » (متى ٥: ١٢)

فذلك ما اردنا تبيانه في هذا الكتاب الذي جعلنا عنوانه « وصايا الله العشر وكمالها في شريعة يسوع الملك »

فبعد ما أظهرنا في كتاب أوّل معرفة يسوع ملك الدهور، وعرّفنا في كتاب ثانٍ عمله الإلهي على الارض في كنيسة أقامها ووعد بأن يبقى معها كل الايام الى منتهى الزمن، رأينا من تشجيع الخاصّة والعامة ما حملنا على ان نقدّم لهم هذا الكتاب الثالث يفسّر شريعة موسى وكمالها في شريعة يسوع الملك، مُطبقين هذه الواجبات على مُقتضيات حال الدنيا العصرية . وقد حافظنا على أسلوبنا في الوضوح بأنتقاء ألفاظ سهلة ليكون فهمه في مُتناوَل الجميع، وما غايتنا من ذلك إلّا تمجيد الله ومحبّة يسوع الملك، الذي له المُلك والقوّة والمجد الى مُنتهى الدهور



وصايا الله العشر

انّ الله جلّ جلاله، خلق الإنسان على صورته ومثاله، فزيّنه بعقلٍ يُدرك به الحقّ فيرتقي به من ادراك المخلوقات الى معرفة الخالق، ووهب له إرادةً حرة تسعى وراء الخير الذي فيه سعادتها. ولكي يُساعد العقل على معرفة الحقّ والإرادة على بلوغ الخير، خطّ لهما السبيل المبلّغة اليهما، أعني بها الوصيّة. فالوصيّة لغةً هي الأمر، يُقال: أوصى فلاناً بكذا، أي أمره به. والوصيّة هي ما ألزم الله به عباده وأوجبه عليهم. فهل أوصى الله؟ وبماذا أوصى؟ ولماذا اوصى؟ هذا ما نحاول الجواب عنه في هذه المحاضرة

اولاً — هل اوصى الله

خلق الله الانسان ليُشركه في سعادته الخالدة، على أنه جلّت حكمته لا يُريد ان يتحقق ذلك الّا باختيار الانسان نفسه وسعيه اليه. ولكنه اعدّه بجودته لهذه الغاية الفائقة الطبيعة بمواهب مجانية مناسبة لها، فضلاً عما وهب له في دائرة الطبيعة من عقل يميز به الخير من الشر، وإرادة تُقبِل بطبيعتها الى الخير. فاعطاه اولاً الشريعة الطبيعية ونقشها على صفحات قلبه، واعطاه ضميراً ينبهه من غير محاباة الى واجبه، ويوبّخه على مخالفته إياه.

ولما سيطر الشر والضلال على البشر من مغبّة الخطيئة الاصلية اوحى اليهم بهذه الوصايا الطبيعية على لوحين حجريين بواسطة موسى النبي كليم الله : وبعد أن كلمهم بالانبياء كلاماً متفرّق الاجزاء مختلف الانواع كلّمهم اخيراً بواسطة ابنه الالهي : (عبر ١:١)

في بدء الخليقة كلّم الله آدم في الفردوس وسطّر على صفحة قلبه وصاياه الالهية . وجعل في داخل الانسان صوتاً يقول له : « افعل الخير، لا تفعل الشرّ » . وجعل فيه شعور اغتباط عند فعل الخير، كأن قائلاً يقول له في قلبه : « لقد احسنت » . ثم جعل فيه شعور انقباض عند فعل الشر كأنه يسمع توبيخاً من مُبكّتٍ يقول له : « لقد أسأت » . ذلك هو صوت الضمير، أي صوت الله يتكلّم في أعماق القلب لا يخلو منه احد لان شريعة الله مكتوبة في صميم القلب من كل انسان ومنتشرة بين الامم والشعوب كلها . والتاريخ يعرّفنا ان هذه الوصايا التي أوحى الله بها الى موسى و كتبها على لوحين حجريّين، كانت معروفة بين الناس بنور العقل الطبيعي ايضاً، وقد وجدت آثارها مكتوبة على حجارة قديمة ومسلاتٍ تأريخية . وذلك قبل ان أوحي بالشريعة الى موسى بأكثر من ٥٠٠ سنة . فقد وصلت الينا كتابات قديمة من حموراني، وهو من عهد ابراهيم ، ترى فيها مضمون هذه الوصايا. وذلك يؤيد ما سبق لنا بيانه من ان الله تعالى لم يُهمل الانسان من الوسائل الضرورية لهدايته، ولكن الانسان هو ضلّ وغوى، فتداركته الرحمة الالهية بالوحي ثم بما

تلاه من مظاهر العناية، الى ان تمّ سرّ الفداء بتجسد ابن الله

فان السيد المسيح أثبت هـذه الوصايا بسلطانه وتعليمه واضاف اليها وصاياه الحديثة . واحتـاط لضعف البشر بان أقام بينهم كنيسة تتابع عمله بين الناس الى منتهى الاجيال بالارشاد والتعليم وسن القوانين والشرائع المفسرة للشريعة الالهية والطبيعية والمنظمة للممارسات الدينية . وخلاصة القول ان الله اعطى الانسان وصايا طبيعيّة، أتبعها بوصايا موسى، ثم بوصايا ابنـه الالهي . وليس من يُنكر ما لله من الحق التامّ على ذلك كله، وهو الخالق والسيّد المُطلَق، خلق الانسان لغايةٍ، وخطّ له السبيل للوصول اليها . على ان الوصيّة مع دلالتها على سُلطة الله هي عنوان الرحمة والرأفة، لانها تسهّل طريق الخلاص وتُساعد على الابتعاد عن الضلال، كأنها الطرقات المنظمة الواضحة في البراري والقفار، تنشئها الحكومات وقاية للرعية من اخطار الضلال وتسهيلاً للوصول الى الغاية

ثانياً — لماذا اوصى الله

ان الله أوصى بتعاليمه ووصاياه، لما ان طغى الضلال كما سبق القول واختلّ نظام الآداب والواجبات واصبح الناس كأنهم في فوضى شاملة . فاخرج الشعب الاسرائيلي من مصر بقوةٍ عظيمة وقاده الى بريّة سيناء، وهناك أصلح اعوجاجه . وبعد ان فرض عليه الصوم والصلاة أصعد موسى الى طورسيناء حيث صام اربعين

يوماً . وفي نهايتها سلّم الله اليه اللوحين الحجريين . وكتب على اللوح الاول الوصايا المختصة به : (انا هو الرب إلهك، لا يكن لك إلهٌ غيري ـ لا تحلف باسم الله بالباطل ـ احفظ يوم السبت) . وكتب في اللوح الثاني الوصايا المظهرة واجباتنا للقريب: (اكرم أباك وامّك ـ لا تقتل ـ لا تزنِ ـ لا تسرق ـ لا تشهد بالزور ـ لا تشتهِ امرأة قريبك ـ لا تشتهِ مقتنى غيرك)

فإذا حفظ الانسان هذه الوصايا ضمنت له الهناء والنظام والراحة في هذه الدنيا، والحياة السعيدة في السماء . ولم يبقَ من داعٍ للمحاكم والسجون : لان حفظ هذه الوصايا يكفل احترام حقوق الله والناس مع هناء الانسان في معيشته . فالوصايا الاولى والثانية والثالثة تحرّم الشرك بالله وتوجب احترام اسمه القدوس وتقديس اليوم المُعَدّ لإكرامه . والوصايا السبع الباقية توجب احترام حقوق الوالدين، وتحرّم الاعتداء على حياة القريب وعرضه وماله، وتمنع من ثلم الحقيقة وتضع النظام في الهيئة الاجتماعية

وقد أثبت السيّد المسيح هذه الوصايا وأوصى بها الشاب الذي سأله ماذا أعمل لأرث الحياة الابديّة . فلخّصها في وصيّتين : أحبِب الربّ إلهك بكلّ قلبك وقريبك كنفسك . لا بل زاد على وجوب حبّ القريب وجوب حبّ العدوّ نفسه (لوقا ١٠ : ٢٥ ـ ٣٧ ومتى ٢٢ : ٣٧ ـ ٤٠)

وزاد على هذه الوصايا منع الطلاق فقال لليهود : « انّ موسى أذن لكم في الطلاق لقساوة قلوبكم، ولم يكن من البدء

هكذا، لأن الذي خلق الانسان في البدء ذكراً وانثى خلقهم . وما جمعه الله فلا يُفرّقه انسان » (متى ١٩ : ٤ـ٨)

واماً وصايا الكنيسة فما هي الا تحديد وتفسير عملي لما أمر به الله والسيّد المسيح كوجوب تقديس الآحاد والأعياد مثلاً وحضور القداس ووجوب الصوم واحترام كيان العائلة الازلي بالامتناع عن درجات القرابة في الزواج

ثالثاً — لماذا اوصى الله

بعد كل ما تقدّم اصبح من السهل ان نفهم لماذا اوصى الله:

فان وصايا الله المطبوعة في النفس قد أوحى بها الله الى الانسان ، لئلا يُعمي الفساد بصيرته فلا يرى الحقائق ، وتوهن الرذيلة عزيمته فلا يتّبع جادة الفضيلة . وهذه الوصايا توافق جميع الامم والشعوب في كل زمان ومكان وتوّجهها الى سُبل السعادة في هذه الدنيا وفي الابدية معاً

ان شرائع البشر تمرّ مرور الشعوب والممالك وتُلغى . أمّا وصايا الله فباقية على ممرّ الأجيال . وفي ممارستها سعادة الانسانية وراحتها . حتى ان كل مملكة تكون هذه الوصايا معززة فيها لا تحتاج الى محاكم ولا الى قُضاة . وفضلاً عن انها تُرضي الله فهي تربط القلوب بروابط المحبة المتبادلة مع احترام الاهل ، وتحفظ المحبة والشرف ، وتكافئ ممارسيها براحة الضمير في هذه الدنيا

والسعادة في الحياة الاخرى . لان السيّد المسيح قال : « ان اردت ان ترث الحياة الابدية فاحفظ الوصايا » (متى ١٩ : ١٩) . ومن الواجب حفظ هذه الوصايا كلّها : لان من حفظ الناموس كله وعثر في وصيّة واحدة فهو مُجرم الى الناموس كله (يعقوب ٢ : ١٠)

ولكن هل يقدر الانسان ان يحفظ الوصايا كلها ؟ اقول نعم انه يقدر ان يحفظها كلها لأن الله لا يطلب المستحيل، فمن حيث ان الله امره بها ينتج دون شك ان الانسان قادر على حفظها . ولكن بما ان الطبيعة قد فسدت بعد الخطيئة، وأصبحت ميالة الى الفساد والضلال والاخلال بهذه الوصايا، يصعُب على الانسان حفظها كلها بمجرّد قواه الطبيعية ويحتاج لذلك الى نعمة الله . وهذه النعمة يحصل عليها بالصلاة . وللمسيحي سهولة أعظم في حفظها اذ ينال مع نعمة الصلاة نعمة الاسرار ايضاً . وهذه حياة القديسين تُظهر لنا باي فرح كانوا يطيعون الله ويتألمون لأجله، لا بل يفضّلون الموت لاجل الايمان بالسيد المسيح . حتى كان القديس بولس يقول : « انا فائض بالفرح في جميع مضايقنا » (٢ كور ٧ : ٤)

فيالسعادة البشرية اذا هي عملت بهذه الوصايا ! ويا لتعسها اذا هي اهملتها ونبذتها ! ويا لضلال هؤلاء الاغبياء الذين يحاولون في أيامنا هذه ان يدفعوا البشرية في سبيل الشقاء ببث روح الكفر والالحاد، ينكرون وجود الله خالق جميع البرايا ويغمطون نعمته ويمنون البشر بسعادة كاذبة خداعة، اذ لا شيء يكافئ الفضيلة مكافأة تامة ما عدا الله ! وبماذا يكافئ البشر من يضحي بحياته

للوطن او للأسرة ؟ ان مكافأتهم بمعزل عن مكافأة الله انما هي غرور والفاظ فارغة . وما نفع الافتخار بين الناس اذا كان صوت الضمير القاسي توبيخاً واستنكاراً ؟ والضمير لا يحابي الا بما للواجب الذي مصدره الله نفسه للخير والابتعاد عن الشرّ . ولا شيء يحملنا على الخير مثل محبة الله، ولا شيء يوصلنا الى السعادة الابدية إلاها

ان الحكومات لا تعاقب الرعيّة على الخطايا الباطنية كالغضب والغيرة والحسد والشهوات . والحكومات لا تطّلع على كل ما يجري من الخطايا في العالم . والقضاء البشري عرضة للخطإ والرّشوة . فانزع الدين من العالم تُرجعه الى الهمجية . لذلك نرى انه على قدر ما يخفّ الدين تزداد الجرائم، ويقلّ احترام الوالدين، ويكثر القتل، وخطايا الزنى مع الطلاق، ويُستحَلّ مال القريب بكلّ الوسائل، وتتداعى دعائم الاسرة، وتسير الانسانية بسرعة الى الهمجية والى الدّمار والخراب . لذلك لا تصدّقوا ان بلدة تعمر وهي بعيدة عن الله . فلا تبهركم مظاهر المدنيّة وقد ظهر خداعها في عصرنا الحاضر الذي كل تمدنه يتحوّل في الحروب الى همجية، ويُخشى ان يؤول به الامر الى الفناء . ولا تُبهركم الازياء العصريّة والالوان الخدّاعة ومظاهرات المدالسة والرئاء . فالتمدين اساسه محبة الله التامة ومحبة القريب ومحبة الانسان لنفسه واحترامُ صيت القريب وماله وعرضه وحقوقه . واذ ذاك نعيش عيشة مطمئنة تعقبها افراح السماء

الوصية الاولى

١ً الايمان

ان الوصايا الاولى الثلاث مُختصَّة بالله جلَّ جلاله . وهي توجب عبادته وحده واحترام اسمه القدوس وتقديس اليوم المعين لاكرامه . فالوصيَّة الاولى تعلّمنا السجود لله وعبادته : لله وحده تسجُد واياه وحده تعبُد (متى ٤ : ١٠ وتث ٥ : ٩) . ولكي نسجد لله ونعبده يجب ان نُخضع له عقلنا بالايمان وقلبنا بالرجاء والمحبة، وهي الفضائل الالهية الثلاث . فيكون سجودنا له عبارة عن اعترافنا بسلطانه المطلق علينا اذ هو خالقنا وربنا . ولذلك نقدّم له بهذا السجود ذَواتنا وكل اعمالنا وكل ما لنا . وكل هذا يستلزم اتجاه عقلنا اليه بالايمان وقلبنا وارادتنا بالرجاء والمحبة . وها نحن نبدأ في محاضرتنا هذه بالايمان الذي هو الحجر الاساسي للديانة والخلاص . فنبحث اولاً لماذا نؤمن، ثانياً بماذا نؤمن، ثالثاً كيف يكون ايماننا حياً . والله اسأل ان يؤيد كلامي بنعمته ويجعل في عقولكم النور، وفي قلوبكم النار، لكي تدرك جمال كمالاته

اولاً — لماذا نؤمن

هل ايماننا هو مجرَّد الاذعان لحقائق لا نفهم مُعظمها ؟ وهل

نؤمن لان آباءنا قد خلّفوا لنا ايمانهم فاتبعناهم اتباعاً اعمى، دون ان نفهم على ايّ أساس هو مبنيّ ؟

على كلّ انسانٍ منّا ان يبحث عن « حجج الرجاء الذي فينا » كما قال القديس بطرس (١ بطرس ٣ : ١٥) . فإن ايماننا مبني على أساسٍ متين . فهو يبتدئ بنور العقل وينتهي مستنداً الى سلطة الله وصدقه . وهو أيضاً نعمة من الله . فالعقل يبرهن لنا امراً واقعياً اي ان الله قد تكلّم وأوحى الينا بتعاليمه، والعقل لا يذعن لما يقال انه وحي الا بقدر ما يثبت له ثبوتاً كاملاً ان مصدره انما هو الله . ومن اوضح ما يدلّ عليه الآيات والعجائب فضلاً عن سموّه وقداسته . فاذا ادركنا ان الله قد أوحى الينا بحقائق كان اوّل ما يرتاح اليه العقل ويثبته دون تردّد ان الله لا يغلط اصلاً، وان من المستحيل استحالة مُطلقة ان يغشنا أو ان يُغشّ . وعلى ذلك فسواء فهمنا أم لم نفهم ما يوحي به الينا ، يكون من الواجب علينا حتماً ان نذعن ونخضع لأقواله، وان نؤمن بها ايماناً ثابتاً . والايمان على هذا النحو يكون نعمة منه تعالى لا يبخل علينا بها اذا كان فينا استعداد لقبولها بسلامة النية وتواضع القلب امامه

انّا في ايماننا نستند الى العقل الذي يبرهن لنا ان الله كلّمنا وأوحى الينا بتعاليمه وأوامره . والادلّة على ذلك عديدة مؤيدة باثباتات تأريخيــة لا مردّ عليها : فان الله كلّم الاباء آدم ونوحاً وابرهيم واسحق ويعقوب، وأوحى الى موسى بالوصايا العشر ،

وأوحى الى الانبياء بما يختص بمجيء الفادي المخلص فانبأوا به قبل ان يجيء، ثم أوحى الينا بواسطة ابنه الالهي الذي تجسد وعرّفنا ان الله إله واحد بثلاثة أقانيم، وأن الاقنوم الثاني تجسّد لاجل خلاصنا، وانه أتى ليُعطينا النعمة بواسطة الاسرار المرسومة لاجل خلاصنا، ثم عهد الى الرسل وكنيسته في ان يعلّمونا كل ما اوصاهم به (متى ٢٨ : ٢٠) . وقد أغلق من بعد الرسل باب الوحي الإلهي المطلوب من البشر الايمان به . فمهمّة الكنيسة ان تحافظ على وديعة الايمان، وترعى النفوس في مراعي الخلاص، وتبلّغها الى الكمال، وتغذّيها بنعمة الأسرار، وتقودها الى السعادة . ولم يكتفِ الله جلّ جلاله بأن خاطب البشر، بل اعطاهم علامات واضحة بانه هو الذي تكلّم وأوحى . ذلك لان الله جلّت حكمته لا يقتضي منّا الايمان الا بعد ان يؤكد لنا بقوّة الآيات ما يطلب منا الاذعانَ والخضوع له . وهذه الآيات تفوق القدرة البشريّة، كما ان النبوّات لا يعرفها الا الله

فلمّا أرسل الله موسى ليُخاطب بني اسرائيل اقتضى موسى منه تعالى العلامة الدالّة على انه مُرسَل من الله عز وجلّ . فقال : « انّهم لا يصدّقونني » . فعمل الرب امامه آية وأعطاه القدرة على ان يصنع آيتين وثلاثاً ايضاً . ثم قال له : « فان لم يصدّقوك ولم يسمعوا لصوت الآية الاولى يصدّقون صوت الآية الاخرى . وان لم يصدّقوا هاتين الآيتين ويسمعوا لقولك» فاصنع آية ثالثة اوعز اليه بها (الخروج ٤ : ١ ـ ٩)

وهكذا اخرج الرب الشعب الاسرائيلي من مصر بالآيات، وعاله في البريّة مدّة أربعين سنةً بالآيات، وأدخله ارض الميعاد بالعجائب. وقد أوحى الى الانبياء بما يخصّ ابن الله المتجسّد: فتكلّم يعقوب عن زمن مجيئه، وأشعيا عن ميلاده من عذراء، وعن موته ليحمل خطايانا ويفتدينا، وحبقوق عن مولده في بيت لحم، وزكريا عن دخوله اورشليم، وداود عن آلامه وموته، وأظهر قدرته عن يد هؤلاء الانبياء.

ثم وافى السيّد المسيح مخلّص البشر وقال: «إنْ لم أعمل اعمال ابي فلا تؤمنوا بي» (يوحنا ١٠:٣٧). وعمل الآيات التي لا تكون الا عن قدرة الهية. فقال للمخلّع مثلاً: «لكي يعلم العالم ان لي سلطاناً ان اغفر الخطايا قم واحمل سريرك» (متى ٩ : ٦). وقال، عندما اقام لعازر: «ليؤمنوا انك انت ارسلتني ... يا لعازر هلمّ خارجاً» (يوحنا ١١ : ٤٢ و٤٣). ولمّا طلب منه اليهود آية ليؤمنوا به قال لهم: «مثلما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة ايام وثلاث ليالٍ. كذلك يكون ابن البشر في قلب الارض ثلاثة ايام وثلاث ليالٍ» (متى ١٢:٤٠). وقد فهم اليهود من بعد موته هذه النبوّة، ولذلك حرسوا القبر. وكان ذلك وسيلة لاثبات قيامة المسيح واعلان قدرته وألوهيته

ولما امر السيد المسيح الرسل بان يبشّروا بالانجيل زوّدهم بالسلطان على عمل القوّات والعجائب. فكانت قدرة الله معهم في تبشيرهم وتعليمهم خير مساعد لهم على نشر الديانة المسيحية.

فاذا ثبت لنا ان الله قد تكلّم فهل يبقى لنا عذر في ان لا نؤمن بتعاليمه ؟ وان كنا لا نفهم كل ما يوحي به الينا فهل في ذلك داعٍ لان نرفض الوحي ؟ هل نقدر ان نفهم تمام الفهم كل اسرار الله ؟ او ليس طبيعياً ان يكون لعقلنا القاصر أسرار في الله ؟ فنحن نرى الطبيعة ملأى بالاسرار ولا نقدر ان نفهمها كلها . ونحن اذا عرفنا شيئاً عن قوّات الطبيعة، فانه يفوتنا منها اشياء. ونحن لا نقدر ان نُدرك ماهية نفسنا ، ولا كيف نعيش، ولا كيف نتنفس، ولا كيف تتحد نفسنا بجسدنا . كما اننا لا نُدرك أموراً كثيرة مما حولنا . فكما اننا نصدّق أناساً يكلّمونّنا عن اميركا ونحن لم نرَها والناس قابلون للغلط أفلا نصدّق الله الذي هو الحقّ بالذات وهو غير قابل للخطا ولا للغشّ ؟ فإيماننا إذن معقول وأساسه العقل . لا بل إن الذي لا يؤمن بكلام الله بعدما عرف ان الله قد تكلّم يكون ناقص العقل ورافضاً لنعم الله

فإيماننا إذن مستند الى كلام الله، ولكن ما هو موضوع ايماننا ؟

ثانياً — موضوع ايماننا

يجب ان نؤمن ايماناً صريحاً بكلّ ما اوحى الله به الى البشر من الحقائق الضرورية للخلاص، وهي التي لا يقدر الانسان ان يخلص بدونها، وهي في متناوَل الجميع حتى انه لا يُعذَر احد في جهلها، وهي تسمى الحقائق الضرورية ضرورة الواسطة للخلاص

ومن الحقائق ما هو ضروري ضرورة الوصية اي ان الايمان بها انما هو مطلوب تحت ثقل الخطإ بقوة الشريعة الوضعية . فكل من توانى في معرفتها يكون مقصّراً في واجباته ويرتكب إثماً كبيراً. الا ان جهلها جهلاً معذوراً من غير اهمال ولا تقصير ارادي لا يحول دون الخلاص الابدي

فالايمان ضروري للخلاص لان السيّد المسيح يقول « من آمن واعتمد يخلص ومن لم يؤمن يدان» (مرقس ١٦ : ١٦) . وعلى ذلك فكلّ انسان يريد الخلاص الابديّ يجب عليه ان يؤمن ايماناً صريحاً اولاً بوجود الله . ثانياً بانه يدين البشر جميعاً للثواب او للعقاب بحسب اعمالهم . والايمان بهاتين الحقيقتين ضروري ضرورة الواسطة للخلاص باجماع اللاهوتيين كافة . ثم يجب على كل مسيحي ان يؤمن بالثالوث الاقدس اي بوجود اله واحد في ثلاثة أقانيم متساوية في الجوهر الآب والابن والروح القدس . وان يؤمن بسرّ التجسد اي بتجسد الاقنوم الثاني من الثالوث الاقدس، أي انه صار انساناً لاجل خلاصنا وهو اله وانسان معاً . وان يؤمن ايضاً بسرّ الفداء أي ان السيّد المسيح مات طوعاً لكي يخلّصنا من الهلاك الابديّ . ولا يُعذر مسيحي من جهل هذه الحقائق. اماّ غير المسيحيين ممن لم يُتح لهم السماع بها او معرفتها ولم يقصِروا عن عناد وتصميم ان يعرفوها فقد يكون جهلهم لها والحالة هذه معذوراً

فكلّ مسيحيّ مُلزَم بالايمان بهذه الحقائق ايماناً صريحاً

للخلاص، لانه لا وسيط بين الله والناس الا السيد المسيح، وكل انسان من غير المسيحيين مُلزم بها ولو بايمان ضمنيّ كما تقدَّم . ولو لم يكن الايمان بالسيد المسيح ضرورياً لما كان ارسل الله ابنه الى العالم

فكلّ انسان مضطرّ ان يعرف الحقائق الضروريّة للخلاص، وعلى كل مسيحيّ ان يبذل جهده ليعرف باقي الحقائق الضرورية ضرورةَ الواسطة

ثالثاً — بماذا يجب ان نؤمن

على كل مسيحي أن يعرف على قدر ما يسمح له عقله وان يحفظ غيباً عن ظهر قلبه اولاً : قانون الايمان (قانون الرسل) . ثانياً : وصايا الله ووصايا الكنيسة . ثالثاً : الصلاة الربيّـة . رابعاً : واجبات دعوته التي دعاه الله اليها . خامساً : الاسرار الواجب عليه قبولها . فمَن توانى في معرفة هذه الحقائق والوصايا والواجبات كان توانيه إثماً كبيراً وعُدَّ مقصّرًا في اتمام ما عليه من الواجبات . ومن لا يرى ان ما يشيع بين الناس من الاضاليل ويكاد يغمر البشرية من الفساد انما هو نتيجة جهل الديانة وعدم الاكتراث للقيام بواجباتها

وكم من شباننا وشاباتنا في ايامنا هذه اكتفوا بما تعلموه على مقاعد المدرسة، وعند خروجهم منها لم يعبأوا بسماع كلام الله ولا بمطالعة كتاب دينيّ، بل هم يغذّون عقولهم بالجرائد والمجلات

الخفيفة، أو بما يرونه في معارض السينما او المسارح من المشاهد الفتاكة بالمعتقد المقدّس وبالآداب، فيضعف الايمان ان لم يتلاشَ، وتتداعى اركان الفضيلة في قلوبهم . فلنحيِ اذن ايماننا بسماع كلام الله . وإن كان الرعاة مجبورين ان يقدّموا لنا كلام الله، فعلينا ان نصغي الى كلامهم - ومن الواجب ان نحيي ايماننا بقراءة الكتب الدينية ومطالعة الكتاب المقدّس بعهديه القديم والجديد متقيّدين في تفسيرهما بما أقرّته الكنيسة الكاثوليكية المقدّسة . ولا بدّ من مطالعة تأريخ الكنيسة وأعمال الشهداء والقديسين . وهنا نرى نقصاً عظيماً بيننا اذ أصبحنا نجهل ويا للاسف حتى تاريخ شرقنا وتأريخ قديسينا . وهم جدودنا في الايمان واليهم يعود الفضل في وصول هذا التراث المجيد المقدّس الينا بنعمة الله . يجب ان نحيي ايماننا بالاعمال لان الايمان بدون عمل ميت (يعقوب ٢:١٧) . وكل واحد منا مطلوب منه ان يعمل اعمال الرحمة الروحيّة والزمنية ويعمل الحسنات التي يقدّره الله عليها . وهنا نرى ايضاً إهمالاً عظيماً فيما بيننا

وأخيراً يجب ان نكون مسيحيين باطناً وظاهراً، فلا نكتفي بان نظهر مسيحيين في الكنيسة فقط . اما في الخارج فنسلك سلوكَ مَن لا ايمان ولا معتقد لهم . فان دينونتنا ستكون اعظم ان لم نمارس ما نؤمن به . فعلينا اذن ان نضع موضع العمل حقائق ايماننا ونمارس واجباته متذكّرين قول السيد المسيح لتوما : « لانك رأيتني يا توما آمنت، طوبى للذين لم يروا وامنوا » (يو ٢٠ : ٢٩)

٢ً الرجاء

رأينا في المحاضرة الاولى ان الوصية الاولى تطلب منا خضوع العقل لله بفضيلة الايمان، ومرادنا الآن ان نبيّن ان هذه الوصية تطلب ايضاً اتجاه إرادتنا اليه بفضيلة الرجاء. وعليه نبحث أولاً ما هو الرجاء وثانياً ماذا يمنع الرجاء

اولاً — ما هو الرجاء

الرجاء فضيلة فائقة الطبيعة، ننتظر بها السماء بعد الموت انتظاراً وثيقاً، وفي هذه الحياة النعمة المساعدة على الوصول اليها وذلك استناداً الى وعد الله

ففي هذا التحديد نرى موضوع الرجاء، وهو اولاً السماء في الآخرة، وثانياً الواسطة الموصلة اليها اي النعمة في هذه الدنيا، ثم نرى مُستند هذا الرجاء وهو الوعد الالهي

قُلنا ان الرجاء فضيلة فائقة الطبيعة اولاً لأن موضوعها هو مشاهدة الله في السماء وجهاً لوجه، وهي نعمة مجانية لا تقدر طبيعتنا ان تستحقها بقوّتها الذاتية. وثانياً لان الواسطة المساعدة اي النعمة هي ايضاً هبة فائقة الطبيعة، لا شيء كفوءٌ لها من كلّ اعمالنا ومن كل ما في طبيعتنا المخلوقة من قوى ونزعات. وكل ذلك قد وعدنا به الله. فيجدر بنا ان نرى هنا مَن وعدنا، وبماذا وعدنا

١ً — ان الواعد هو الله الذي خلق الانسان ليشركه عن محض جودٍ منه في سعادته بالسماء، الا انه اراد ان يكون ذلك عن سبيل الاختيار الحرّ من جهة الانسان وان يكون امتحاناً له. فان عمل خيراً وحفظ وصاياه تعالى، نال السعادة التي أعدّها له الله منذ الأزل. وان عمل شرّاً وخالف الوصايا، خسِر هذا الحقّ على السعادة واستحقّ العذاب الأبدي. تلك هي تعاليم الكتاب المقدّس الصريحة وتعاليم السيد المسيح مؤسّسة كلّها على هذا المبدإ، فان الله نفسه جلّ جلاله قال لابرٰهيم: «أنا اجرُكَ العظيم جداً» (تكوين ١٥:١). والسيد المسيح يفسّر لنا ذلك صريحاً في وصفه مشهد الدينونة الرهيب، اذ يقول للذين لم يعملوا الخير: «اذهبوا عني يا ملاعين الى النار الابدية المعدّة لابليس وملائكته لاني جعت فلم تُطعموني وعطشت فلم تسقوني» الى آخر ما هنالك من منطوق هـذا الحكم المخيف. ويقول للذين عن يمينه لعاملي الاحسان: «تعالَوا إليَّ يا مباركي ابي رثوا الملك المعدّ لكم منذ انشاء العالم الخ» (متى ٢٥:٣٤ـ٤٦)

فترون ان الله يعِد بالمكافأة على الاحسان، ويتوعّد بالعذاب من يعمل الشرّ. وتعاليم السيد المسيح كلّها ثابتة على هـذا الموضوع إذ يقول: «طوبى للرحماء فانّهم يُرحمون ـ طوبى للانقياء القلوب فانهم يعاينون الله ـ إفرحوا وابتهجوا فان أجرَكم عظيم في السموات (متى ٥:٧ـ١٢) ـ من يأكل جسدي ويشرب دمي فله الحياة الأبدية وأنا أقيمه في اليوم الاخير (يو ٦:٥٥) ـ من

آمن بي وان مات فسيحيا (يو ١١ : ٢٥) ـ من آمن واعتمد يخلص (مر ١٦:١٦) ـ فاني منطلق لاعدّ لكم مكاناً (يو ١٤: ٢) ـ انّ في انطلاقي خيراً لكم (يو ١٦:٧) » . وقد أراد ان ندعو أباه أبانا، ليُفهمنا اننا سنكون معه حيث يُقيم الآب : « فانما أتيت لكيما تكون لهم الحياة وتكون لهم اوفر (يو ١٠: ١٠) . من يشرب من الماء الذي انا أعطيه فلن يعطش الى الابد (يو ٤:١٣) » . الى آخر ما هنالك من الوعود الواضحة التي لا تدع للشكّ مجالاً في ان الله يعد بالسماء الذين يتبعون وصاياه

ثم انه وعدنا بالمساعدة للحصول على السماء لانّ من يُوجب الغاية يُعطي الوسائل المبلّغة اليها . والحال ان الغاية هي فائقة الطبيعة، فالواسطة اذن هي أيضاً هنا فائقة الطبيعة، ولا سبيل اليها الا بجودة من الله مجانية . ولكنا واثقون بالحصول عليها حتماً اذا طلبناها . لانه وعدنا بها صريحاً ولن يكذّب اللهُ وعده . وما اعذب هذا النداء الذي وُجهه السيد المسيح الى الجميع : « تعالوا اليّ يا جميع المتعبين والمثقلين وأنا اريحكم . احملوا نيري عليكم . تعلموا مني فاني وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لانفسكم . لان نيري ليّن وحملي خفيف» (متى ١١:٢٨ـ٣٠) . ووعدنا بأن كل ما نطلبه في الصلاة ننالُه وذلك خاصّة في الامور الضرورية لخلاصنا . وقال القديس بولس « لكن الله امين، لا يدعكم تجرّبون فوق طاقتكم » (١ كور ١٠:١٣) . « فالذي يريد ان جميع الناس يخلصون ويبلغون الى معرفة الحق » (١ تيمو

٤:٢) يُعطي الجميع ما يساعدهم على معرفة الحقّ وعلى الخلاص

ذلك هو وعد الله . وقد لا يبرّ الناس بوعودهم مهما أكّدوها . وقد ينكرونها عن عجز او سوء نيّة . امّا الله فحاشا ثم حاشا ان يُنسب اليه جلّت قدرته وجودته اخلافٌ بوعدٍ لانه الصدق بالذات والجودة غير المتناهية والقدرة التي لا حدّ لها

٢َ – ولكن ما هذه السعادة التي يعِدنا بها وبمَ عساها ان تقوم ؟ ستكون فوق كل ما نتصوّره من جمالٍ وبهجة وكمال . لان موضوع هذا الوعد هو التمتع برؤية الله : ان ما أعدّه الله لمحبّيه هو ما لم ترهُ عين ولا سمعت به أذن ولا خطر على قلب بشر (١ كور ٢ : ٩) . سنرى الله في السماء كما قال القديس بولس وجهاً الى وجهٍ (١ كور ١٣ : ١٢) سنكون مضيئين كالشموس كما قال السيد المسيح، في ملكوت أبيه (متى ١٣:٤٣) . سنحيا بحياة الله لانه أراد ان نكون مشتركين في الحياة الالهية . سنكون في ملكوت أبينا في السماء وهو القائل : « لا تخفْ أيها القطيع الصغير فقد حسُن لدى أبيكم ان يعطيكم الملكوت » . (لوقا ١٢:٣٢) . سنرى الثالوث الاقدس على قدر ما يسمح لنا به النور الخاصّ الذي يهبه لنا الله لهذه الغاية، وهو يُسمّى نور المجد . سنرى ابن الله جالساً على العرش عن يمين ابيه السماوي وهو في طبيعته البشريّة التي شرّفها بكونه تأنس وصار بها كواحدٍ منا . سنرى مريم العذراء والدة الاله التي جعلها ممتلئة نعمةً .

سنرى الملائكة بطغماتهم التسع، وكل واحد منهم يختلف عن غيره بهاء. سيرى بعضنا بعضاً وسنجتمع كلّنا كابناء العائلة الواحدة. سننجو من كل المصائب، من الامراض والاوجاع والحزن والموت. سيملأُ الله شهواتِنا: فعقلنا يمتلئ نوراً، وقلبنا يمتلئ محبّةً، والجسد يتمتّع بالسعادة. سنجتمع بالاحباب الذين فارقونا. وعليه فلو كان فينا إيمان لكنّا في تلهُّفٍ دائم للحصول على غايتنا هذه وكنا نشعرُ بما شعَر به الملك داود وهو يقول: «ويلي قد طالت غُربتي» (مز ١١٩: ٥) وهو ملك لم يكن ينقصه شيء في هذه الدنيا، ولكنا نقول مع القديس بولس: «لي رغبة ان انحلَّ فأكون مع المسيح» (فيلبي ١: ٢٣)

ثانياً — ما يمنع الرجاء

على أنه يعترض فضيلةَ الرجاء هوّتان عظيمتان يسقط عدد كبير فيهما: هوّة خطيئة الجسارة وهوة خطيئة القنوط. فيقع في خطيئة الجسارة اولئك الذين لا يُخيفهم عدلُ الله، ولا يتحولون عن الشر، ويزعمون انهم بقوّتهم الذاتية يحصلون على السماء. ولا يهتمون بعمل الخير، ويتوهّمون ان الله لا يبخل عليهم بسمائه مهما كانت اعمالهم على الارض. ويقع في خطيئة القنوط او اليأس اولئك الذين، اذا سقطوا لسوء حظهم في خطيئة مميتة، ينسون رحمة الله ولا ينظرون الّا الى عدله، فيقنطون من الغفران ومن الوصول الى السماء.

١ً – فالفئة الاولى تضمّ العدد الاكبر من الذين لا يهمّهم إلا خيرات الدنيا ويتوهمون مع ذلك انهم ضامنون السماء لانفسهم. فترى هؤلاء الجسورين الوقحين قد جعلوا الله بعيداً عن اعينهم وتهافتوا على حُطام الدنيا وملذّاتها، غير مكترثين لشيء مما فيه مرضاة الله لا في صلاة ولا في ذبيحة القداس ولا في صوم ولا في توبة، متوهّمين ان الله سيرحمهم بدون عمل خيرٍ حتى ولو عملوا الشرّ. يتهافتون على خيرات الدنيا، وقد وضعوا الحصول على المال نصب أعينهم ولو بالوسائل المحرّمة. وهم لاجل ذلك يكذبون ويغشّون ويدوسون شرائع الضمير ويسرقون، ويدّعون ان ذلك مهارة منهم، وان هذا ما تقتضيه شريعة التجارة. وهم في الوقت نفسه يَتهافتون على الملذّات التي يسهِّل المال الوصول اليها، يتهافتون على التأنق في الملابس والأثاث الفاخر وأنواع المآكل والمُسكرات التي تولّد الدعارة، وعلى كل ما يلذّ للأذن من أغانٍ خلاعية وكل ما يُرضي الحواس من معارض السينما ولاسيما ما كان منها مثيراً للشهوات الفاسدة داعياً الى الفحشاء. ذلك ما يدّعون انه من مُقتضيات الطبيعة البشريّة. وإذا سألتهم هل يقومون بواجباتهم فهم يجيبونك مطمئنين: يوم الله يعين الله! أليس في هذا الجواب كُفر بيّن؟ فكيف يعين الله على ارتكاب الجرائم وعلى الكفر والفحشاء؟ وماذا ترَون يعمل الله يوم الدينونة؟ هل يكون عادلاً اذا كافأ على قلّة الدين بالسماء؟

٢ً — والفئة الاخرى التي تنقض ايضاً فضيلة الرجاء وهي أقلّ عدداً، هم الذين ييأسون من السماء ومن الحصول على نعمة الله، بسبب خطاياهم : فإيمانهم ضعيف وعزائمهم مُرتخية . تراهم في امور دنياهم لا يؤمنون بالعناية الالهية التي تهتمّ بعصافير السماء وبزنابق الحقل . فيَشكون دائماً من ضيق الوقت ومن عسر الحال، ويتهمون الله بالجور . وهم دائماً يحسدون غيرهم . واذا ألمّت بهم مصيبة انصرفوا الى الشكوى المرّة والى التجديف الى حدّ الكفر . فهم على ذلك يكابدون عذاب هـذه الدنيا ولا يكسبون في عذابهم اجراً حتى ان عدداً منهم بسبب قلّة ايمانه ينسى الآخرة وتظلم بصيرته الى حد انه يرى الحياة نفسها شرّاً فيلجأ الى الانتحار . هذه هي حالة كل خاطئ مسكين يقنط من رحمة الله وييأس من الغفران فيستسلم للشيطان الذي سماه السيد المسيح لاسمه السجود : ابا الكذب وقاتل الناس منذ البدء (يوحنا ٨ : ٤٤) . ان خطيئة اليأس لمن افظع الخطايا لانكارها على الله جودته غير المتناهية . وهي لذلك تحصى في عداد الخطايا المسماة « ضدّ الروح القدس » فلا مغفرة لها . فما القول فيمن يدفعه اليأس الى الانتحار ؟ ان الكنيسة المقدسة قد سنّت قوانين شديدة رادعة لبنيها عن هذه الفظاعة، حتى ان من يُقدِم عليها عن تعمُّدٍ وانتباه ثم يموت دون ان يبدي ندامة على فعلته، يُحرَم من الدفن الكنسي ومن شركة الكنيسة . ان خطيئة اليأس من رحمة الله قد كانت خطيئة قايين الذي قال : ذنبي

اعظم من ان يغفر (تكو ٤ : ١٣) . وكانت ايضاً خطيئة يهوذا الذي ذهب وشنق نفسه (متى ٢٧ : ٥ واعمال ١ : ١٨) . فعلى الطامعين برحمة الله وهم متهافتون على خيرات الدنيا وناسون الله، أن يذكروا اننا لا ننال السماء ألا اذا جاهدنا جهاداً شرعياً (٢ تيمو ٢ : ٥)، وان ملكوت السموات يُغصَب والغاصبون يختطفونه (متى ١١ : ١٢)، وان لا سماء الا بحفظ الوصايا : « من يحبّني يحفظ كلمتي » (يو ١٤ : ٢٣) . ومن الضروري ان يمارسوا أعمال المحبة لئلا يسمعوا صوت ابن الله يقول لهم : « اذهبوا عني يا ملاعين . . . » (متى ٢٥ : ٤١) . ومن الضروري ان نحمل صليبنا ونقهر اهواءنا لان السيد المسيح قال: « من لا يحمل صليبه ويتبعني فلا يستطيع ان يكون لي تلميذاً » (لوقا ١٤ : ٢٧) «من اراد ان يتبعني فليكفُر بنفسه ويحمل صليبه ويتبعني » (متى ١٦ : ٢٤) . ولنذكرنّ دائماً اننا سنؤدي لله جواباً عن كل كلمة بطّالة نقولها (متى ١٢ : ٣٦)، فما قولنا عن باقي الخطايا ؟

وعلى القانطين اليائسين من رحمة الله ان يذكروا ان المسيح لو لم يُرد خلاصنا لما تجسّد لاجلنا . ولهؤلاء أريهم الصليب واقول: لو لم يُرد خلاصنا لما قبل ان يعلّق على الصليب لاجلنا . فهو يكتفي بحركةٍ من قلبهم، وبدمعة صادرة عن توبةٍ، وبصرخةٍ ينادونه بها ويقولون : يا ربّ اغفِر لي فاني خاطئ . فالذي غفر للعشار والابن الشاطر وللزانية وللصّ عن يمينه، يغفر للخاطئ، مهما كثرت ذنوبه، بشرط ان يرجع اليه بقلبٍ مُنسحق متواضع .

أفليس هو القائل : « انه ولو كانت خطايا كم كالقرمز تبيض كالثلج » (اشعيا ١ : ١٨)

وعلى الجميع ان يذكروا اننا كلّنا خُلقنا للسماء لا للأرض، وأننا في وادي دموع وفي مَنفى . فلنسعَ ولنُجاهد ناظرين « الى اكليل البرّ الذي يجزينا به الرب الديّان العادل » (٢ تيمو ٤ : ٨) . فاذا تألمنا لاجله وفي سبيله فان ألمنا يتحوّل الى ملذّة، واذا حزنا فحزننا يؤول الى فرح، واذا حملنا الصليب مع السيد المسيح فسنشترك في افراحه . افرحوا وابتهجوا فإن أجركم عظيم في السموات (متى ٥ : ١٢)



٣ المحبة

لما سأل احد علماء الناموس السيد المسيح مجرّباً اياه « ما اعظم الوصايا في الناموس » ؟ اجابه يسوع « احبب الرب إلهك بكل قلبك وكل نفسك . هذه هي الوصيَّة العظمى والاولى » (متى ٢٢: ٣٧ و٣٨) . فالوصية الاولى والعُظمى هي محبـة الله وهي وحدها الفضيلة الالهية التي تبقى في السماء : فالايمان لا يبقى له محلّ في السماء، لانّ ما نؤمن به الآن سنراه عياناً . والرجاء لا يبقى له موضوع، لاننا سنحصل على كل ما تشتهيه قلوبنا . انمّا تبقى المحبَّة التي بها نتمتَّع بالله وبكمالاته، ونحيـا بحياته . فما موضوع هذه المحبة؟ وما دواعي المحبة؟ وكيف يجب ان تكون المحبَّة ؟ هذا ما سنراه في هذه المحادثة

اولاً - ما موضوع المحبة

هذه الفضيلة تجعلنا نحب الله فوق كل شيء لاجل كمالاته . وعلى ذلك يجب ان تكون سامية كسموّ موضوعها، الله بالذات، اي فائقة محبة الخلائق باسرهـا، ومُجرّدة اي يجب ان نحب الله لاجل كمالاته غير المتناهية لا لاجل الامل بجوده فحسبُ . وقد وصف القديس بولس في رسالته الى اهل كورنثس هذه الفضيلة فأظهر تفوّقها على كل الفضائل بقوله : « لو كنت أنطق بألسنة

الناس والملائكة ولم تكن فيَّ المحبة فانما انا نحاس يطنّ او صنج يرنّ . ولو كانت لي النبوّة وكنت أعلم جميع الاسرار والعلم كلّه، ولو كان لي الايمان كله حتى انقل الجبال ولم تكن فيَّ المحبة فلست بشيء . ولو بذلت جميع مالي لاطعام المساكين وأسلمت جسدي ليُحرق ولم تكن فيَّ المحبة فلا انتفع شيئاً . . . المحبة لا تسقط ابداً » (١ كور ١٣ : ١ ـ ٣ و ٨) . الى آخر ما هنالك في هذه الرسالة فهو غنيّ عن التفسير وحريّ بالتأمل

ثانياً — دواعي المحبة

وهل ادعوكم الى هذه المحبة، وكل شيء في الوجود يدعوكم اليها ؟ وهل يصعب ان نرقى بمحبتنا الى هذا السموّ الالهي، وهذه الكمالات التي هي موضوعها بادية في خلقه العالم وفي عنايته به وفي تأنس ابن الله وفي سرّ الفداء وسرّ القربان الذي هو سرّ المحبة ؟

ان الله محبة في ذاته، هو الحاوي الكمالات بأسرها، الحقّ والخير والقوّة والبهاء . هو الناطق بكلمته الاقنوم الازلي صورة الآب المتحدة معه بجوهره ينظر اليها وتنظر اليه بملء المحبة . فينبثق منهما الروح القدس روح المحبة . واذا نحن نزلنا من هذه الاعالي اللاهوتية السامية فوق كل عقل مخلوق الى المخلوقات نفسها، وجدنا ايضاً ان الله متجلّ فيها بما يسبي النفوس محبةً وشغفاً به

١ – الله محبة في خلقه العالم

ان الله محبة في ذاته وفي كمالاته . لا يُحبّ الا الخير، والله هو الخير المُطلق الذي لا يقاس . فهو وحده الحق والجودة والجمال والقدرة غير المائت وغير المتناهي في جميع صفاته . وانّ ما نرى من الجمال والكمال والنظام في هذه الدنيا ما هو الا مسحة من جماله وكماله

فليست هذه النجوم المتقلّبة في فضاء لا نرى له حدوداً وهي بعدد لا يحصى وحُجمٍ يفوق تصوّر مخيّلتنا، وهي سائرة بترتيب لا خلَل فيه، ليس كل هذا النظام والبهاء الّا شعاعاً ضئيلًا من نوره الالهي وعقله غير المحدود وقدرته السامية

وليس البحر في مياهه الغزيرة وسِعته الفخمة وحركته الدائمة الا مسحة ضعيفة من عظمة الله وقدرته التي وضعت حاجزاً لهذه البحار

وليست الشمس في بزوغها وارتفاعها وبسط انوارها وبثّها الحياة في البسيطة الا رمزًا لتلك الشمس الالهية التي تنير كل انسان آتٍ الى العالم

وليس التفنُّن العجيب في كل ما خلقه الله : في الكواكب بعددها واختلاف حجمها، وفي المعادن واختلاف احجارها، وفي النبات والزهور واختلاف انواعها، وفي الحيوانات والاسماك والطيور واختلاف اجناسها، وفي الناس واختلاف وجوههم، وفي كل مخلوقات الله المختلفة الاجناس والانواع، الا صورةً ضئيلة

من قدرة الله وعقله السامي . فاذا كانت هذه الخلائق تسبي قلبنا في جمالها، فماذا يكون جمالُ الله الذي لم يعطِها الا مسحةً من جماله ؟ فكلّ جمال في هذه الدنيا يجب ان يرفعنا الى جمال الله ويجعلنا نندفع في تمجيد الله وحمده وشكره

٢ً الله محبة في عنايته

وما عسانا ان نقول في عنايته الحافظة للخليقة بأسرها، المهتمّة بحركات النجوم والكواكب كما تهتمّ بالاسماك في أعماق البحار ؟ انها ظاهرة لكل ذي عينين . ولقد افادنا السيد المسيح عن عنايته بقوله : ان الذي يهتم بزنابق الحقل وبعصافير السماء يهتم بنا بأولى حجة (متى ٦ : ٢٦ ـ ٣٠) . وقد عرفنا ايضاً انه احصى شعر رأسنا فقال : « ان شعر رؤوسكم جميعه محصى » (متى ١٠ : ٢٩ ـ ٣١) . أو ليس هو القائل في كتابه المقدس : « أتنسى المرأة مُرضعها فلا ترحم ابنَ بطنها . لكن ولو ان هؤلاء نسينَ لا انساكِ انا » (اشعيا ٤٩ : ١٥) . فالله هو احنّ علينا من الامّ على طفلها

٣ً الله محبة في سر التجسد

وهل من واسطة لان نشعر بحبّ الله اعظم من التأمل في سرّ تأنسه فهو الإله غير المتناهي القدير، غير المائت، الذي لا يسعه زمان ولا مكان يتنازل لان يتّخذ طبيعتنا الضعيفة الصغيرة المائتة : « والكلمة صار جسداً وحلّ فينا » (يو ١ : ١٤) . وأصبح السيد المسيح، وهو إله وانسان، اخانا وأعطانا حق التبني

فسمح لنا بان ندعو أباه أبانا، واراد ان يسكن الروح القدس فينا بنعمته . وشرّفنا السيد المسيح بان سمّانا أحباءه، فقال : « لا أسمّيكم عبيداً بعد، لان العبد لا يعلم ما يصنع سيّده . ولكني سميتكم أحبائي » (يو ١٥:١٥)

٤ً الله محبة في سر الفداء.

ولم يكتفِ الله بسرّ التأنس، بل اراد ان يخلّصنا من خطايانا، اذ جعل نفسه كفارة عنها . واراد ان يصير حملُ الله رافعاً خطايا العالم . ولا نرى انساناً يقدّم نفسه فداءً عن خاطىء، فكيف يقبل ابنُ الله وهو البرارة بالذات ان يحمل خطايانا ويقوم مقامنا في التكفير عن ذنوبنا، ويتحمّل كل الآلام والاوجاع لنُصبح نحن الخطأة ابرارًا واحباء لله وننال الحقّ في مُلكه السماوي ؟

٥ً الله محبة في سر القربان

ولم يكتفِ جلّت محبته بسرّ التأنس وسرّ الفداء، بل اراد ان يشترك في طبيعتنا وان يتحد بنا اتحادًا تحار له العقول . فاراد ان يجعل نفسه تحت اشكال الخبز والخمر ليصل الينا بطريق القوت، ويضم جسده الى جسدنا، ودمه الى دمنا، ليجعلنا مسكناً له ومقراً للثالوث الأقدس . فايّ مسيحي لا يحبّ المسيح بعد مظاهر الحبّ هذه كلّها ولا يكون إما ناقص العقل وعادم التمييز وإما ليس له قلب فيه عاطفة بشريّة ؟

٦ً الله محبة في افراح السماء

ولم يتنازل السيد المسيح كل هذا التنازل، ولم يُعانِ كل هذه الآلام الّا ليشركنا في سعادته في السماء . فهو يقول لنا : « لا تَخفْ ايّها القطيع الصغير لانه قد حسن لدى ابيكم ان يعطيكم الملكوت » (لوقا ١٢:٣٢). ويقول ايضاً : « فاني منطلق لاعدّ لكم مكاناً » (يو ١٤:٢) . « ستضيئون كالشموس في ملكوت ابي » (متى ١٣:٤٣) . « تعالوا رثوا الملك المعد لكم منذ انشاء العالم » (متى ٢٥:٣٤) . « افرحوا وابتهجوا فان اجركم عظيم في السماوات » (متى ٥:١٢)

ثالثاً — كيف يجب ان نكون محبين لله

فهل نكتفي بعد ذلك بمحبة باردة او فاترة ؟ هل نبقى جامدين بعد كل هذا الحبّ ؟ وهل يجوز بعد هذا ان لا يكون لنا اهتمام الّا بحياتنا المادّية وملذّاتنا الجسديّة ؟ أفلا يحقّ لله ان يقول فيما بعد ما ورد في سفر الرؤيا : « ليتك كنت بارداً او حاراً، ولكن بما انك فاتر لا حار ولا بارد فقد اوشكت ان اتقيأك من فمي » ؟ (رؤيا ٣:١٥ـ١٦) . هل تكتفي محبتنا ببعض مظاهر التقوى، ولا تتعدى هذه التقوى لساننا ولا تصل الى عقلنا وقلبنا ؟ فان الله يطلب منا ان نحبه بكل قلبنا وكل نفسنا وكل ارادتنا (متى ٢٢ : ٣٧) . فالمحبة من طبعها ان تكون

متبادلة : فان لم نحبه نكون نغولاً لا بنين، كما قال القديس بولس (عبر ١٢ : ٨)

١ً الله يطلب ان نحبه بكل عقلنا

محبّة العقل تقتضي الدّرس والبحث في صفات الله وكمالاته وشريعته. وكلّما ازددنا له معرفةً ازدادت محبتنا له . وما ألذّ البحث في معرفة الله ! اليست الحياة الأبديّة كما قال السيد المسيح : « ان يعرفوك انت الاله الحقيقي وحدك، والذي أرسلته يسوع المسيح » (يوحنا ١٧:٣) ؟ فعلى قدر معرفتنا لله تزداد سعادتنا حتى في هذه الدنيا . وإذا اراد الواحد منا ان يعرف مقدار تقواه فليسأل نفسه كم مرّة في النهار يرفع قلبه الى الله . فقد توّصل بعض القديسين الى حدّ من التأمل جعلهم لا يذهلون عن الله، مهما تراكمت عليهم الاشغال . واعتاد الكثيرون من المسيحيّين ان يتساءلوا مراراً في النهار : لو كان السيد المسيح في مثل هذه الاحوال فماذا يا تُرى تكون أفكارُه وعواطفه ؟ وحينئذ يكون الجواب على ذلك أقرب طريقة الى الكمال . وهذه هي الطريقة المُثلى لاتّباع امثال المسيح والحصول على الكمال

٢ً محبة الله تطلب ان نحبه بكل قلبنا

من حقوق الله علينا ان نفضّل حبه على كل حبّ سواه . وهذا ما يطلبه السيد المسيح مهدّداً ايانا بحرماننا محبته لنا ان فضّلنا شخصاً عليه : « من أحبّ أباً او أمّاً او اختاً اكثر مني فلن يستحقّني . ومن احب ابناً او بنتاً اكثر مني فلن يستحقني » (متى ١٠:٣٧)

فهذا ما فعله القدّيسون اجمعون مثل ابرهيم الذي ضحّى بابنه اسحق لكي يُلبّي أمر الله (تكوين ٢٢:١_١٠)

وهذا ما فعلته ام المكابيّين السبعة اذ كانت تحرّضهم على الاستشهاد قائلة لهم : « اني لست اعلم كيف نشأتم في احشائي ولا انا منحتكم الروح والحياة . . . على ان خالق العالم الذي جبل تكوين الانسان ... سيعيد اليكم برحمته الروح والحياة لانكم الان تبذلون انفسكم في سبيل شريعته » ... فكانوا يقولون : « انّا لنختار ان نموت ولا نخالف شريعة ابائنا » (٢ مكابيين ٧:٢٢_٢٣ و٢)

السيد المسيح يطلب ان نضحّي في سبيل خدمته بكل رخيصٍ وغالٍ حتى ولو كانت العين، فقد قال صريحاً : « إن شككتك عينك فاقلعها والقها عنك فخير ان تدخل الحياة وانت أعور من ان يكون لك عينان وتلقى في نار جهنم » (متى ١٨ : ٩) . فمعنى ذلك انه ينبغي ان نكون مستعدين لأن نضحّي بكل مالٍ وبكلِّ شخص يمنعنا من محبة الله - انّ المحبة تقتضي حتى الكفر بنفسك : ومن لم يكفُر بنفسه ويحمل صليبه ويتبعني فلا يستحقّني (متى ١٠:٣٨)

٣ً محبة المسيح تطلب ان نحبه بكل نفسنا

ولذلك يجب ان نبتعد عن الخطيئة وندوس شهواتنا ونحفظ الوصايا : « ان احبني احد يحفظ كلمتي » (يو ١٤:٢٣) . ومن يحب الآخر يبذل كل جهده لكي لا يغيظه . فهل تكون فينا محبة

المسيح ونغيظه بعدم اتباع وصاياه ؟ وهل تكون صداقة بيننا وبين المسيح ان لم نبذل كل جهدنا في إرضائه ؟ ان محبة الله تقتضي ان نزداد كل يوم محبة له فنقدّم كل يوم اعمالنا حباً لله. محبة الله تقتضي ان نحب قريبنا مثل نفسنا، قال الرسول الحبيب: « ان قال احد اني احب الله وهو مبغض لاخيه فهو كاذب: لان من لا يحب اخاه الذي يراه كيف يستطيع ان يحب الله الذي لا يراه » ؟ (١ يوحنا ٤ : ٢٠)

محبة الله تطلب ان نغار على خلاص النفوس. فنبذل كل جهدنا في خلاص اخوتنا وذوينا بما امكننا من الوسائل، بالصلوات والتقشفات والأعمال الصالحة والمثل الصالح ايضاً. وعلى هذه الصفة نحبّ الله

انكم لو خلّصتم جسداً من الحريق لحسبتم ذلك عملاً عظيماً، فكيف لو خلّصتم نفساً من الخطيئة ومنعتموها من السقوط في جهنم ؟ فلنردّد مراراً هذه الصلاة الدالّة على عاطفة محبة الله: ليأتِ ملكوتك لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الارض. هذه هي عواطف المحبة التامة التي أتمناها لجميعكم



٤ً عبادة الله

« للرب الهك تسجد واياه وحده تعبد » (متى ٤ : ١٠)

ان وصيّة الله الاولى تطلب منّا خضوع عقلنا لله بالايمان، وخضوع قلبنا وارادتنا لله بالرجاء والمحبة. على أنّها لا تكتفي بالخضوع الداخليّ بل تقتضي ايضاً مع خضوع العقل اشتراكَ الجسد، لانّ الانسان انما هو انسان بجسمه ونفسه لا بنفسه فقط. وهذا الخضوع لله الذي تشترك فيه النفس والجسد معاً هو العبادة. فالعبادة هي الاقرار بسلطة الله المطلقة علينا. ويجب ان يتجلّى هذا الاقرار ليس فقط في اقوالنا بل في كل أعمالنا سواء كانت باطنة ام ظاهرة. لذلك رأينا من الواجب في هذا النهار ان نرى اولاً ما هي العبادة. ثانياً ضرورة العبادة. ثالثاً كيف يجب ان نُظهر عبادتنا

اولاً – ما هي العبادة

العبادة وهي موضوع الديانة تقوم بمجموع علاقاتنا مع الله. فكلمة ديانة من فِعْل دانَ اي خضع لله. ومنه الدين أيضاً، وهو ما يجب على الانسان من الوفاء. فالديانة تعلّمنا ان نُخضع لله كل كياننا بلا قيد ولا شرط: لان الله هو خالقنا، لذلك وجب ان نخضع له ونعبده. والله هو المحسن الكريم الينا، فوجب ان

نشكره . ومنه نستمدّ كل نعمة روحية وزمنيّة؛ لذلك وجب علينا ان نلتجئ اليه . وعلينا أيضاً اذا فرط منا لتعسنا ما يغيظ هذه العظمة الالهية ان نستغفره تعالى ونرجع اليه

ثانياً — ضرورة العبادة

فترون ان الديانة هي من مُقتضيات الطبيعة ومن مطاليب العقل؛ فالعقل والطبيعة يُقرّان باننا لم نخلق أنفسنا بل وُجدنا في هذا العالم؛ وقد خلقنا في هذا الوجود مسبّبٌ اولُ أعطانا النفس والجسم معاً . فهو علّتنا الاولى؛ وله السلطة المُطلقة علينا بالوجود والبقاء . وهو نظّم الانسان على ما نراه عليه من الترتيب؛ جامعاً بين النفس والجسد كأنه عالَم صغير . وعليه فالعقل يقضي علينا ان نقرّ بسلطة الله ونُخضِع له عقلنا وقلبنا وجسمنا وحياتنا ونوجّه اليه كل أعمالنا : لان الذي هو علّتنا الاولى هو غايتنا القُصوى ايضاً . فنحن نطلب مثلاً خدمة الخادم لاجل أجرةٍ زهيدة نعطيه إيّاها، فكم بالأَولى يحق لله ان يطلب خدمتنا له؛ وقد منحنا كلّ ما لنا من خيراتٍ روحية وزمنية ؟

وإن كنّا نطلب الإقرار بالمعروف لأجل خدمةٍ صغيرة نؤديها؛ فكَم لله من الحق علينا بان نُظهر له مزيد شكرنا؛ وقد منحنا كلّ ما لنا من نفس وجسد وخيرات ؟

علاقاتنا مع الله علاقاتُ خليقةٍ ضعيفة أمام كائنٍ كليّ القدرة : فعقلنا يحتاج ان يستمدّ منه النور؛ وقلبنا قلِقٌ دائماً ما

دام لم يستندْ اليه. وجسمنا معرّض للآفات والامراض والموت، وشبح الموت يهدّدنا كيفما اتجهنا، كامناً لنا في تيار الاسلاك الكهربائية مثلاً وفي عجلات السيارات تفاجئنا من كل جهة، وفي جيوش المكروبات المضرّة المنتشرة في الماء والهواء، وفي الاكل الذي نأكله. ومهما احتطنا لندرأ المصائب، فهي تُحيق بنا. وما أشدّ ضعفنا في مكافحة الامراض ووجود الدواء الناجع لكل داء. حتى ان كل ما اتصل اليه الانسان من الاختراعات واظهره من القوى العقلية لم يكد يقرّبهُ خطوة واحدة من الأمان الذي يسعى وراءه لحياته. ولو ان الطبيعة تكلمت فينا لسمعنا في كل آن صوتها تصرخ بشعور الحاجة الى العون الالهي

ثم ماذا نقول فيمن يقترف خطيئة مهما كانت صغيرة، فيغيظ هذه العظمة الالهية المقدّسة البريئة من كل عيب ؟ فهل يكون كثيراً على الخاطئ ان يبكي آسفاً على هذه الإهانة كلّ عمره، لاسيما وان الخطيئة موجهة من خليقة في منتهى الضعف الى إله كليّ القدرة و كليّ القداسة والاحسان ؟

ثالثاً — كيف يجب ان نظهر عبادتنا

يتضح مما تقدّم ان واجبات الديانة حق مقدّس لله على الانسان، وان انكارها جحود و كفر فظيع. فمن الواجب على الانسان ان يُظهر شعوره نحو الخالق بالسجود والشكر والاستغفار وطلب نِعَم الله. ومن الواجب على الانسان ان تكون هذه

العواطف في داخل قلبه وان يُبرزها في الخارج، لان الانسان مركب من نفس وجسد كما سبق القول . ولا يكون الانسان كاملاً بطبيعته البشرية الا بنفسه وجسده معاً

١َ ومن ثم عليه ان يظهر واجب السجود والشكر بنفسه وجسده . علينا ان نُظهر عواطف طبيعتنا، فيما هو للجسد بطريقة جسية، وفيما هو للنفس بعمل عقلي . علينا ان نظهر لله خالقنا خضوعنا بالنفس والجسد . اماً لو زعمنا ان العواطف الباطنية في النفس تكفي وحدها فاننا نكونن واهمين، اذ ليس من عاطفة باطنية الا ولها تأثير على المظهر الخارجي . فإما ان يشترك الظاهر بما هو في الباطن، واما ان يكون الباطن خالياً من العاطفة . فان كان الانسان مسروراً مثلاً فانه لا يحفظ سروره في داخل قلبه بل يظهره على محياه وفي كل حركاته بالسرور والضحك وأحياناً بالغناء والرقص . وان كان حزيناً لا يبقى حزنه كامناً في داخل القلب بل يظهر عليه بالعبوسة والكآبة والبكاء، لا بل بالصراخ والعويل . وهذا شأننا في سائر اطوار حياتنا

٢َ وبما ان الله هو خالق الانسان كما هو خالق الاسرة وخالق الهيئة البشرية، فمن واجب الانسان ان يُظهر واجبات سجوده منفرداً ومع اسرته وفي الاجتماعات . وهذا واجب مقدّس : فكلّ اسرة لا يكون أساسها الدين، لا تضمن علاقات المحبة والاحترام والعدل بين أعضائها . وكل هيئة بشريّة لا يكون أساسها الدين،

يتبدل فيها النظام فوضى، فلايبقى لرئيس من سلطة الا بالارهاب، ولا يبقى في المرؤوس من نزعة الّا الى الثورة والتمرّد ما استطاع الى ذلك سبيلًا

وهذا ما شعرت به الشعوب على توالي الايام . فترى عظمة كل شعب في آثار هياكله ومعابده ومساجده و كنائسه

هذه مثلًا عظمة مصر تنطق بها تلك الهياكل العظيمة . وكل فرعون من فراعنتها أراد ان يمتاز عن غيره بهيكل عظيم شاده . وليس على المتردّد في التصديق الّا ان يزور معابد الاقصر والكرنك ليدهش مما فيها من فخامة المباني وسعة الهياكل وارتفاع العَمَد وكمال الهندسة وجمال النقش وإتقان التصاوير وكثرة الرموز التي تُذكِر عقائد شتى مثل وجود الله وخلود النفس . ومن جال في وادي الملوك ألا يخالجه فكرٌ بان المصريين لم يعيشوا إلا ليهتموا بحياة اخرى حتى حاولوا ان يُعطوا الخلود لاجسادهم بالتحنيط لتشترك مع أرواحهم ؟ اجل انهم ضلّوا سواء السبيل وعبدوا من دون الله آلهةً كاذبة . الا ان فكرة الديانة المغروسة في الطبيعة هي المسيطرة على كل هذه المظاهر

سافروا الى بابل واشور تروا عظمة هياكلها ومعابدها . اذهبوا الى بلاد اليونان تروا انها اقامت هياكل للآلهة المعروفة وللإله المجهول الذي حيّاه القديس بولس (اعمال ١٧ : ٢٣) . جولوا في روما تروا آثار البانثيون وآثار الهياكل التي اراد القياصرة ان يخلّدوا لهم فيها ذكرًا . كثيرون منكم قد زاروا

قلعة بعلبك وشهدوا ما شيّد الوثنيون وما نحتوا من الحجارة الضخمة والأعمدة الشاهقة، وما نقشوا على الحجارة من الرموز الدالّة على أبديّة النفس وخلودها والايمان بوجود الله

وهل قصّرت المسيحية في بلاد الشرق والغرب في اظهار العبادة لله ببنايات فخمة وكنائس أنيقة ؟ بل ان الشرق مهد المسيحية أظهر اعظم السخاء في بناء افخم الكنائس واكثرها في كل الانحاء. غير ان ما نابه من صروف الزمان وكوارث الايام جعل مُعظم تلك البنايات العظيمة أثرًا بعد عين. وكان الغرب أوفر حظاً في ذلك من الشرق اذ لم تصل اليه ايدي الغزاة مثلما جرى في الشرق، فبقي عدد كبير من الكنائس التي جمعت من كل فنٍّ اجمله، خلّد فيها المهندسون اجمل رسومهم، ونقش فيها النقّاشون ابدع نقوشهم، وترك فيها المصوّرون اجمل تُحفهم، وأودع فيها الملوك والاغنياء مُعظم غناهم. فأتت آية في الابداع والاناقة ولنا في كنيسة القديس بطرس ام الكنائس مثال على كل هذه الفنون التي بلغت الكمال في الاتقان . وقد اخذنا ويا للاسف نرى يد البلاشفة تتلاعب في اجمل المعابد في بعض انحاء اوربا حتى فاقت فظاعة اكبر الغزاة البرابرة مثل اتيلا وتيمورلنك وغيرهما

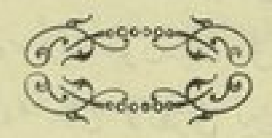
أو ليس فيما نرى في عصرنا الحاضر من المظاهرات الدينية في مؤتمرات القربان وفي بعض المزارات ما يدلّ على نفوس المؤمنين في صلواتهم الحارّة المتواصلة والأصوام والاسهار ومظاهر الحماسة

الدينية الدالّة على ايمان ثابت متين ؟ فاين عبادتنا نحن ؟ وأين ديانتنا ؟ اندّعي اننا متعبدون ونحن نحفظ عواطفنا في قرارة نفسنا ؟ ان هذه العواطف لو كانت فينا لظهرت حتماً في شيء من اعمالنا واقوالنا . وعلى كل حال ان من الواجب ان تظهر مبادئنا امام الناس لكي يَروا أعمالنا ويمجّدوا ابانا الذي في السماوات، تلك هي وصيّة السيد المسيح في انجيله المقدّس (متى ١٦:٥). ومن الواجب ان لا ننكر ايماننا امام الناس لان السيد المسيح قال : « من ينكرني قدام الناس أنكره انا قدام ابي الذي في السماوات » (متى ١٠:٣٣) . ومن الواجب على العيلة ان تظهر عبادتها لله في صلاة الصبح والمساء لتشكر لله حفظها في قيد الحياة وما نالت من الخيرات، وان تندم على الخطايا . هذه العبادة يجب ان نظهرها في البيوت، فنعرض صورة السيد المسيح وصورة مريم العذراء عوضاً عن الصور الخيالية المعروضة في بعض البيوت ومنها ما هو قتّال للفضيلة في النفوس

وبما اننا في مجتمع بشري وفي كنيسة كاثوليكية، يجب ان نقوم بواجباتنا بهيئة جمهورية لا كأفراد فقط . وهذا ما ينقص غالباً اذ نرى مراراً المسيحي يدخل الكنيسة ولا يظهر الاكرام اللائق حتى ان بعضهم لا يعملون اشارة الصليب اكراماً للساكن في هياكلنا

كثيرون يحضرون القداس ويسمعون بُلغةٍ يفهمونها مثل هذه العبارة « هلم نسجد ونركع للمسيح ملكنا والهنا » ولا احد

منهم يسجد . يقول الكاهن : « احنوا رؤوسكم للرب » ولا يكاد احد يحني رأسه . يقول الخورص تسبحة الملائكة : « قدّوس قدّوس قدّوس ربّ الصباؤوت » ولا احد يهتزّ . ينطق الكاهن بالكلام الجوهري ، وكأنه ينطق بكلام آخر . يتلو المرتل نؤمن وأبانا ولا نشترك معه في الصلاة . فحتى متى نبقى على هذه الحال ؟ هل ننتظر ضربات اخرى حتى نلين ونتواضع ؟ لا يا رب ارفع غضبك عنا فان ما فينا انما هو من الجهل ، لا من الخباثة . ونحن مستعدون ان نعبدك بكل قوانا . ونحن مؤمنون بهذه الذبيحة الالهية التي تسجد وتشكر وتطلب باسمنا . ونحن ننال كل ما نطلب باسم يسوع : « الحق الحق اقول لكم ان كل ما تسألون الاب باسمي يعطيكموه » (يوحنا ١٦ : ٢٣) . « وكل ما تسألونه في الصلاة بايمان تنالونه » (متى ٢١ : ٢٢) . فنحن واثقون الآن باننا ننال كل ما نطلب من النعم « فاياك نسبّح . إياك نبارك . إياك نشكر . واليك نطلب يا ربنا والهنا »



٥ً خوف الله

ان الوصيّة الاولى تُعلّمنا الايمان والرجاء والمحبة والعبادة ، وتعلّمنا ايضاً خوف الله اي ان نبتعِد عمّا يغيظ الله لئلا نجرَح قداسته وحبه ونستجلب غضَبه في عدلـه . فاذا سرّحنا رائد الفكر في مُجتمعنا الانسانِي رأينا ان كل المصائب في عصرنا آتية من عدم الافتكار في الله ومن عدم خوف الله . لذلك نرى الفوضى سائدة في مُجتمعنـا من كل الوجوه : فَوضى في العقول وفي الآداب ، وفي الضمائر ، وفي احترام السُّلطة ، والانغماس في الملذّات والابتعاد عن الروحيّات

اولاً — الفوضى في العقول

فوضى في العقول إذ تعامى الناس عن الحقيقة ونادوا بالضلال وما يسمّونه حرّية الفكر . ونتج من ذلك ان كثيرين يعيشون كأن الله غير موجود ، غير مبالين بصوم او بصلاة ، مدّعين بان كل الديانات حسنة ، وان الله لم يوحِ بديانة خاصّة ولا ارسل الله ابنه ، ولا تجسّد ابن الله ، وينفون احتياج الانسان الى نعمة الله والى الانتفاع باسراره . ويدّعون بان كل انسان حرّ ان يكوّن لنفسه معتقداً خاصاً به ، كأن لا فرق بين الحقيقة والضلال ، وان ينشر بين الناس من المذاهب والآراء والاقوال ما يعنّ له ، سيّان في ذلك الفضيلة والرذيلة ، الدين والإلحاد

ثانياً – الفوضى في الآداب

ومع الفوضى في العقول الفوضى في الآداب : فنرى كثيرين يجعلون الرذيلة فضيلة، ويسهّلون كل الطرق للوصول اليها . فقد كثرت الجرائم وانتشرت الكتب الخلاعيّة المعلّمة طرُق الفساد العديدة، والملأى بالصور العارية من الحشمة . وما أكثر الذين يستبيحون سماع كلّ الاغاني المهيّجة للشهوات الفاسدة، ويعرضون أمام الأنظار مناظر السينما القتّالة لفضيلة النقاوة في القلوب بما فيها من المنافاة الفاضحة للأخلاق والآداب، ويمثلون الخلاعة على المسارح، ليصطادوا القلوب السليمة بحبائلها الجهنمية . ثم يعملون على افساد المرأة لعلمهم أنّهم بذلك يفسدون العالم، فيزيّنون لها الخلال في كل ما تُقدم عليه من المظاهر المخالفة للحشمة المقدسة كالازياء العصرية الرائجة مما كانت تخجل من الاقدام عليه حتى المتهتّكات . واصبحت الألوان والخطوط شيئاً مُباحاً . لا بل اخترعوا بواسطة الرقص المُختلَط وسائل جديدة لارضاء كل ملذاتهم البهيميّة، وهم يزعمون ان هذا الرقص هو فنّ . وبعد ان استعملوا كل الوسائل المبلّغة الى الرذيلة لا عجب ان يتمرّغوا في الحمأة ويتدهوروا في أفظع الفواحش . لذلك نرى الكثيرين يبتعِدون عن سنّة الله في الزواج ويُرخون العنان لاهوائهم، ظانين انهم يبعدون عنهم الهموم . الا انهم سيجنون في آخرة تعِسة ثمرة عملهم

ثالثاً — الفوضى في الضمائر

ومع الفوضى في العقول والآداب الفوضى في الضمائر : فأين الضمير الحيّ الذي يردعهم أمام الموبقات، ويحرّضهم على عمل الخير ؟ لقد جعلوا هدفاً لمطامعهم الحصول على المال بايّ واسطة كانت : بالكذب والغشّ والربا والافلاس الإحتيالي، محلّلين لنفوسهم كل الوسائل للحصول على المال، حتى اصبحت التجارة نوعاً من ابتزاز اموال الناس، واصبح كل ما يربحه بعض التجار من المال الحرام يُحسَب في نظرهم براعة ومهارة، وكل زيادة عن هذا السبيل في ثروتهم ذكاء عظيماً يستحقّ الاعجاب . فيمشي أغنياء كثيرون وضمائرهم مثقَلة باموال الناس وهم لا يفتكرون في ان يكفروا عن إثمهم ولو في آخر حياتهم

رابعاً — الفوضى في احترام السلطة

وهذه الفوضى تنال من بعض ارباب السلطة انفسهم . فهي روح الثورة والشيوعية تستحِلّ أموال الاغنياء ليحلّ الطامعون السارقون محلهم . وهذه الروح تريد ان تتخلّص من كل سُلطة ليخلو لها الجوّ . لذلك نرى تعدّد الاعتداءات على الملوك ورؤساء الامم والحكومات . ولكن اكثر سهامهم توجّه الى السلطة الروحية لانها تُريهم شرائع الله، وتؤنّبهم على ارتكاب المحرّمات . لذلك تراهم يبذلون جهدهم في انتقاد الرؤساء الروحيين والتنديد في

أعمالهم، مجاهرين ان اكرام رجال الكهنوت خيانة للكرامة الانسانية وتذليل جائز للفرد، مع ان السيد المسيح يطلب إكرامهم كأنه موجّه الى شخصه نفسه «من سمع منكم فقد سمع مني ومن احتقركم فقد احتقرني » (لو ١٠ : ١٦)

ولا عجب بعد ذلك اذا رأينا الاولاد لا يُقدّمون لوالديهم الإكرام والاحترام اللائق بهم، بل يتركونهم في شيخوختهم في اعظم إهانة . ولا عجب إذا لم تعُد المرأة تحترم زوجها وتُنزله منزلة الرأس من الجسد، اذا كان الزواج عندها ليس مبنياً على أساس الدين بل على الغايات والاغراض

هذه هي الفوضى العامّة التي جعلت العالم في عصرنا مادياً لا يهمّه الا الملذّات البدنية والسعي وراء المال، واصبح ذكر الله والنفس والأبدية عند الكثيرين غائباً عن الاذهان الا في ساعة الضّيق والحاجة فقط

خامساً — الدواء لهذه الفوضى

فمن أين هذه المصائب الادبية كلّها الا من نبذ خوف الله ؟ هبّت العاصفة الكفريّة على شرقنا العزيز من خارجه ودهمتنا، ونحن لا نحذر على انفسنا ان تجتاح أعاصيرها من القلوب والعقول تقاليدَ الآداب والايمان التي اورثنا اياها الآباء والاجداد بدمائهم . فالى اين المصير ايها الاخوان ؟ وما الدواء لكل هذه العاهات ؟ الدواء انما هو في الرجوع الى الصواب . والصواب انما هو التمسك

بخوف الله فنهتمّ بآخرتنا . والانجيل يذكّرنا انّا سنؤدي لله جواباً عن كل اعمالنا حتى عن كل كلمة بطّالة، يوم الدين (متى ١٢:٣٦)

يتوهم البعض ان الكافر والسارق والفاسد لا ينالون جزاءهم بعد الخطيئة، وان الله يسكت عن أعمالهم ولا يحاسبهم . ولكنّ الجزاء والعقاب الكاملين ليسا في هذه الدنيا، وإلّا لما بقي من معنىً لوجود جهنّم للعقاب . فان الله جلّ اسمه ينتظر، وانتظاره لا يعني عدم المحاسبة . أفلا تذكرون مثل صاحب الارض الذي زرع عدوّه زؤاناً في ارضه فطلب منه عبيده ان يقلعوه فقال لهم : لا تقلعوه بل اتركوه الى يوم الحصاد، فان الحنطة تُجمع حينئذ على حدةٍ والزؤان يُجمع ويُحرق . هكذا يعمل الله مع الصدّيقين والأشرار، فانه يفسح لهم في هذه الدنيا الى يوم الدينونة . واذ ذاك تكون المكافأة عظيمة، كما يكون القصاص هائلًا (متى ٣:٢٤-٣٠ و٣٧-٤٣)، فانه هائل الوقوع بين يدي الله كما قال القديس بولس الرسول (عبر ١٠:٣١)

يستحيل ان تُترك الخطيئة بلا عقاب: فان الله لم يشفق على عددٍ كبيرٍ من الملائكة الذين خطئوا، بل دهورهم في أعماق جهنم (٢ بطرس ٢:٤) . أفتكون ايها الخاطئ أفضل من الملائكة ؟

وهو لم يترك آدم وذرّيته بلا قصاص، لاجل خطيئةٍ واحدة، بل حكم عليه وعلى ذريته بالعذاب والموت وطرده من الفردوس، وانت احد افراد هذه الذرّية، فهل يشفق عليك اذا انت اصررت على الخطيئة ؟ وهو لم يشفق على العالم الخاطئ الذي أغرقه

بالطوفان فمات بنو البشر أجمعون ما عدا نوحاً وأولاده الثلاثة (٢ بطرس ٢:٥) . لانهم كانوا ابراراً أمام عينيه . فلماذا يستثنيك الله انت وحدك ويشفق عليك اذا بقيت مصراً على خطيئتك ؟

وهو لم يشفق على سدوم وعمورة إذ تمرّغتا في حمأة الفساد، بل أمطر عليهما كبريتاً وناراً ودمّرهما مع كل سكانهما، ما عدا لوطاً واسرته (٢ بطرس ٢:٦) . لانهما كانا غير مشتركين في هذا الفساد . وانت هل يشفق الله عليك اذا بقيت مصراً على فسادك ؟

وهو لم يشفق على ابنه الوحيد، لمّا اراد ان يكفّر عن خطايا العالم تكفيراً تاماً، بل اسلمه الى الحزن والكآبة وآلام اكليل الشوك والجلد والصلب والموت . فهل يترك دم ابنه يُهدَر عبثاً اذا لم تغسل نفسك بتوبة صادقة بدموع سخينة ؟

وهو الذي خلق جهنم ونارها الابدية للخطأة المصرّين على عنادهم الذين يموتون في خطيئتهم وأعلن ان مصيرهم اللّعنة، اذ يقول لهم في اليوم الاخير : « اذهبوا عني يا ملاعين الى النار الابديّة المعدّة لابليس وملائكته » (متى ٢٥:٤١) . فاحذر منذ الآن ان يوجّه اليك يوماً هذا الحُكم الرهيب

واذا قلت ان الله رؤوف رأفة لا حدّ لها. فاجيب انه بالحقيقة غير متناهٍ في الرأفة ولكن على ذاك القلب المتخشع المتواضع الذي يقرّ بذنبه، ويرجع الى الله بصدقٍ واستقامة، لا على الذي يستغلّ هذه الرأفة ويتخذها حجة للتمادي في الضلال والفساد الى النهاية

أجل ان الله رحيم، ولكن الله عادل ايضاً وعدله لا يسمح

بان تُترك الخطيئة التي لا يندم الانسان عليها بلا عقاب . عدل الله رأيناه في الحرب الكونيَّة الاخيرة في ضربات هائلة ومصائب تفوق الوصف . هذا العدل نراه مراراً حتى في هذه الدنيا . والله يكون عادلاً اذا قطع زهرة شبابك ولم يترك لك شيخوخةً للتوبة . فاذا كان الله رؤوفاً فهل تجعل رأفته واسطةً للخطيئة ؟ أتظن انك معصوم من كل ما يحلّ بغيرك من المصائب والموت ؟ فقد آن الأوان لان تصحو وان ترجع الى الصواب : كفى ان تبقى عدواً لنفسك وتعرّضها للموت الفجائي، والهلاك الابدي، فهذا اقبح الذنوب وهو الطامة الكبرى. خف الله وخف دينونته الصارمة، وخف على نفسك من ضربات نقمته العادلة

كل المصائب لها دواء : المرض له دواء، وعذابه يتحوّل الى أجر للذي يحتمله بصبر . والموت له تعزية، لاننا بعد هذه الحياة نخلص من شقائها، ونتمتّع بحياة سعيدة اذا كانت فينا محبّة الله . والفقر له دواء، ودواؤه الشغل والصبر، واحتماله يتحوّل الى أجرٍ . ولكن ليس من دواء للخاطئ الذي يموت في حالة العداوة مع الله

فهلمّ الآن نرجع الى الله ونندب الماضي ونسير في طريق التوبة . هلم نسعى وراء سعادتنا، وراء راحة الضمير الذي هو جزء من السعادة في هذه الدنيا ووراء السعادة الحقيقية التي تنتظرنا في السماء . ولنطلب الى الله تلك النعمة التي كان داود الملك يطلبها بلهفة والحاح قائلًا له تعالى : « سمّر خوفك في لحمي » (مز ١١٨ : ١٢٠)

٦ً الاعتقادات الباطلة

ان الوصيّة الاولى بعد ان توجب علينا فضائل الايمان والرجاء والمحبة والعبادة وخوف الله، تنهانا عن الإعتقادات الباطلة المُخالفة للايمان . فانه من المحقَّق ان الايمان الصحيح يُبعدنا عن كل ما يُعاكسه من الاعتقادات، ومن المحقق ان الكبرياء التي تُبعدنا عن الاعتقاد بالايمان الصحيح تُعرض بعقلنا والحالة هذه عن حقائق الوحي الى الاعتقاد بأمور سخيفة حاطّة من شأنه . وقد كثُرت هذه السخافات في عصرنا لفتور الدين في قلوب كثيرين، حتى اصبحت طاعوناً في الآداب انتشر في قلوب كثيرين في هذه البلاد، نخصّ من ذلك اولاً الاعتقادات الباطلة او احاديث الخرافة . ثانياً الاعتقاد المُفرط ببعض قُوى الطبيعة . ثالثاً السِّحر والالتجاء الى الشيطان عدوّ الله . ولما كانت هذه الخطايا منتشرةً ومضرّةً بالنفوس وجب علينا ان نتكلّم عليها طالبين إلهام الروح القدس لكي لا نَفوه الّا بما يُرضيه

اولاً — الاعتقادات الباطلة

ان الله يُعاقب المتكبرين الذين يأبون الاعتقاد بحقائق الايمان، فيهملهم وشأنهم . فيستسلمون الى السخافات والى ما يأباه العقل السليم . فبينما هم حكماء في انفسهم، اذا هم بالحقيقة قد أضحَوا

حمق . لذلك انتشرت السخافات بين بعض من يدّعون التديّن وهم مارقون من الدين . فتراهم يحسبون حساباً لأمور تافهة ويتوهّمون أوهاماً لا يبرّرها عقل . فيتشاءمون مثلاً ببعض البيوت ومن بعض الاشخاص، زاعمين ان ذاك البيت قدُمه نحس، وان ذاك الشخص شوْم عليهم، ويخافون من اجتماعهم ثلاثة عشر شخصاً معاً، او من رؤيـة غُراب، او من السّفر في بعض أيام الاسبوع، وهلم جرًا . . . ثم هم يتفاءلون مثلاً بالتمساح ويلجأون لخزي العين الى الخرزة الزرقاء ونَعل الفرَس وما أشبه . وتراهم يعلِقون أهميّة على ما يخطّه بعض المشعوذين من الكتابة على الرمل، أو على ما يرونه في خطوط اليد، وعلى انواع من صفّ أوراق اللعب، ويفسّرون تفاسير جمّة ما تتركه القهوة من الثفل في قعر الفنجان، فيرَون فيها اسفاراً وتحارير ومقابلات وفلوساً، لا بل يفسّرون بها العواطف والنيات . واذا ادعى البعض ان ذلك من قبيل السلوى وتضييع الوقت، فواقع الحال ان كثيرين يصدّقونه بدليل ان عدداً منهم يدفعون دراهم للحصول على مثل هذه التفاسير

اعتقادات باطلة ما يَرونه في أحلامهم وما لهم فيها من التفاسير المعوّجة . فإن كل انسان نائم تشتغل مخيلته وتحلم وتتصوّر الاوهام وليس للعقل والارادة عمل فيها . اما ما يكون في الحلم من عند الله كما وردت امثاله في الكتاب المقدّس، فان الله نفسه يشفع الحلم بما يمنع الوهم ويثبت الحقيقة . وفيما سوى ذلك فان الاعتقاد

الباطل قد يكون خطيئة كبرياء وعجرفة على قدر اهمية هذا الاعتقاد

ثانياً — الاعتقاد المفرط ببعض قوى الطبيعة

ولكن ما فيه ضرر أعظم هو الاعتقاد المبالَغ فيه والمُفرط في بعض قُوى الطبيعة، مما قد يتحوّل احياناً الى السحر والالتجاء الى الشياطين

ان في الطبيعة مثلاً اجساماً يجذب بعضها بعضاً كالمغناطيس للحديد، وان بعض الحيوانات كالحيّة مثلاً تجذب بعض الطيور، فترتمي ما بين أنيابها . وان هذه الجاذبيّة او المغناطيسية توجد في بعض الناس فيشعرون بهذا السيّال فيهم ويقوّون فيهم هذه الغريزة حتى يتمكنوا من ان يسطوا على غيرهم بواسطة التنويم المغناطيسي . فيستولون على إرادة غيرهم وعلى كلّ حركاتهم ويتمكّنون من ان يطبعوا كل حركاتهم في مُخيّلة الشخص المنوَّم، حتى كأنهم ينقلون اليه شعورهم وعواطفهم وتخيّلاتهم . لذلك ترونه يقول كلّ ما يُريده منه المنوِّم كأنه آلة بين يديه . كلّ ذلك تُقرّه الاختبارات الطبيعية . لكن ما يُفرطون في الاعتقاد به هو الادّعاء ان المنوِّم يعرف المستقبل، وانه يُدرك كل شيء وكل الامور الخفيّة، ويقرأ افكار الغير وخفايا ضمائرهم . ومقدرته في الواقع لا تتعدّى معرفة تأثيرات الذي يخاطبه، تنطبع في شعوره فيعبّر عنها كأنها فيه . وهنا باب واسع لشعوذة اولئك

المنوّمين الذين يتجاوزون حدود مقدرتهم ويتظاهرون بمعرفة الغيب والمستقبل . وهنا باب واسع لضرر الشخص المنوَّم الذي يفقد إرادته فيصبح آلة لكل جرائم القتل والفساد . ولذلك قد حظر المجمع المقدّس سوء استعمال التنويم المغناطيسي . ولا تسمح به الكنيسة ألا في بعض احوال معلومة بواسطة الاطباء والاستشفاء من بعض الامراض العصبية او لدرس مفيد عن علاقة الجهاز العصبي بالعمل النفساني الخ ...

وما نسلم به إمكان تأثير طبيعي بين الانسان والطاولة التي تُدار بين يديه . ولكن ما لا يجوز الاعتقاد به هو ان هذه الطاولة تتحرك حركة عقليَّة تجعلها تكتب حروفاً، وتعدّ الحركات، وتجيب عن الاسئلة المُلقاة عليها . فهذا ما يفوق طور طبيعة الجماد، ولا يكون إلّا بواسطة الشعوذة، او بالالتجاء الى الارواح الشرّيرة التي لها قدرة على مثل هذه الحركات . لذلك تعدّها الكنيسة غير جائزة

ثالثاً — السحر والالتجاء الى الشيطان

ولكن ماهو اشدّ ضرراً الالتجاء الى الارواح الخبيثة والى الشياطين أعداء الله . وهذا ما يفعله المتجئون الى السحر والى مناجاة الارواح

فيظنّ كثيرون من المارقين من الدين او ممن يُريدون ان يشوّهوا حقائقه، ان للانسان السلطة على مناجاة الارواح كلّما

اراد بواسطة حركات معلومة، وانهم في اتصال دائم مع الارواح كأنها تحت أمرهم . وذلك اما لينشروا مزاعم تُنافي الايمان، وإما ليدعوا الشيطان الى تضليل النفوس

على ان الايمان يعلّمنا صريحاً بعض حقائق، هي عقائد دينيّة لا يجوز ان نتخلّى عنها كهذه : « ان روح الانسان أبديّة خالدة لا تموت بعد انفصالها عن الجسد . فان فارقت الجسد وهي في حالة محبة الله والنعمة ولم يبقَ عليها دَين توفيه للعدل الالهي، تتمتع بمشاهدة الله في سعادة ابديّة من حين فراقها للجسد: « من آمن بي وان مات فسيحيا . وكل من كان حياً وآمن بي لن يموت الى الابد . . . من ياكل جسدي ويشرب دمي فله الحياة الابدية » (يو ١١: ٢٥ و٢٦ و ف ٦: ٥٥)

والنفس التي تُفارق الجسد وهي في حالة النعمة، وقد بقي عليها بعض خطايا عرضيّة لم تندم عليها، او بعض ديون من خطايا ثقيلة ندمت عليها ونالت الغفران عنها، إنما لم توفِ عن القصاص الزمنيّ الواجب على هذه الخطايا، فهذه النفس تمرّ في محلّ عذاب وقتي تتطهر فيه من بقايا الخطيئة، ولا تتمتع برؤية الله الّا بعد ان تكون قد اوفت ما عليها من الدَّين للعدل الالهي . « الحق اقول لكم إنكم لا تخرجون من هناك حتى توفوا آخر فلس عليكم » (متى ٥: ٢٦)

واما النفس التي فارقت الجسد وهي في حالة العداوة مع الله اي في حالة الخطإ المميت، فهذه لتعسها تُحرَم رؤية الله،

وبالتالي تلك السعادة غير المتناهية التي يتمتّع بها القديسون، ويحكم عليها بالحكم الموجّه الى الاشرار يوم الدينونة الرهيب : اذهبي يا ملعونة « الى النار الأبديّة المعدّة لابليس وملائكته » (متى ٢٥ : ٤١) . فتستقرّ هناك مدى الابديّة . لان ابرهيم يقول للغنيّ المطروح في جهنم النار على ما ذكر الانجيل : « انّ بيننا وبينكم هوةً عظيمة قد أُثبتت فلا يستطيع الذين عندنا ان يأتوا اليكم، ولا الذين عندكم ان يأتوا الينا » (لو ١٦ : ٢٦) . ومن ثمّ فانّ هذه النفوس تبقى في عذاب دائم . فترى مما تقدم ان النفوس حين مفارقتها الاجسام تستقرّ كل واحدة منها في ابديتها ولا يبقى لاحد من سلطان على استحضارها بعمل طبيعي

الا ان ذلك لا يعني انقطاع كل اتصال ما بين الاحياء والاموات . وكم من عزيز لنا مفارقٍ نشعُر بدافع باطني عذب انه لا يزال قريباً منا . أجل ولكن شتّان ما بين هذه الصِلَة وما يحاول المشعوذون إيهام السذّج اياه من امثال ما تقدّم وصفه . ان النفوس المفارقة وسائر الارواح من ملائكة او أبالسة لا تقع تحت تأثير شيء من العوامل الطبيعية مهما كانت . ولكن هناك صِلة فائقة الطبيعة روحانية مقدّسة أسمى من ان تدخل في نطاق تلك الخرافات السابق وصفها، وهي ما تسميه الكنيسة شركة القديسين

ولا بدّ ان نعرف تعليم الكنيسة في ما يخصّ شركة القديسين بين الكنيسة الظافرة والكنيسة المتألّمة والكنيسة المجاهدة . فهذه

الكنائس الثلاث، كنيسة السماء وكنيسة المطهر وكنيسة الارض، كلها أعضاء جسدٍ واحد لرأس واحد، هو يسوع المسيح. فان القديسين في السماء يشفعون فينا ويطلبون الى الله مساعدتنا على خلاص نفوسنا وعلى نيل نعم كثيرة نافعة لخلاصنا، ولهم رغبة في خلاص نفوسنا لانهم لم ينسونا، بعد ان غادروا هذه الدنيا. والله سبحانه يقبل شفاعة أوليائه ويتمجّد بهم

وللنفوس المطهريّة قدرة ان تتوسّل لاجلنا. فهو اعتقاد ثابت وشائع في الكنيسة. لان هذه النفوس تتألّم لاجل وفاء ديونها. الّا انها لا تزال عزيزة لدى الله. ولذلك فلا مانع يمنع ان يلبّي الله طلبها في ما يؤول الى تمجيده وخلاص النفوس

وللنفوس المجاهدة على الارض صلاحيّة ان تطلب شفاعة أهل السماء، كما ان لها صلاحية أن ترفع صلواتها وأعمالها الخيرية لاجل النفوس المتألمة لكي يرأف الله بها ويصفح عن خطاياها ويقبل وفاء الديون الصادرة عن مآثمها. فذلك هو تعليم الايمان والكنيسة

والكنيسة تعلّمنا أيضاً بوجود ملائكة يحبّون الله ويسعون في خلاصنا، كما بوجود أرواح شرّيرة او شياطين قد حُكِم عليها بأن تكون مدى الابديّة في جهنم، وان الله يسمح أحياناً لهذه الارواح الخبيثة التي تحسدنا لكوننا مُعدّين ان نحلّ محلّها في السماء، ان تجرّبنا كما هو معروف في سفر ايوب وفي الانجيل ايضاً، حيث يجرّب الشيطان السيد المسيح نفسه (متى ٤ :٣ــ١١). وقد كان للشيطان سلطة أوسع قبل مجيء السيد المسيح على

الارض، كما ان له ايضاً هذه السلطة في البلاد التي لا تَدين بالدّين المسيحي. ولكن منذُ تجسُّد السيد المسيح ضعفت هذه السلطة كما كان يقول الشياطين في الانجيل للسيد المسيح: «ما لنا ولك يا يسوع ابن الله؟ أجئت الى هنا قبل الزمان لتعذّبنا؟» (متى ٨: ٢٩). ونعرف ان السيد المسيح طرد شياطين كثيرة

ولكن ما لا يسمح به الايمان هو الاعتقاد بمناجاة الارواح، كأن ارواح المائتين مُقيَّدة بامرنا، وكأن بوسعنا ان نخاطبها بالوسائل التي نُريدها. انَّ مناجاة الارواح عملٌ يعيشُ منه المشعوذون. فان هذه البدعة انتشرت انتشاراً هائلاً، يتخذها المارقون من الدين وسيلةً لان يخترعوا قانون إيمانٍ جديداً وان يضلّوا النفوس. كما ان الارواح الخبيثة تجتهد في ان تخدع النفوس التي تستسلم لها. فان السيد المسيح سمّى الشيطان كذّاباً وأبا الكذب (يو ٨: ٤٤). وقال القديس بولس ان الشيطان يظهر احياناً بمظهر ملاك نور ليضلّنا (٢ كور ١١: ١٤). وعليه فانّ الكنيسة تمنع في رسالة كتبها المجمع المقدس سنة ١٨٥٦، وفي رسالة أخرى ظهرت أيام الحرب الاخيرة سنة ١٩١٧ كلّ اشتراك مع هذه الارواح، وتحظر الالتجاء الى الذين يمارسون هذه الاعمال، وتمنع حضور هذه الحفلات تحت ثقل الخطإ المميت. وليس لنا الّا ان نشكر الله على وجود الكنيسة الواقية لنا من الضلال والفساد والراعية نفوسنا في مراعي الخلاص

والوصيَّة الاولى تمنعنا ايضاً من الالتجاء الى السَّحرة:

لان الساحر إماً مُشعوذ واماً مشترك مع الشيطان . فان كان مُشعوذاً فلا يجوز لنا ان نستسلم لمَن يغشنا، وان كان مشتركاً مع الشيطان فبأولى حجة لا يجوز لنا ان نلجأ الى عدوّ الله، ولو كان لنا في ذلك منفعة مادّية او معرفة ما نجهله، لاننـا بذلك نفضل الشيطان على الله، ونحرم انفسنا محبة الله وميراثه . وهذه الخطيئة هي ثقيلة جداً حتى ان الكنيسة في بعض الابرشيات جعلت بين الخطايا المحفوظة في الاعتراف لغبطة البطريرك خطيئة من يلتجئ الى السحرة، ولا عجب في ذلك

فلنلتجئ الى الله في كل امورنا . والى السيد المسيح الذي قال لرسله : قد اعطيتكم سلطاناً لتدوسوا الحيّات والعقارب وقوّة العدوّ كلها ولا يضرّكم شيء،، والذي رأى الشيطان ساقطاً من السماء كالبرق (لو ١٠: ١٩ و١٨) . وقد وصف خوري أرس القديس الشيطان بانه كالكلب المربوط لا يقدر ان يضرّ الا من يقترب منه . ولنلتجئ الى الصليب الذي يرتعد منه الشيطان، والى القربان المقدّس، فهو السيد المسيح نفسه الذي سحق رأس الشيطان، وهو يعلّمنا ان نبتعد عن كل الخرافات والاعتقادات الباطلة

الوصية الثانية

لا تحلف باسم الله بالباطل

انّ الوصيَّة الثانية تعلِّمنا احترام اسم الله فتوجبُ علينا هذا الاحترام بالكلام وبالمحافظة على ما ننذره لله . وتنهانا عن الحَلف باسمه بالباطل واهانة اسمه القدوس بالتجديف . وكل ذلك، كما هو واضح، راجع الى وجوب تقديس اسم الله، هذا الاسم الذي تجثو لذكره كل ركبةٍ والذي علّمنا السيد المسيح في الصلاة الربية أن نطلب تقديسه بقوله : « أبانا الذي في السماوات ليتقدّس اسمك » (متى ٦ : ٩) . وعلى ذلك فنحن نبحث في هذه الوصية اولاً عن الحلف . ثانياً عن النذر . ثالثاً عن التجديف

اولاً — الحلف

ان الذي يحلف باسم الله يتّخذ الله شاهداً على صحّة مايقول او ما يعِد به . والغاية من الحلف ان يزداد السامع وثوقاً بصحة ما يُقال . فالحلف في ذاته يدلّ على اكرام الله . لانه يعني الاعتقاد الراسخ بصدقه تعالى، حتى ان الله نفسه لما اراد ان يعزّز وعده لابرهيم قال له : « بنفسي اقسمت لاجعلنَّ نسلك كنجوم السماء » (تكوين ٢٢ : ١٥ـ١٧) . والقديس بولس يقول في الرسالة

الى العبرانيين : « لما شاء الله ان يزيد ورثة الموعد بياناً لعدم تحوُّل عزمه، توسط بالقسم ... لان الله عند وعده لابرهيم اذ لم يُمكن ان يقسم بما هو اعظم منه اقسم بنفسه » (عبر ٦ : ١٧ و١٣) . وعلى ذلك فالحلف في حدّ نفسه باعتباره استشهاداً بصدق الله لاثبات حقيقة، أمرٌ جائز . لانه اذا كان الله الذي هو القداسة بالذات يحلف فيجوز لنا نحن ايضاً ان نحلف . وفعلاً اننا نرى القدّيسين في العهد القديم يحلفون : فابرهيم يطلب من عبده لعازر ان يحلف له ان لا يأخذ لابنه اسحق زوجةً من بنات الكنعانيين (تكوين ٢٤ : ٣) . ويوسف يحلف لابيه يعقوب بان ينقل رفاته الى قبر آبائه (تكوين ٤٧ : ٣١) . والقديس بولس يستشهد الله بانه لم يزل يذكر أبناء الرومانيين في صلواته دائماً (رومة ١ : ٩)

لذلك نرى الحكومات تطلب من بعض مستخدَميها الحَلف على ان يكونوا امناء . والمحاكم تطلب من الشهود ان يحلفوا على ان يقولوا الحقّ كلّه . والناس لعدم ثقتهم بعضهم ببعض يطلبون احياناً ان يكون القسم موثقاً للعهود او مثبتاً لما يُقال . وذلك كله مظهر من مظاهر الايمان بوجود الله واحترام اسمه القدوس

فالحلف إذن شرعيّ . ولكنه لا يجوز الا اذا حقق ثلاثة شروط، على ما قال ارميا النبي (٤ : ٢)، اي ان يكون بالحقّ والحكم والعدل . فمن أخلّ في حلفه بأحد هذه الشروط يرتكب إثماً

فمن يحلف بخلاف الصدق يأثم . وكذلك من يحلف واعداً بشيء على نيّة ان يحنث بوعدهِ يأثم . ومن يحلف بعمل شيء ولا يُتمه يأثم ايضاً ما لم يمنعه مانع لا سبيل الى دفعه . فكل ذلك مخالف للحق . وهذا الإثم كبيرٌ لانه يتخذ الخالق في هذه الاحوال واسطةً للغشّ والخداع . وبذلك يُهين اسمَ الجلالة اعظم إهانة

والذي يحلف بغير داعٍ او لاجل أمور تافهة يأثم، وهذه خطيئة من تعوّدوا الحلف : فتسمعهم يحلفون بدون تروٍّ ولا تفكير، كأن اسم الله مما يستهانُ به، في حين اننا نحن البشر الضعفاء يغيظنا ان يحلف الناس باسمنا لامور لا تليق بمقامنا

ومن الممكن ان لا يكون الحلف دائماً خطيئة ثقيلة لوجود ظروف مخففة له، اما لعدم الانتباه او لعدم تعمّد إغاظة الله، ولاسيما اذا كان صادقاً، لكنه لامور تافهة

وعلى كل حال يجب ان يكون الحلف مقروناً بالعدل، اي لاتمام أمر جائزٍ فعله مرضيٍّ لله . وعليه لا يجوز ان نحلف ان نتمّ عملاً محرّماً مهما كان، كما حلف هيرودس مثلاً ان يلبّي طلب هيروديا ولو كان جائراً . فكان يجب عليه، بعد ان طلبت هيروديا رأس يوحنا المعمدان، أن لا يقومَ بوعده، لان اتمامَ وعده زاد إثمه إثماً

وعلى ذلك فالذين يحلفون ان ينتقموا او ان يشتركوا في الاثم او ان يتبعوا جمعيّة سرية كالجمعيات الماسونيّة، يكون حلفهم باطلاً فضلاً عن كونه إثماً، ولا يجوز لهم القيام به . والذين يحلفون

كذباً لكي يبيعوا بضاعتهم يأثمون ولو كان في ذلك ربح العالم باسره . لانه لا يجوز ان نرتكب الخطيئة لنحصل على منفعةٍ مادّيةٍ . والسيد المسيح يطلب منا ان نمتنع عن الحلف في كلامنا : «لا تحلفوا البتة لا بالسماء فإنها عرش الله، ولا بالارض لانها موطئ قدمَيه . . . ولكن ليكن كلامكم نعم نعم، ولا لا . وما زاد على ذلك فهو من الشرّير » (متى ٥:٣٤ـ٣٧) والمُراد من ذلك منع ما كان ولا يزال جارياً في ايامنا من المجازفة بالحلف لكل تافهةٍ نقولها، كاننا نسيطر على كرامة الله لاجل عجرفتنا . وان اضطررتم الى الحلف فليكن ذلك ايضاً بحقٍّ وحكمٍ، اي فليكن كلامكم صحيحاً، وليكن الحلف لامرٍ خطيرٍ يستحق ان يُحلَف لاجله

ثانياً — النذر

ان الوصية الثانية توجب علينا وفاء النذر، ولكي نفهم ذلك، يجب ان نعرف ما هو النذر وما هي واجباته

فالنذر هو وعدٌ لله صادر عن حريّة وانتباه بامر حسن ممكن وافضل من عكسه

وعلى ذلك فالنذر من بعد ابرازه يُصبح مُلزماً صاحبه بقوة فضيلة الديانة الزاماً ثقيلاً، لانه ليس مجرّد نيّة ننوي اتمامها . بل انما هو عهدٌ نقطعه على انفسنا مع الله بمنزلة شريعة خاصة علينا نحوه تعالى . فالذي يقصد مثلاً زيارة القدس لا ينذر . ولكن

الذي يوجب على نفسه هذه الزيارة تحت ثقل الخطيئة فهو ينذر. وهذا الوَعد يجب ان يكون لإتمام أمر خير من العمل المضادّ له، اي خَير من الامر الذي يعاكسه، او من الامر الذي يُهمل عملَه. فالذي ينذر ان يعمل عملاً شرّيرًا يكون نذره باطلاً. واماً الذي ينذر الطاعة او الفقر او العفّة، فاذ هو ينذر اتمام أمر خَير من العمل المضادّ له اي خير من عدم الطاعة او من الزواج او من استعمال المال، يكون نذره صحيحاً مقبولاً. ولا يكون النذر اجباريا الا اذا تمّ في حالة الانتباه العقليّ وكمال الرضى معاً. والا كان النذر باطلاً

ولنا في النذور الرهبانية خيرُ مثالٍ لتفسير النذر: ففي النذر الرهباني وعدٌ لله ملزمٌ صاحبه تحت ثقل الخطإِ المُميت. وهذا الوعد بإتمام امر حسن خير من العمل المضاد له، اي باتمام الطاعة التي هي خيرٌ من امتلاك الحرية، وبحفظ الفقر الذي هو خيرٌ من استعمال المال، وبحفظ العفّة التي هي خيرٌ من الزواج. ولا شكّ ان في حفظ النذور الرهبانية خير واسطة للوصول الى الكمال

فينتج صريحاً مما تقدّم ان من ينذر نذراً يكون مُلزَماً باتمامه على حسب قول الله تعالى في تثنية الاشتراع (٢٣ : ٢١-٢٣): « اذا نذرت نذراً للرب الهك، فلا تؤخر وفاءه لان الرب إلهك يطالبك به. فتكون عليك خطيئة... واما ما خرج من شفتيك، فاحفظه واعمل كما نذرت للرب إلهك تطوّعاً كما قلت بفيك »

واما اذا كان النذر مقيّداً بشرط فانه لا يكون مُلزماً الا

بعد ان يتحقق الشرط، كما لو نذرت صدقة اذا شفيت من مرضٍ، فاذا شفيت كان عليك ان تفي بنذرك هذا باقرب وقت ممكن

ولا حاجة الى تقديم البرهان على وجوب وفاء النذر، لاننا اذا وَعدنا انساناً بشيء ولم نبرّ بوعدنا نحسَب ناقصين او حانثين بوعدنا، فكم بالحري اذا وعدنا الله يجب علينا احتراماً لاسمهِ القدوس ان نفي بوعدنا له ؟ انّ في النذر اكراماً لله وثقة بالله في اعظم الاخطار . فان استجاب الله طلبنا كان من الواجب علينا ان نفي ما نذرناه له

ترون مما سبق ان النذر هو اكرام لله، وان في وفائه مسؤولية . فإما ان لا ننذر، واما ان نكون حريصين على القيام بما نذرناه، محاذرين في ذلك الاهمال والنسيان كليهما

ثالثاً — التجديف

ان الوصيّة الثانية تنهانا عن الحلف بالباطل وتوجب علينا وفاء النذور، وتمنعنا من التجديف . تلك الاهانة التي يوجّهها الانسان في ساعة الغضب او في حالة البُغض الى الله جلّ جلاله . فيكفُر بقُدرة الله وبقداسته ومحبته . قد يكون لباقي الخطايا ظاهر حجة ولو فارغة اذ يندفع الخاطئ في خطيئته اندفاعاً اعمى نحو اللذّة الجسدية مثلاً، ونحو الانتقام وما اشبه . اما خطيئة التجديف فتكون موجّهة مُباشرة الى الله جل جلالُه . وليس فيها شِبهُ عذرٍ يبرّرها لانها موجّهة الى من أوجد المجدّف في

الحياة وأعطاه جميعَ الخيرات، الى مَن هو القداسة بالذات، الى الذي سيدين الاحياء والاموات . وان لم يَصعق الله المُجدِّف فما ذلك الا من باب الرحمة وطول الاناة، لعلَّ الخاطئ الوقح المسكين يرعوي ويتوب، وهو لا يضرّ الا نفسه، فيغفر له الله

جدّف اليهود على المسيح المصلوب . فاستنزلوا على نفوسهم نقمة يتوارثونها جيلاً بعد جيل . وجدّف مضطهدو الكنيسة على الله، فبادوا، وأصبح الشهداء همُ الظافرين . جدّف يوليانوس الجاحد على المسيح فكان ذلك وبالاً عليه وأورثه اليأس الى حدّ انه رشق نحو السماء دماءه بيده من جرحٍ اصيب به في الحرب، ثم مات وهو يقول : « لقد غلبتَ يا جليلي » . جدّف الهراطقة على ألوهيّة المسيح وعلى كل الحقائق المسيحية، فبقيت أسماؤهم معروفة بأسماء الهراطقة والباغضين . جدّف الكفَرة على اسم السيد المسيح فبادوا، وكنيسة المسيح بقيت ظافرة . جدّف أناس كان قد سبق لهم ان تألموا وتعذّبوا وجاهدوا، فخسروا اجرَهم، ولم يبقَ لهم الّا عقاب اعمالهم . أغرَت امرأة ايوب زوجها ان يجدّف على اسم الله، بعد ما عانى من العذاب ما عاناه، فقال لها : « انما كلامك كلام احدى السفيهات، أنقبل الخير من الله ولا نقبل منه الشر ؟ » (ايوب ٢ : ٩ و ١٠)

كلّنا ايها الإخوة في هذه الدنيا نُشبه المصلوبَين اللّذين صُلبا عن يمين ويسار السيد المسيح . وكلّنا نتعذب . لكن عذاب كلٍّ منا يختلف عن عذاب غيره . فإذا صبرنا فالسيد المسيح

يقول لنا ما قاله للص المصلوب عن يمينه : « اليوم تكون معي في الفردوس » . واذا جدّفنا مثل لصّ الشمال كنا تاعسين في هذه الدّنيا وفي الآخرة

كان عقاب المجدّف الموت في ناموس موسى، على ما ورد في سِفر الاحبار (٢٤ : ١٤) . وكذلك قانون يوستنيانس كان يحكم بالموت على المجدّف . وكانت الكنيسة في أول عهدها تحكم على المجدّف ان يمكث سبعة اسابيع على باب الكنيسة تائباً مستغفراً وان يصوم كل يوم جمعة مدّة سبعة اسابيع على الخبز والماء . ولما اراد القديس يوحنا فم الذهب ان يفسّر اسباب المصائب الحالّة على العالم قال : « أليس ذلك من التجديف ؟ »

فلنتوكّل ايها الإخوة على العناية الالهية التي لا تسمح بان تسقط شعرة من رؤوسنا بدون اذنها (لو ٢١ : ١٨) فلنسلّم أمورنا الى السيد المسيح القائل : « طوبى للباكين (لو ٦ : ٢١) . طوبى للحزان » (متى ٥ : ٥)

ولنردّد دائماً ما ورد في الصلاة الربية قائلين : « ليتقدّس اسمك » . وحينئذٍ اذا صبرنا نقتني أنفسنا (لو ٢١ : ١٩) . « ومن يصبر الى المنتهى يخلص » (متى ٢٤ : ١٣) . وليكن ذلك خير مانع لنا من التجديف

الوصية الثالثة

احفظ ايام الآحاد والاعياد

ان كل الايام هي لله . لانه هو مُوجد الاوقات ومرتبها بقُدرته . وكل حياتنا هي لله ايضاً ، لاننا منه نستمدّ الوجود والحركة والحياة . وعليه فاننا اذا وقفنا لخدمته كل افكارنا وأعمالنا واقوالنا لايكون ذلك منا الا قياماً عادلاً بخدمة واجبة . قد سبق ان رأينا في الوصية الاولى وجوب خضوع عقلنا وإرادتنا وقلبنا لله بالايمان والرجاء والمحبة ، ووجوب خضوع جسمنا له بواجب العبادة . ورأينا في الوصية الثانية كيف يجب علينا احترام اسم الله بالامتناع عن الحلف بالباطل وعن التجديف . اما في الوصية الثالثة فان الله تعالى يوجب علينا ان نخصّص له يوماً بنوع ممتازٍ نمتنع فيه حتى عن الاشغال اليدويّة لنتفرّغ لعبادته عبادةً روحية خاصة

ان الله بعد ان خلق النُّور وبسَط الجلَد ، ونثر النجوم والكواكب في عَرض السماء ، وخصص الشمس لحُكم النهار والقمر لحُكم الليل ، وبرأ الحيوانات والطيور ، جبل الانسان في اليوم السادس ونفخ فيه نسمةَ حياة . ولمّا انتهى من الخَلق استراحَ في اليوم السابع ، وبارك الله اليوم السابع وقدّسه ، لانه

فيه استراح من جميع عمله الذي عمله كما يقول الكتاب المقدّس . فالوصية الثالثة التي هي مكمّلة للوصية الاولى تطلب منّا وجوب الراحة من الاعمال اليدوية في يوم الرب، وتعلّمنا كيفية تقديس هذا اليوم

اولاً – وجوب الراحة في يوم الرب

ان الله امر بوجوب الراحة في يوم الرب منذُ بدء الخليقة، واثبتَ ذلك في عهد موسى بوجوب تقديس يوم السبت ثم حوّل في العهد الجديد يوم السبت الى يوم الاحد

قلنا ان الله جل جلاله بعد ان اتمّ الخلق في ستة ايام استراح في اليوم السابع، وبارك هذا اليوم بنوع خاص وقدّسه. ومهما كانت هذه الايام الستة المقول عنها في الكتاب سواء كانت اياماً مؤلفة من اربع وعشرين ساعةً ام كان كل منها فترة غير محدودة من الزمان كما هو الرأي المرجح بين علماء الكتاب المقدس، فقد اظهر الله ارادته بالراحة في اليوم السابع بايجابه تقديس هذا النهار. ولذلك نظر الآباء الاولون منذ اقدم العصور الى هذا اليوم كيوم مقدّس، وفهموا انهم مأمورون بتمييزه عن سائر الايام بمظهر ديني خاص لتكريم الله وعبادته . ففي يوم الرب او يوم الراحة بدأ آدم بالشكر لله على نِعَم الخليقة كلّها. ويمكن القول انه في مثل هذا النهار قدم هابيل وقايين قرابينهما لله. فقدّم هابيل من اجوَد أبكار غنمه . وقدم قايين من ثمار ارضه .

وفي مثل هذا النهار ابتدأ أنوش بالدعاء باسم الرب . ونلاحظ في التاريخ ان كل أمم الارض شرقاً وغرباً تخصص لخدمة الله او الآلهة يوماً معيناً في الاسبوع، مما يدلّ على مصدر واحد . ويمكن القول ان التعليم الالهي الذي تلقاه آدم رأساً من الله قد تناقله بنوه عنه على مدى الاجيال . ولما اذاع الله على البشر عن يد موسى وصاياه العشر في طورسيناء ما بين البروق والرعود أمر بوجوب الراحة في يوم الرب، لا بوصيةٍ جديدة بل بتعزيزه عهداً قديماً بقوله : « اذكر يوم السبت » (خروج ٢٠ : ٨) . وقد أظهر له رغبته في وجوب حفظ هذه الوصية بنوعٍ خاص، فوعد بكلّ الخيرات الارضية لمن يحفظها وهدّد بكل العقابات من يخالفها . لا بل قطع عهداً بينه وبين شعبه اسرائيل، وجعل علامة هذا العهد حفظَ يوم السبت . وقد اراد ان يرسخ في شعبه حفظ هذه الوصية، فأمر بقتل كل من يخالفها (خروج ٣١ : ١٤) حتى انه أمر بانزال هذه العقوبة بمَن جمع الحطب يوم السبت (عدد ١٥ : ٣٢-٣٦) . « وكلّم الرب موسى قائلاً : وانت فمُر بني اسرائيل وقل لهم : سبوتي احفظوها، لأنها علامة بيني وبينكم مدى أجيالكم، لتعلَموا اني انا الربُّ مقدّسكم . فاحفظوا السبت فانه مقدّس لكم . ومَن خرقه يقتل قتلاً . كلُّ من يعملُ فيه عملاً تنقطع تلك النفس من شعبها . في ستّة ايام تصنع الاعمال، وفي اليوم السابع سبت عطلة مقدّس للرب . كلُّ من عمل عملاً في يوم السبت يُقتل قتلاً . فليحافظ بنو

اسرائيل على السبت مواظبين عليه، مدى اجيالهم عهداً أبدياً . هو بيني وبين اسرائيل علامة الى الدهر » (خروج ٣١: ١٢-١٧)

وقد بارك الرب الشعب الاسرائيلي ما دام حافظاً يوم السبت، كما انه قد ابتلاه بالمصائب والنفي كلما شذّ عن حفظ هذه الوصية . ولما أمر قورش باعادة بناء الهيكل كان الداعي الاكبر الى بنائه، تقديس يوم السبت . فاعتاد الشعب ان يعلق أمر خلاصه بحفظ هذا اليوم

وقد بلغ من تدقيق الشعب الاسرائيلي في حفظ هذه الوصية ولاسيما الفريسيين منهم، في عهدِهم الاخير ان تجاوزوا كل معقول في طريقة القيام بها، حتى انهم كانوا يتشكّون من السيد المسيح لصنعه العجائب يوم السبت، ويحظرون على المرضى الاستشفاء في يوم السبت . وقد اظهر السيد المسيح بُطلان هذا المعتقد المتجاوز حدود العقل بقوله : « ان السبت جُعل لاجل الانسان لا الانسان لاجل السبت » وانه هو ربّ السبت يفعل ما يشاء (مر ٢: ٢٧ و ٢٨)

ثم تحوّل يوم السبت الى يوم الاحد دلالةً على انتقال العهد القديم الى العهد الجديد . وأسباب هذا الانتقال أهمها قيامة السيد المسيح من بين الاموات إذ انه في مثل هذا النهار جرت الاعجوبة التي اثبتت ألوهية السيد المسيح ، وفيه أُقفلت ابواب الجحيم، وتصالح البشر مع الله، وتمّ عمل الفداء البشري . لذلك يهتف القديس يوحنا فم الذهب : ان يوم الاحد هو يوم الانتصار .

في يوم الاحد حلّ الروح القدس على التلاميذ بشبه ألسنة ناريّة فبدأ التلاميذ يتكلّمون بكل الالسنة لاذاعة الانجيل المقدّس. وألقى القديس بطرس خطاباً ردّ فيه الى الايمان الوفاً من اليهود. فنالوا العماد في النهار نفسه وكان فيه تأسيس النصرانية

في مثل هذا النهار وهو أوّل يوم من الاسبوع ظهر يسوع لتلاميذه والابواب مُغلقة. وفي نهار الاحد اوّل يوم من الاسبوع بدأ الله عمله بخلق النور وبخلق العالم . وفي نهار الاحد كان المسيحيون الاولون يجتمعون ويصلّون ويقيمون الاسرار ويتناولون القربان المقدس على ما ذكر المؤرخون وعلى ما ذكر القديس يوستينوس محامياً عن سلوك المسيحيين في بدء النصرانية

وفي يوم الاحد تطلب منا الكنيسة الراحة اي الامتناع عن الاشغال اليدويّة، ما عدا الضروريّة منها لحياتنا، والامتناع عن كل الاشغال التي يكون للجسم فيها الحظّ الاوفر . حتى انها تحظر علينا هذه الاعمال اليدويّة، ولو لم تكن لمكسب او كانت لمكسب غايته الحسنة . وتسمح بالاعمال التي يكون للعقل فيها الحظ الاكبر مثل القراءة والكتابة والتصوير ومزاولة الفنون الجميلة من تأليف وترنيم وعزف بآلات الموسيقى وما شاكل ذلك من الاعمال العقليّة

ثانياً — تقديس يوم الرب

على ان الغاية من الراحة يوم الاحد ليست في الاصل

لإراحة الجسد، بل لغذاء الروح بدرجة اولى وخدمة الله. ذلك لان الامور المادّية تستغرق اوقاتنا، وتلهينا عن خدمة الله، وتكاد تنسينا واجبات النفس، فأراد الله ان يُخصص هذا النهار لانعاش النفس باعمال التقوى والخير والصلاة

كان المسيحيون الاولون يقدّسون يوم الاحد على ما يلي، طبقاً لما ورد في نصّ القديس يوستينس الفيلسوف المهتدي الى الدين المسيحي في القرن الثاني : « ان المسيحيين في فجر النهار المدعوّ نهار الشمس اي الاحد يجتمعون في محلّ واحد، في المدُن والقرى كلّها، تاركين أشغالهم . فيبتدئون بقراءة اعمال الرسل و كتابات الانبياء . وبعد القراءة يقوم الكاهن فيحرّض الشعب على المحافظة على ما سمعوه . ثم يقدّم لله الخبز والخمر . ثم يتلو الكاهن بورع جزيل الصلوات وأعمال الشكر ويجيب الشعب آمين . ثم يوزّعون على الحاضرين ما قدّسه الكاهن ويرسلون منه الى الغائبين بواسطة الشمامسة »

كلّكم ترون في هذا الوصف ترتيب القدّاس الالهي الذي كان المسيحيون الاولون يحافظون على حضوره . والقديس بولس يقول ان اجتماع المسيحيين وحضورهم كسر الخبز كان يصير في اول الاسبوع، اي يوم الاحد (اعمال ٢٠:٧ و ١ كورنتس ٢:١٦). وقد حافظ المسيحيون على تقديس يوم الرب على توالي الاجيال في جميع الممالك والشعوب، الى حد ان بعض الممالك المسيحية تنقطع الان عن الشغل تماماً ايام الآحاد، حتى لا تجد فيها مخزناً

مفتوحاً . ذلك ما شاهدناه مثلاً في مدينة لندن العظيمة

على ان كثيرين منا اخذوا ينسون ان يوم الرب ليس في وضعه وغايته يوماً لراحة الجسد فقط بل هو يوم الغذاء العقلي والروحي، بحضور القداس والتناول، وبمطالعة الكتاب المقدس وسير القديسين، وبممارسة اعمال الرحمة مثل عيادة المرضى وزيارة المسجونين

واذا شاهدنا البعض في هذه البلاد كيف يقضون يوم الاحد نرى بالأسف انهم لا يكترثون له في شيء من حيث هو يوم الرب . بل انهم ينتهزون هذا اليوم ليسهروا في الليلة السابقة سهرةً طويلة يجهدون فيها نفوسهم بالملذّات والطعام والشراب واللّعب حتى يتعذّر عليهم النهوض من النوم قبل الساعة العاشرة صباحاً . واذا حضروا القداس فانما هم يحضرون جزءاً منه ثم يقضون باقي النهار في المقاهي بين لعبٍ ولهوٍ ورقص وطرب وحضور السينما والروايات كأن لا شيء لديهم يهتمون به سوى ذلك، حتى أصبح هذا النهار عندهم يوم الشيطان لا يوم الرب

اما المسيحي الحقيقي فلا يتصرّف هكذا . بل يجعل القداس اهم جزء من النهار، فيحضره في كنيسته الرعويّة . ويحضره بتمامه وهو مصغٍ منتبه بورع وخوف الله، مقدماً المثل الصالح للجميع بتديّنه ووقوفه بهيبةٍ ووقار في بيت الرب . وكثيراً ما يختم عمله هذا المقدّس بالتناول الذي هو غذاء النفس الروحي . واني لاهنئ بنوعٍ خاص البعض من الحاضرين الذين يأتون من اماكن بعيدة ليداوموا على حضور القداس في هذه الكنيسة . أهنئ الذين لا يمنعهم الحياء البشري

او الانهماك في الماديات من تغذية نفسهم بتناول جسد الرب

يجب ان لا يمرّ يوم الرب او يوم الاحد دون ان نقرأ فصلاً من الكتب المقدسة او من سِيَر القديسين، وبغير ان نعمل حسنةً او عملاً خيرياً او نزور القربان المقدّس او نحضر صلاة الغروب، وزياح القربان المقدس، او نمارس شيئاً من اعمال الرحمة الروحية والجسديّة

واني لَأحب ان اذكِّركم بما رأيته يوم الاحد في بعض سهول مدينة لندن العظيمة من عادة اجتماع عدد كبير من المسيحيين كل يوم احد . فكانوا ملتفّين جماعاتٍ جماعاتٍ، كل مذهب حول مُريديه يسمعون الخطَب الدينية ويُلقون الاسئلة ويتباحثون فيما هو نافع لانفسهم . وقد كان بوسع هولاء ان يقضوا مثل هذا الوقت كما يقضيه غيرهم في اللهو واللعب

وما ابهج وادعى الى السرور ان نرى في مثل هذا النهار جمعيات القديس يوحنا فم الذهب تتبارى في اتخاذ الوسائل لجلب الحسنة للفقير بمجموع ألعاب وملاهٍ طاهرة من موسيقى فتّانة واسواق شفقة ومقهى ومطعم، الى آخر ما هنالك من اسباب الطرب والسرور العائدة فائدتها لاطعام الفقير وتعليم الاولاد ومعالجة المريض

واني أدعوكم الى تشجيع مثل هذه الاعمال الخيرية لكي تمجّدوا الله يوم الاحد . وعلى هذا المنوال تُصبح جميع أيام الآحاد والاعياد ايام الرب نافعة لنفوسكم وخلاصكم الابدي



الوصية الرابعة

اكرم اباك وامك فيطول عمرك

واجبات الوالدين لاولادهم

ان الوصايا الاولى الثلاث تأمر باحترام الله . اي احترام حقوقه واسمه وتقديس يوم الاحد . وأما باقي الوصايا فتعلّمنا احترام الوالدين واحترام حياة القريب ومالهِ وعرضه . وها نحن نبدأ بالوصيّة الرابعة : « اكرم اباك وامك فيطول عمرك » . الا اننا قبل ان نذكر واجبات الاولاد لوالديهم نرى من الواجب ان نشرح واجبات الوالدين لاولادهم . فمتى حافظ الوالدون على واجباتهم لاولادهم، هان لهم ان يحصلوا على حقوقهم عليهم

ان الله تعالى خوّل الوالدين سلطةً رهيبة . فبعد ان خلق آدم وحواء جعل فيهما قوّة النموّ واشركهما بنوع ما في عمَل الخلق بقوّة التناسُل بقوله : انميا واكثرا واملأا الارض واستوليا عليها (تكوين ١:٢٨) . فالله الآب، الخالق الاول لكل مخلوق والذي لا يأتي احد الى العالم إلا باذنه، اعطى الوالدين سلطته على اولادهم بما عهد اليهم ان يقوموا مقامه لديهم . فالولد الذي يكرمهما يكرم الله

اولاً — تربية العقل والقلب

على ان ما للوالدين من السلطة الرهيبة على الأولاد، وما تُوليهم من الحقوق عليهم، يُلزمهم بواجبات ثقيلة مهمّة يجب عليهم ان يقوموا بها، حتى لو أهملوها وقعوا تحت طائلة مسئولية شديدة يوم الدين الرهيب . فخلاصهم الابدي منوط بحسن القيام في تربية اولادهم . وهذه الواجبات لا تقتصر على الاهتمام بالجسد فقط، بل تتناول الاعتناء بالنفس ايضاً، وذلك بتربية العقل على معرفة الحقائق، وتهذيب القلب على طاعة الله وممارسة الفضيلة. فيترتب عليهم للوصول الى هذه الغاية اعطاء المثل الصالح والاضطرار احياناً الى تأديبهم

واولاً لا ارى نفسي في حاجة الى ان اشدّد عليكم في وجوب الاهتمام بحياة اولادكم وبكل ما يلزمهم من اكل ولبس والمحافظة على صحتهم والسعي في إيجاد وظيفة تضمن لهم معاشهم في كبرهم . فان ذلك كله ما يمكن القول عنه انكم غير مقصّرين فيه . فالرجل المُهمل الكسلان المُحب البطالة العاكف على السكر واللعب والقمار، وغير المُكترث لحياة أولاده ولوازمهم، نادر بيننا والحمد لله. فانكم تسعون عموماً الليل والنهار، تكدّون وتقاسون المشقّات، بل تبذلون حياتكم في مصلحة اولادكم، وحسناً تفعلون . ولكن الكثيرين يفعلون ذلك بدافع الحنوّ الطبيعي مستلذّين التعب والنصب في سبيل راحة اولادهم،

مستصغرين كل ضحية لاجلهم، وذلك وايمُ الحق من تدبير العناية الالهية التي جعلتكم وكلاءها نحو اولادكم . وهي التي لا تنسى زنابق الحقل وعصافير السماء، وقد وعدَت ان لا تنساكم وان تساعدكم . الا ان الاجدر بكم ان لا تقفوا عند حدود الشعور الطبيعي بل تتساموا الى ما فوق لتقديس جهادكم

فان مزيد الاهتمام برفاهة الاولاد وصحتهم قد يجعل الاغنياء منكم يعلّمون اولادهم الترف، ويدفع الفقراء منكم ان يتجاوزوا حدود طاقتهم لارضاء اولادهم . نرى كثيرين من الاغنياء لا يحرمون اولادهم شيئاً من رغوباتهم ومطاليبهم المعقولة وغير المعقولة، حتى تمكنت الأثرة والطمع في الاولاد . فيتعلمون البذخ والاسراف غير مكترثين للاقتصاد، ويكبرون ويكبر معهم الطمع وحب الذات، حتى انهم ينزوون في ملذّاتهم الشخصية وتقسو قلوبهم على الغير ولا يذخرون شيئاً لمساعدة اهلهم وذويهم ولا لاعمال البر والاحسان . ونرى كثيرين من الفقراء يجهدون انفسهم جهوداً فوق الطاقة ليكسوا اولادهم وبناتهم كسوةً تفوق مقدرتهم الماليّة، حتى لقد يحرمون أنفسهم ضروريّات الحياة، ليتبرّج اولادهم وبناتهم بالُحلى والحلل . ويا ليت هؤلاء الاولاد يُدركون دائماً جهود الوالدين . أوَ ليس في الطبيعة مسوخٌ من هولاء الاولاد، الذين يُبطرهم الترف في التأنّق باللباس ويحتقرون والديهم البسطاء ويخشون ان ينتسبوا اليهم ؟ لذلك قلتُ لكم ان من الواجب تقديس العاطفة الطبيعية بعاطفة المحبة الالهية لتأمنوا الشطط وتربحوا

في السماء اجر هذا الجهاد

أجل . واكرر لكم انه لا يجوز ان يعزب عن ذهنكم ان وجوب الاهتمام بالنفس يفوق وجوب الاهتمام بالجسد، على قدَر ما تفضل النفس الجسد . فان الله يرزقكم اولاداً ليشاركوه يوماً معكم في السعادة الابديّة، ولكي يكونوا معكم اولاد الآب السماوي في ملكوته . ومن ثم يجب ان تضعوا ايها الوالدون نصب عيونكم امر خلاص اولادكم وتهذيب عقولهم على معرفة الحقّ وتهذيب قلوبهم على حبّ الفضيلة

اننا لا نجهل ما تبذلونه من الجهود في تثقيف اولادكم بوضعهم في المدارس الراقية، وكثيرون منكم يبذلون ما فوق طاقتهم لوضع اولادهم في المدارس العالية طالبين ان يضمنوا لهم بذلك مستقبلاً حسناً . على ان العلم بلا تربية ناقص، بل مُضرّ، كما قال الرسول « العلم ينفخ » (١ كور ٨:١)، وما اكثر عدد المتعلّمين المُجرمين ! ففوق علم الطبيعيات والرياضيّات، وفوق علوم التاريخ والجغرافيا، وفوق معرفة اللغات، وعلم الهيئة، وعلوم الكيمياء، وفوق علوم الفلسفة، وفوق هذه العلوم كلها، علمُ معرفة الله وصفاته وكمالاته، وعلم معرفة السيد المسيح وإنجيله، وعلم معرفة الكنيسة وتأريخها ومعرفة القديسين وسيرهم، وعلى الجملة علم معرفة الخلاص وطريقة الوصول الى السماء بالصلاة وقبول الاسرار، والمحافظة على الفضيلة وعمل الخير، فكل العلوم تبقى ناقصةً ان لم تكن مقرونة بعِلم الخلاص الابديّ وما اجمل العلم

اذا اقترن بالفضيلة ! وما اجمل الدين والدنيا اذا اجتمعا ! هذا هو واجبكم المقدّس الرئيسي نحو اولادكم

انكم اذا لم تكونوا على العموم مقصّرين في الاهتمام بماديات اولادكم ولا متهاونين في تنوير اذهانهم بالعلوم ، فان بينكم ويا للاسف عدداً غير قليل نراهم غير مهتمين ان يؤسسوا اولادهم على الفضيلة . وهذا هو النقص الكبير الذي يشكو منه المعلّمون والمعلّمات في المدارس . وهم يصرّحون بان تربيتهم تبقى ناقصة ان لم تكن مبنيّة على تربية الوالدين في البيوت . وهذا ما يطالبكم به الله . وهذه هي مسئوليتكم العظمى يوم الدينونة . لا بل هذا هو سبب ضعف الاخلاق في هذه البلاد . فاننا نرى الوالدين منذ طفولية اولادهم ، يتعوّدون ان يسكتوا عن عيوبهم ، وان يقدّموا لهم كل ما يشاؤون وتشاء اهواؤهم ، حتى ان الولد يتعلّم منذ صغره ان يستبد بذويه وينفّذ مطاليبه بحسب هوى نفسه . وقد عرف ان ينال ذلك بالبكاء منذ صغره ، ثم بالحرد والغضب ، ثم لا يلبث ان يتحكّم بهما تحكّم الحاكم المسيطر على شعبه . وبعد ان يكون تعوّد ارضاء اهوائه في الصِغَر ، لا يبقى له رادعٌ في الكبَر . فاهواؤه تطلب فيما بعد الحرّية المُطلقة ، فهو يسعى وراءها . واهواؤه تطلب منه نفقاتٍ كثيرة لارضائها ، فيلبي تلبية العبد لسيده ، فلا يبقى لديه ، مهما كان راتبه ، ما يُنفق على والديه في حاجاتهم . وهذه الاهواء لا تكتفي بالملذّات المحلّلة بل تميل به الى الملذّات المحرّمة . واذ هي تتحكم في القلب فانها تحتكر

عواطف الفتى المسكين وتصوره وعقله وارادته للشر، نافية منه كل ميل الى التقشف والواجب. لذلك نسمع الوالدين يقولون: هذا الجيل لا يقدر عليه احد. ونرى الآباء مهانين في كبرهم. وهذا ما جنته عليهم تربيتهم

لذلك لم تبقَ تربية ولا اخلاق

وانما الامم الاخلاق ما بقيت فان هم ذهبت اخلاقهم ذهبوا

ألا الطموا ايها الآباء على خدودكم، لان أتعابكم قد ذهبت سدى. وضعتم اولادكم في المدارس، ولكن لم تبذلوا جهدكم في ان تمنعوا عنهم السم الذي يقتل نفوسهم، تركتموهم يقرأون الكتب الفاسدة فتعلموا الفساد. وتركتموهم يحضرون مناظر السينما الخلاعيّة فتعلّموا الخلاعة. وتركتموهم للعشرة الرديئة فأصبحوا فاسدين. وتركتموهم يرقصون الرقص الخلاعي المختلط فتعلم اولادكم الحريّة المتطرّفة. وتركتم بناتكم للاختلاط بالاجانب عن دينكم فخسرتم بناتكم. تركتم الثعالب تدخل كرمكم، وتضجون من انها تعيث فيه فساداً. زرعتم الرياح فاحصدوا الزوابع

ان الله باعطائكم السلطة على اولادكم وكل اليكم امر تهذيبهم، وهي وديعة مقدّسة بين ايديكم يجب ان تحافظوا عليها. وهي وزنة يجب ان لا تدفنوها بل عليكم ان تستعملوها لخير اولادكم. يجب ان تعلموهم منذ الصِغر ان يتمموا ارادتكم

لا ارادتهم، وان لا تخشَوا من بكائهم في الصغر. لان تلك حيلة يتخذونها علماً منهم بضعف قلبكم، دعوهم يبكون ان البكاء لا يُميت احداً، ولا يلبثون ان يروا عدم فائدتهم منه، فيعدلون عنه الى الطاعة والرضا. يجب ان تعاقبوهم على كسلهم في المدارس وعلى رفضهم الطاعة وعلى التعدي على اخوتهم، ان لم يكن بالعصا، وقد قيل « ان العصا من الجنة »، فلا اقلّ من ان تحرموهم بعض الحلويات او بعض ما يرغبون فيه من لُبس وفُسَح. يجب ان تعوّدوهم ان يفهموا ان ارادة الله فوق ارادتهم، وان هذه الإرادة توجب عليهم مثلاً احترام يوم الاحد وحضور القداس فيه. وهي توجب ايضاً حفظ شريعة الكنيسة يومي الاربعاء والجمعة. فالولد الذي تعوّد طاعة الله يتعود طاعتك

ثانياً — اعطاء المثل الصالح

واهمّ وسيلة لحسن تربية الاولاد هي اعطاء المثَل الصالح لهم. انك لا تكترث للدّين، ولا تحفظ واجباتك لله، وتشكو من عدم طاعة ابنك لك! فان كنت لا تعترف بسلطة الله عليك، فكيف يعترف ابنك بسلطتك عليه؟ وانت ليس لك من سُلطانٍ عليه لو لم يُعطَ لكَ من الله

كيف يُكرمك ابنك ان كنت لا تحترم زوجتك امامه وتعلّمه الخصام؟ كيف لا يتعلّم ابنك التجديف ان كنت تجدّف أمامه؟ كيف لا يتعلّم الكذب وهو يختبر كذبك؟ كيف

يكون شريفاً، وهو يرى فيك قلّة الشرف ؟ ولقد احسن من قال :

الابن ينشا على ما كان والده   إنّ العروق عليها ينبت الشجرُ

لا بل نرى والأسف ملء القلب ان الاولاد قد ابتعدوا عن اخلاق والديهم وتخلّقوا بأخلاق غريبة، اذ انهم تحرّروا من سلطتهم، لان الوالدين لم يعرفوا ان يحافظوا عليها

فيا ايها الآباء لا تنسَوا ان الله يُطالبكم بهذه الوديعة المقدسة المسلّمة اليكم . لا تنسَوا ان الله سيدينكم يوماً دينونة شديدة عنها . فيجب السهر على فضيلة اولادكم كما تسهرون على صحّتهم . لا تنسوا ان ما تزرعونه اليوم ستحصدونه فيما بعد . فان زرعتم اهمالاً وعدم تبصُّرٍ، فستحصدون عدم التربية وقلّة الاكتراث منهم في كِبَركم . وان ربّيتموهم على المبادئ الحسنة والفضائل المسيحية وحسن الاخلاق، فسترون أولاداً ناجحين في دينهم ودنياهم، ورجالاً تفتخرون بهم في كِبَركم

تذكروا ما كان من عقاب الله لعالي الكاهن لإهماله تربية اولاده . كيف ضرب الله الشعب الاسرائيلي لاجله وعاقبه مع أولاده . تذكَّروا انه يجب ان تنهجوا لاولادكم طريق السماء لا باقوالكم فقط بل بأمثالكم، فيجرون على منهاجكم وتسيرون معاً الى المقرّ السماوي الابدي الذي اعدّه الآب السماوي للذين يحفظون وصاياه

اكرم اباك وامك فيطول عمرك

واجبات الاولاد لوالديهم

ذكرنا واجبات الوالدين لاولادهم في تربية العقل والقلب، وفي وجوب اصلاح عيوبهم واعطائهم المثَل الصالح . وها نحن نشرح الوصية الرابعة في واجبات الاولاد لآبائهم ، وهي في الظاهر محصورة في الإكرام . على ان للاكرام معنى واسعاً، فهو أوسع من المحبة، ويحتوي المحبّة والاحترام والطاعة والمساعدة . ومن يمارس هذه الفضائل ، فالله وعده بطول العمر في هذه الدنيا، وبالبركة والتوفيق في أشغاله، فضلاً عن السعادة الابدية في الآخرة

اولاً — المحبة

ان اكرام الوالدين يقتضي بادئ بدء المحبة . وهل من حاجة بنا ان نحضّ الاولاد على محبة والديهم، وكل شيء يدعوهم الى المحبة ؟ فصوت الطبيعة يدعوهم الى المحبة لان الدم يحنّ الى الدم . ودم الاولاد ليس هو الا دم الآباء، وحياتهم ليست الّا من حياة الآباء . ألا انظروا الى ذاك الطفل الصغير فهو يميز أمه من بين العديدات حولها ويعرفها فيمدّ نحوها ذراعيه ويتبسّم لرؤيتها . أفليس ذلك من ألطف واظهر العوامل الطبيعية في البشر ؟

ولا عجب في ذلك، فحتى الحيوانات تحب والديها بمثل هذه السليقة الطبيعية

ثم ان معرفة الجميل تدعو الاولاد الى محبة والديهم . فاننا نحب الانسان على قدر ما نلنا منه من الخير . واي خير لم ينل الولد من تلك الام التي ولدته بالاوجاع وتجشمت اخطار الحياة لاجله، وسهرت عليه الليالي، وتألمت معه، وأسرت حريتها، وحرمت نفسها ملذات الحياة، وقامت بكل الخدم الطويلة اللازمة لحياته، ووقفت السنين العديدة في سبيل تربيته، وهي حتى في غيابه ترافقه بشوقها ومحبتها وصلواتها، وتساورها الهواجس والهموم لاجله ؟ فالابن مدين لامه بحياته وبحفظ هذه الحياة، ولا يقدر ان يكافئها مكافأة تامة على معروفها وتضحيتها . ثم أي خير لم ينل الولد ايضاً من أبيه الذي شارك زوجته في همومها، وسهر معها الليالي في أمراضه، وتحمل الهموم للحصول على معاشه، وقاسى وتعب وركض للقيام بأوده وتعليمه في المدارس، ووقف حياته على خدمته، وتحمل أنواع الشقاء لسعادته ؟ فمهما أدى الابن من الخدم لوالده، يظل مقصراً عما توجب عليه معرفة الجميل ولا يكافئه على اتعابه . فصوت الطبيعة وصوت المعروف يدعوان الاولاد الى محبة الوالدين . وصوت الله جل جلاله يدعوهم ايضاً الى محبة الوالدين بقوله : «اكرم والديك فيطول عمرك» . ويقول ايضاً بفم ابن سيراخ : «اكرم أباك بكل قلبك . ولا تنس مخاض امك . اذكر انك بهما كونت . فماذا تجزيهما مكافأة

عمّا جعلا لك ؟ » (سير ٧ : ٢٩)

وهذا الحبّ لوالديك يجب ان يكون في أقصى جوانحك، فترغب لهما في ما يرغبان لك من الخير، وتبذل جهدك ان تفرّحهما بسلوكك وحسن معاملتك، وتقديرك اتعابهما . فما اجمل الولد الذي يعرف ان يشكر والديه على أتعابهما ! فإن كان على الوالدين واجب في تقديم الخِدَم لاولادهما، فمن الواجب أيضاً على الولد ان يشكر والديه على معروفهما . ومن الواجب على الاولاد ان يخفّفوا حمل والديهم بالاجتهاد في دروسهم، والانتفاع من مجهودهم، وبابدائهم لهم محبة قلبية تظهر بكلامهم اللطيف ورقة العواطف وحسن المعاملة

حبّ الوالدين يطلب احياناً التضحية، كما ان الوالدين يضحّيان بحياتهما لأجل اولادهما . من ذلك مثلاً ما جرى في الثورة الافرنسية سنة ١٧٩٣ . فانّ اصحاب الثورة كانوا قد حكموا على رجلٍ يدعى سمري بالاعدام وقادوه الى منقع العذاب ليقطعوا رأسه، وهو بريء، وما اكثر عدد الابرياء الذين أعدموا في تلك الثورة ! فلما بلغ ابنته هذا الخبر ركضت حتى وصلت الى محلّ الاعدام، وهجمت على المحاولين ان يُعدموا والدها امام المِقصلة وارتمت بينهم وبين ابيها، فتحرّكت عواطف هؤلاء الرجال العادمي الشفقة، فتناولوا كأساً من الدم الذي هرقوه سابقاً وقالوا للفتاة: خذي ايتها الوطنية، اشربي من هذا الدم اذا اردت ان تخلّصي أباك، فأخذت الفتاة الكأس وجرعتها جرعةً واحدة، رغماً عمّا

شعرت في شربها من الاشمئزاز، وعدّت نفسها سعيدة ان تضحّي بذوقها وبحياتها لو اقتضى الامر لنجاة والدها

ثانياً — واجبات الاحترام

واجب الاكرام للوالدين يقتضي الاحترام مع الحبّ: « الذي يتّقي الرب يُكرم ابويه ويخدم والديه بمنزلة سيّدين له. اكرم أباك بأفعالك ومقالك بكل أناة لكي تحلّ عليك البركة منه، لتبقى بركته الى المنتهى. فإنّ بركة الأب توطّد بيوت البنين، ولعنة الأمّ تقلع أسسها. لا تفتخر بهوان أبيك، فإنّ هوان أبيك ليس فخراً لك، بل فخر الانسان بكرامة ابيه. ومذلّة الأمّ عارٌ للبنين » (سير ٣: ٨-١٨)

وهذا الاحترام المطلوب ناشئ من مقام الوالدين اللذين يمثّلان سلطة الله. وهو يقضي على الأولاد ان يمتثلوا لأوامر الوالدين بلا تردّد ولا تذمّر. وأن يحتملوا عيوبهم، ويتصرفوا أمامهم بحشمة وأدب، مقدّمين لهم من الواجبات ما يليق. وان كان عصرنا يدّعي انه يمتاز بالادب والتهذيب، فيجب ان تكون هذه الصفات في المقام الأول نحو الوالدين

كلّكم تذكرون في بدء التأريخ ما كانت نتيجة بركة نوح لولديه سام ويافث، كيف بارك الله ساماً واقام المسيح من نسله، وكيف اشترك يافث في هذه البركة، ثم ما كانت نتيجة لعنة نوح لحام اذ جعله عبداً لعبيد اخوته (تكوين ٩: ٢٥-٢٧).

وانتم ترون وظيفة سكان افريقيا، اولاد حام كيف استُعبدوا لاخوتهم

وما اكثر أمثال العهد القديم في احترام الوالدين ! فإننا نرى يوسف، وهو اكبر وزير في مصر، لمّا علم بقرب مجيء والده شدّ على مركبته وصعد ليُلاقي اسرائيل أباه في جاسان، ولمّا ظهر له ألقى بنفسه على عنقه وبكى طويلاً (تكوين ٤٦ : ٢٩)

وما أجمل مثل سليمان في احترام والدته ! اذ دخلت عليه وهو جالس على العرش، لتشفع بأدونيا، فقام الملك لاستقبالها، وسجد لها . ثم جلس على عرشه، ووضع عرشاً لأمّ الملك . فجلست عن يمينه وقالت : اسألك حاجةً واحدة صغيرة، لا تردُدْ وجهي في طلبها . فقال لها الملك : « اسألي يا أمي فاني لا أرد وجهك » (٣ ملوك ٢ : ١٩ ـ ٢٠)

ثالثاً — الطاعة

واجب الاكرام نحو الوالدين يقتضي الطاعة ايضاً . وقد كانت طاعة الوالدين في العهد القديم إلزامية، تجبر الاولاد تحت طائلة « الموت » . فقد جاء في تثنية الاشتراع (٢١ : ١٨) ما يلي :

« اذا كان لرجل ابن عقوق مارد لا يطيع امر ابيه ولا امر امه، وهما يؤدبانه فلا يسمع لهما، فليقبض عليه ابوه وامه، ويخرجاه الى شيوخ مدينته والى باب موضعه . وليقولا لشيوخ مدينته ان ابننا هذا عقوق مارد لا يطيع امرنا، وهو اكول

شريّب . فيرجمه جميع رجال مدينته بالحجارة حتى يموت . واقلع الشر من بينكم . فيسمع كل اسرائيل ويخاف »

قد زال هذا العقاب في العهد الجديد . ولكن واجب الطاعة لم يزل . فان السيد المسيح ابن الله كان طائعاً لابويه ، على ما ذكر الانجيل (لو ٢ : ٥١) . وبمثله يعلم جميع الاولاد ، باي عمر كانوا ، ان يطيعوا والديهم

من واجب الاولاد ان يطيعوا في كل ما يتعلق بالاخلاق وخلاص النفس وادارة البيت . وللوالدين الحق ان يمنعوا اولادهم من الفساد ، ومن العشرة الرديئة ، وان يشرفوا على تربيتهم في المدارس ويلاحظوا نجاحهم . وان كنا نرى الاهل يتشكون من عدم طاعة اولادهم لهم ، فذلك لانهم لم يحسنوا تربيتهم ، ولم يدرّبوهم منذ الصغر على الطاعة . فالولد يتعلم الطاعة وهو طفل . فاذا لم يقوَ عليه اهله وهو صغير ، يصبح عقوقاً في الكبر فلا يقدر ان ينتفع ذووه منه . فضعف قلب الاهل واهمالهم في التربية يجعلان الاولاد تابعين اهواءهم ، راخين العنان لشهواتهم . وعلى الشبان المهذبين ان يستشيروا اباءهم حتى في امور الزواج . وقد لاحظ كثيرون منكم اخيراً ان ابن ملك ايطاليا في حفلة الاكليل لم يردّ على سؤال الكاهن هل يريد الاقتران بابنة ملك البلجيك ، الا بعد ان حصل على موافقة والديه . ومهما كبر الولد البار وطعن في السن فانه لا يزال يرى رغبة والديه اوامر له ويتممها ما استطاع الى ذلك سبيلاً

رابعاً — المساعدة

وفي الختام ان واجب اكرام الوالدين يقضي بمساعدتهما، ولاسيما في حالة المرض والعجز. فلماذا يفرح الوالدان بالحصول على ولد ؟ ولماذا يسعيان في تربيته، ويضحيان لاجله بحياتهما، ان لم يكن لهما امل بان سيكون يوماً عكاز شيخوختهما وسندهما في يوم الضيق ؟ أوَليس من العدل ان يقدم الولد جزءاً من المعروف الذي قدمه له والداه مدة سنين طويلة ؟ أما يلتزم الابن بمساعدة والديه ان كانا في حاجة اليه ولو بعد زواجه وولادة البنين له ؟ فهل يضيع واجب المحبة الذي يربط الولد بوالديه قبل زواجه، بعد ان يقترن بامرأة ويحصل على البنين ؟ وهل تعفيه الزوجة والبنون من الواجبات لوالديه ؟ ولماذا نرى عدداً من الشبان يحجمون عن الزواج ؟ اليس لاضطرارهم الى مساعدة والدة او والد، ولخوفهم من ان المرأة التي يتزوج بها احدهم تمنعه عن هذه المساعدة ؟ أما نسمع مراراً الخطيبة تقول لخطيبها: انا اشترك معك في مساعدة والديك، ثم بعد الزواج تحاول ان تكرِّه اليه والدَيه ؟ اليس هذا ظلماً وجوراً ؟ فمن الواجب على الزوجة ان تساعد والدي زوجها وذويه، وتكون عوناً له في هذه الحياة. وهكذا لا يُحرَم الشبان الزواج، ولا يُهمَل الوالدان بعد زواج اولادهما. ولكن لا بد في كل ذلك من اتساع في افكار الوالدين، وعدم الحسد، واطلاق الحرية المعقولة للزوجة، ومعاملتها معاملة

الاولاد . فالحياة تقتضي التضحية من الجميع . ومن لا يعرف ان يضحي لم يفهم معنى الحياة . فقد وعد الله بالبركة وطول العمر والتوفيق لمن يكرم والديه . فيا ما اكبر حظ الذي يحب والديه ويكرمهما ويطيعهما ويساعدهما في كبرهما ! فهذا ينال نعمة من الله، ويتوفق في اشغاله، ويكون طويل العمر، قبل ان ينال المكافأة من الله المثيب الطائعين

الوصية الخامسة

لا تقتل

ان الوصيَّة الخامسة تحرّم قتل القريب، وليس مرادي في هذه المحادثة ان افيض في الكلام على جريمة القتل بمعناه الطبيعي وهو حرمان الغير الحياة، لان هذا الجرم الذي تقشعرّ لذكره الابدان نادر والحمد لله، وقد يكون من اشدّ ما يردع عنه هول العقاب الزمني عليه. ولكني اريد ان اكلّمكم على القتل الروحي وهو اشد فظاعة بما لا يُقاس من القتل الطبيعي، بقدر ما تفوق الروح الجسد. فأكلمكم على الشكّ وأنواعه، وفظاعة هذا الجُرم، وضرورة التعويض عنه

اولاً — الشك وانواعه

ان للانسان حياة طبيعية هي حياة الجسم بقوّة اتحاده بالنفس فيتغذّى وينمو ويتناسل. وحياة فائقة الطبيعة هي حياة النفس بقوّة اتحادها بالله تعالى فتنصرف اليه بنور العقل وقوة الارادة وتأثير النعمة الالهية فيها. وكلا الحياتين الطبيعية والفائقة الطبيعة خير مجاني لنا من الله، يجب علينا احترامها والمحافظة عليها محافظتنا على ودائع ثمينة نحن مؤتمون عليها . لان الحياة ملك لله لا لنا . ويترتب على ذلك ان لا حق لاحد ان يعتدي على

حياة نفسه ولا على حياة القريب . واذا كان ذلك واجباً بالنظر الى حياة الجسد، فهو باولى حجة أوجب واشد الزاماً بالنظر الى حياة النفس . الا ان الناس يستسهلون ويا للأسف هذا القتل الثاني كأنه لا شرّ فيه، ويقترفون الشك بغير حساب

فالشك لغةً هو الرّيب المُراد به هنا ان يرمي الانسان قريبه في الريب والحيرة، فيجعله يتردَّد في معرفة الحقيقة وممارسة الفضيلة. والشك الذي تحذّر منه الكنيسة اولادها تحذيرًا شديداً هو ان يحمل الانسان غيره على الشرّ ويبعده عن الخير بالكلام او الفعل او الاهمال

وسبب ذلك ان الانسان ميّال لاتباع غيره في ما يراه من فضيلة او رذيلة . لان للمثل، حسناً كان ام خبيثاً، تأثيراً شديداً في من يراه، على قدَر ما يكون في نفسه من التقدير للفاعل، وعلى قدر ما يكون هو نفسه ضعيف الارادة وسريع التأثُّر . فالذي يمارس الفضيلة ينفع نفسه وينفع غيرَه . كما ان من ينصرف الى الفساد يضرّ نفسه ويضرّ غيره

وحسبي لاثبات ذلك ان اذكّركم ما كان من حسن تأثير الرسل والنسّاك والشهداء والقديسين في الناس، وما كان من التأثير السيّئ فيهم من اعمال المُلحدين والكفّار والهراطقة . ألا ترون ما كان تأثير القديس منصور مثلًا في حياته، وبعد مماته، بواسطة راهبات المحبة، وما كان لكثير من رجال الثورة من الشكوك بالقتل والنهب وهتك الاعراض ؟ ولذلك فالانسان

مُطالَب امام الله بافعاله ليس فقط من حيث هو مصدرها ولكن من حيث تأثيرها في الغير ايضاً . فإمّا يكون عمله خيراً وتأثيره في النفوس حسناً . وإما ان يكون عمله سيئاً وتأثيره ضاراً

والشكّ يكون إمّا بالكلام او بالفعل او بالاهمال . الشكّ يكون بالكلام : وكم من الناس لا يعرفون ان يلجموا لسانهم بل يُطلقون له العِنان بكلّ ما يجولُ في خاطرهم من الافكار والتصوّرات الى حدّ السخافة والتهتك . فتراهم اذا هم تكلموا على خلود النفس ارتابوا بكلّ وقاحة في روحانيتها وفي بقائها ، إمّا لجهل مطبق واما لغرض ذميم في نفوسهم . فيأخذون يخلطون في الكلام قائلين : من يعلم هل تعيش النفس بَعد هذه الحياة او تنتهي مع الجسد ؟ واذا هم تكلّموا على الدين كان كلامهم ايضاً جهلاً وتجديفاً ، يتظاهرون بعدم الاكتراث ويزعمون ان كل الديانات حسنة ، وان دين الانسان هو حكم عقله فقط . واذا تكلّموا على الفضيلة حقّروها في عيون السامعين وابعدوا الناس عن ممارستها ، زاعمين انها كانت تصلح لعصور الجهل ، ولكن عصرنا هذا ، وهو عصر العلم والرقي ، يستغني عنها . واذا تكلموا على الرذيلة والعوائد الرديئة ، استندوا الى الزيّ او المودة والى العادة والى مُقتضيات العصر . ومن امثال التشكيك بالاقوال ايضاً تبجّح الذين يجاهرون بالكفر بقولهم : هولاء اناس لا يتبعون شريعة الله ، وهم ناجحون في امورهم الزمنيّة . وكذلك الذين يبثون المبادئ الفاسدة في الجرائد ، طمعاً في جرّ المال فقط .

والذين يؤلفون الكتب الرديئة لقتل الفضيلة في النفوس . وبهذه الطريقة يدسّون السمّ في كلامهم للنفوس البريئة ويشبعونه من روح الريب والكفر والرذيلة . وعلى هذه الصفة يشككون النفوس الضعيفة ويصرفونها عن اتّباع الحق وممارسة الفضيلة

ومن قِبل التشكيك بالعمل تصرّف الذين يُعطون أمثالاً سيئة بعدم محافظتهم على تقديس يوم الاحد وعدم سماع القداس الالهي وعدم الراحة الواجبة فيه، فيعكفون على الشغل اليدويّ، ويلبسون اللبس غير المُحتشم الداعي الى الرذيلة . ويذهبون الى حضور الروايات الخلاعيّة، ولسان حالهم يقول : « اقتدوا بنا » . وكذلك القول في الذين يتعاطون التجارة وهم يقصدون من ورائها الافلاس الاحتياليّ ليغتنوا في مدة قليلة . فيعيشون من اموال اليتامى والارامل والمُعوزين . وفي الذين ينصرفون الى الخلاعة والفساد بمخالفة شريعة الزواج مدّعين لنفوسهم الحرّية فيما يفعلون . وفي الذين يعملون كلّ ما تُسوّل لهم نفسهم الأمّارة بالسوء : فالقمار حلال في نظرهم، ولو قضوا في اللعب مُعظم اوقاتهم، وأضاعوا مبالغ باهظة، كان يجب ان يحفظوها لبنيهم وذويهم . وكل أنواع الرقص مُحلّلة لديهم، يمارسونها بلا حرج، ولو كانت اكثرها خلاعة . وكلّ ما شاءوا من شرّ صنعوه بلا وازع، ولا رادع، مجاهرين انه يسوغُ لهم ان يرتكبوا كل انواع المحرّمات، دون ان يكون لأحد حقّ ان يعترض عليهم . وهم على قدر ما لهم من نفوذ المال،

والسطوة والجاه يكونون اقوى على قتل النفوس بتأثير مثلهم الشرّير فيها

يكون الشكّ بالاهمال بعدم الاكتراث للدين، وعدم الاكتراث للصلاة والصوم المفروض، وعدم حفظ الواجبات الدينية . وكم من والدين يَشكون الشكاوي المرّة من سوء سلوك اولادهم، وقد سبقوا واعطوهم الامثال السيئة بعدم الصلاة، او بعدم التقرّب من الاسرار . ولكنهم ينسون او يتناسون انهم هم المذنبون المسبّبون لذلك بمثلهم السيّئ واهمالهم الصلاة والممارسات الدينية والتقرّب من الاسرار . فنشأ اولادهم على هذا الاهمال نفسه لان الانسان الذي لا يصلّي ولا يطلب النعمة من الله بواسطة الاسرار يعرّض نفسه اشدّ التعرّض للموت الروحي لما في النفس من النزعات السيئة ومن الضعف . وعلى ذلك يحصد الوالدون ما زرعوه . فليلوموا نفوسهم قبل ان يلوموا اولادهم . وقد حق قول العامة ان البنت تنشأ شبيهة بامها، كما ان الابن ينشأ على ما كان والده

ثانياً — فظاعة خطيئة الشك

ان خطيئة الشكّ كبيرة شنيعة . وهي تشبه خطيئة الشيطان الذي يحسد الانسان على ما أُعدّ له من سعادة في السماء بدلاً منه، فيبذل كل جهده ليجرّه الى مقرّه في الجحيم

هذه الخطيئة هي التي تكلّم عنها السيد المسيح بكلام ترتعد

له الفرائض قائلاً : « الويل للعالم من الشكوك ! فانها لا بدّ أن تقع الشكوك . ولكن الويل لذلك الانسان الذي تقع الشكوك عن يده ! . . من شكّك احد هؤلاء الصغار المؤمنين بي فاجدر له لو عُلّق في عنقه حجر الرّحى وزجّ في لجة البحر » (متى ١٨ : ٧ و ٦)

ان الله لا يعاقب دائماً في هذه الدنيا، بل كثيراً ما يدَع الزؤان ينمو مع القمح ويدعه الى يوم الحصاد ولكنه في ذلك اليوم يجمعه ليحرقه على حدةٍ ويجمعُ ايضاً القمح على حدةٍ (متى ١٣ : ٢٤ ـ ٤٢) . فالذين يتشكّون من ان الاثم لا يُعاقَب في هذه الدنيا، فليصبروا قليلاً، فان يوم الله قريب

ثالثاً — ضرورة التعويض عن الشك

ان ما يوجبه الله على المشكّكين هو الارعواء عن سلوكهم، واصلاح ما افسدوه في النفوس . فلا يكفي المشكك اذن ان يندم على خطيئته، بل يجب عليه اولاً الابتعاد عن اسباب الخطيئة ثم التعويض عنها . فمهما يكن لصاحب جريدة مثلاً من مكسب في جريدته، ومهما يكن لشخص من منفعة في مُعاشرة شخص آخر، فان كان ضرر النفوس في نشر هذه الجريدة او في معاشرة ذاك الشخص، فما لا مناص منه حتماً الابتعاد عن سبب الخطيئة، ولو كان ذلك بأصعب تضحية ولو بفقدان كل خيرات الدنيا على نحو ما قال السيد المسيح : « ان شكّكتك يدك او رجلك

فاقطعها وألقها عنك، فخيرٌ لك ان تدخل الحياة وانت أقطع او اعرج من ان يكون لك يدان او رجلان وتُلقى في النار الابديّة. وان شككتك عينك فاقلعها وألقها عنك فخير لك ان تدخل الحياة وانت اعور من ان يكون لك عينان وتُلقى في نار جهنم... احذروا ان تحتقروا احد هولاء الصغار، فاني اقول لكم انّ ملائكتهم في السماوات كل حين يُعاينون وجهَ أبي الذي في السماوات » (متى ١٨: ٨ـ ١٠)

ومع الابتعاد عن أسباب الخطيئة يجب التعويض بإصلاح الضرر، بانهاض من تكون سبّبتَ له السقوط. وليكن تعويضك بان تبدأ وتصلح السيرة، بعدم التعرض للدين بالتحقير او بالتهكم في كلامك، وبحضورك القداس وصوم الاصوام المفروضة، والابتعاد عن العشرة الرديئة، والتعويض للناس عما الحقتَ بهم من الضرر في المال او في الصيت او العرض، وبابتعادك عن رذيلة السكر او لعب القمار الخ

فاذا بذلت جهدك في ان تُرجع الى سواء السبيل من كنت سبباً في ضلاله، ولم تنجح، فعليك ان تعوّض عن ماضيك بمضاعفة الحسنات، والاعمال الخيرية، وعليك ان تستميل نفوساً اخرى الى الفضيلة والخير

ألا فلترتعد فرائصك يا اخي بمجرّد تفكرك ان هناك نفوساً مهدّدة بالهلاك او تكون قد هلكتْ بسببك. فيكون السيد المسيح قد سفك دمه عبثاً لاجلها بسببك. ان الرسل والمرسلين

قد تركوا العالم وملذّاته ووقفوا ذواتهم على خدمة النفوس لهدايتها الى الله حتى في مجاهل افريقيا والصين . والبعض منا يعملون عمل الشيطان بين اخوتهم وأهليهم لهلاك النفوس ! . . .

أفلا نُساعدك يا ربّ على خلاص النفوس التي أهرقت دمك لاجل خلاصها ؟ ألا نشفق على النفوس التي لا تفهم خيرها وننقذها ؟ ألا نعمل شيئاً بصلواتنا وأعمالنا الصالحة لكي نجعل النفوس سعيدة مدى الابدية، ونُبعد عنها الهلاك والعذاب ؟ آه لو كنّا نفهم قيمة النفس، لو كنا نعرف ما عانى السيد المسيح في سبيل خلاصها، لو كنّا نفتكر ماذا عمل الراعي الصالح ليذهب وراء الخروف الضال في البراري وبين الاشواك ! آه لو كنّا ننتبه دائماً الى ذلك لحاسبنا نفوسنا عن كل كلمة وحركة تصدر منا ! فاصفح لنا ايها الرب الاله عن شكوكنا . واجعلنا نكفّر عن الماضي، ونكسب لك نفوساً ضالة لتشترك معنا في سعادتك التي لا نهاية لها . آمين



الوصيتان السادسة والتاسعة

لا تزنِ ــ لا تشتهِ امرأة قريبك

مما يوجبه العدل على كلّ انسان لقريبه اربعة امور : احترام حياته وعرضه وصيته وشرفه . وقد رأينا في المحاضرة السابقة وجوب احترام الحياة الزمنية والروحية . والآن اريد ان اكلمكم على وجوب احترام العرض كما تطلبه الوصيتان السادسة والتاسعة . فالواحدة تحرّم اعمال الدنس ، والثانية تُحرّم حتى الافكار الصادرة من خفايا قلب الانسان قبل ان تصل الى الاعمال المنافية للطهارة

ان الموضوع دقيق . ومن الصعب التكلم عليه والخوض فيه لوجوه عديدة . ولكن كما انه لا يجوز ان نرى الحريق في البيوت ولا نبذل جهدنا في إطفائهِ ، أو ان نرى الغرقى ولا نبذل جهدنا في انتشالهم . كذلك لا يجوز لنا ان نرى النفوس تهلك بسبب هذه الخطيئة ، ولا نردّ الناس عن الهلاك . فان القديس دي ليغوري يقول انه من كل مئة نفس تهلك يمكن القول ان ٩٩ منها تهلك بسبب هذه الخطيئة . فالى الله الذي أوصى بالوصية السادسة والتاسعة « لا تزنِ . لا تشتهِ امرأة قريبك » اطلب ان يطهّر شفتي لكي أظهر لجمهور كم ان في حفظ وصايا الله هذه عمار البيوت والعالم ، وان في الاخلال بهذه الوصايا خراب العالم وانهيار المجتمع باسره

اولاً – في حفظ الوصية السادسة والتاسعة عمار البيوت

ان هذه الوصية توجب على كل انسان الامتناع عن كل ما يشوّه بهاء النقاوة الملائكية، بالانصراف عن الشهوات البهيمية إمّا فكراً واما قولاً واماً عملاً. «لان الله لم يدعُنا الى النجاسة بل الى القداسة» كما يقول بولس الرسول (١ تسا ٤:٧). ولكنني لاتساع الموضوع وكثرة تشعباته اقتصر فيه على الكلام عن أشنع مظاهر هذه الرذيلة، وهو تدهور الانسان بها الى حدّ تناسي قداسة النظام الالهي المقرَّر في الزواج ومخالفة شرائع الله فيه

ان الله تعالى اعطى الوالدين سلطة رهيبة ومقدرة عظيمة، وهي ان يشاركاه في الخلق. ولكنه إذ أولاهما هذا الشرف قيّدهما بشرائع محدّدة ووضع لهما نواميس تضمن بنيان الاسرة وعمار العالم

وقد أعلن الله هذه النواميس منذ بدء الخليقة. فبعد ان خلق الارض وجعل فيها كل ما يلزم للانسان الذي هو ملكها، خلق آدم ولم يُرِد ان يبقى وحده بل وضع له سنّة الزواج بقوله: لا يحسن ان يكون الانسان وحده فأصنع له امرأة بازائه لتكون عوناً له (تك ٢:١٨). ولكي يُظهر منزلة هذه المرأة استلّها من أضلاع آدم وهو نائم، فلما استيقظ فرح بوجودها وقال: «هذه عظم من عظامي ولحم من لحمي» (تك ٢:٢٣). ثم قال الكتاب المقدّس هذه العبارة: «ولذلك يترك الانسان أباه وامه ويلتصق

بامرأته، ويكونان كلاهما جسداً واحداً » (تك ٢ : ٢٤)

فترى من ثم ان غاية الله جل اسمه من خلق المرأة قد كانت منذ بدء الخليقة ان تكون عوناً للرجل في فرحه وحزنه وأشغاله، وان تشترك معه في تربية بنيه، وان يتساعدا معاً على الخلاص الابدي. ونرى ايضاً في قوانين الزواج الاساسية ان الله لم يُعطِ آدم إلّا زوجةً واحدة . ولو كان لله نيّة اخرى لاعطاه زوجات عديدات . ثم ان الله استلّ المرأة من لحم آدم وعظمه، ليُظهر لآدم وجوب حبها، وعدم هجرها : فما من احد يتخلّى عن لحمه او يرميه، مما يدلّ على رغبة الخالق في عدم انحلال الزواج . وفي كل ذلك القضاء الصريح على الزنى وعلى الطلاق وعلى تعدد الزوجات

لكنّ الانسان الفاسد بالخطيئة الاصلية تمرد عليه جسده، كما تمرّدت روحه على الله . فلم يلبث ان نقض هذه الشريعة في وحدة الزوجة وعدم انحلال الزواج، كما نقض فضيلة الطهارة . فدنّست الامم شرائع الزواج وتدهورت في كل القبائح، حتى ان اليهود انفسهم تخطّوا حدود هذه الشريعة وقسَت قلوبهم الى حدّ ان شريعة موسى أباحت لهم تعدّد الزوجات بسبب هذه القساوة على ما قال السيد المسيح (متى ١٩ : ٨)

لذلك نرى في العهد القديم سقوط المرأة الى درجة الحيوان . كما نرى ايضاً شيوع عدم الامانة بين الزوجين واحتقار الاولاد الذين حُرموا حنان الوالدين، وارتكاب انواع الفواحش

فلمّا اتى السيد المسيح أعاد شريعة الزواج الى حكمها الاول . فمنع تعـدّد الزوجات، وحرّم الطلاق، ورفع الزواج الى درجة سرٍّ مقدّس، والاسرار كما تعلمون هي ينابيع النعمة في الكنيسة . واراد ان يكون هذا الاتحاد شبيهاً باتّحاده هو مع الطبيعـة البشرية وباتحاده مع الكنيسة

وانتهز السيد المسيح فُرصة سؤال الفريسيين له : « هـل يحلّ للإنسان ان يطلق زوجته لاجل كل علّة » . فأجاب له المجد : « ان موسى لاجل قساوة قلوبكم اذن لكم ان تطلقوا نساءكم . ولم يكن من البدء هكذا . . . ان الذي خلق الانسان في البدء ذكراً وانثى خلقهم . وما جمعه الله فلا يفرّقه انسان » . (متى ١٩ : ٨ و٤ و٦) . وقد فهم الرسل هذا الامر الصريح، وهو أمر منع الطلاق ومنع تعدّد الزوجات، فقـالوا : « ان كانت هكذا حال الرجل مع امرأته فاجدر له ان لا يتزوّج » . فلم يرجع السيد المسيح عن أمره، بل قال : « من استطاع ان يحتمل فليحتمل » (متى ١٩ : ١٢) . وقال في موضع آخر : انه لاسهل ان تزول السماء والارض من ان يزول من الناموس حرف واحد (متى ٥ : ١٨) . ولهذا اظهر شدّة تمسكه بهذه الشريعة اذ قال : من استطاع ان يحتمل ثِقل هذه الشريعة فليحتمل . اي فليحتمل البتوليّة، وقد استند القدّيس بولس الى كلام السيد المسيح حيث قال : أمّا المتزوجون فالرب يوصيهم « بان لا تفارق المرأة رجلها . وإن فارقته فلتبقَ غـير متزوجة او فلتصالحه » (١ كور ٧ :

١٠ـ١١) . وقال في محلّ آخر : ان المرأة مقيدة بشريعة الزواج ما دام رجلها حياً واذا مات فهي حرّة (رومة ٧ : ٢ـ٣)

لذلك قال مجمع فلورنسا : « انّ رباط الزواج الشرعيّ دائم » . والمجمع التريدنتيني يصرّح بتعليمه : « من قال انّ الكنيسة في ضلال عندما تعلّم ان الزواج غير قابل الانحلال فليكن محروماً »

هذا هو تعليم السيد المسيح والكنيسة، وباتباع الكنيسة له حرّرت المرأة من قيد العبوديّة . وجعلت الزواج مقدّساً، والحبّ بين الزوجين متبادلاً، والامانة الزوجية صحيحة، وتربية الاولاد مكفولة، والحياة العيليّة سعيدة، والتمدين والعمران على أساس متين

لذلك جاهدت الكنيسة مدّة عشرين قرناً لتحافظ على شريعة الزواج . وقد حامت عنها حتى بسفك دم اولادها، لان لا قداسة ولا عُمران بدون هذه الوصيّة . فلاجل هذه الشريعة قاومت الكنيسة الفساد الروماني الذي لم يكن يعرف حداً للرذيلة والدَّنس، حتى كانت النساء يعدُدْن عقود الزواج في عمرهنّ اكثر من عدد السنين . وقد دافعت الكنيسة شرقاً وغرباً عن هذه الشريعة وقاومت الامم البربريّة التي لم يكن لها شِعار الا الهمجية

طالعوا تاريخ اجدادكم في هذه البلاد وانظروا كيف جاهدوا ليحافظوا على دينهم وقد رفضوا لذات الدنيا والحرية وتعدد الزوجات ليحافظوا على شريعة المسيح الصارمة . فكم لهم من

الفضل اذ ضحوا براحتهم وحريتهم واموالهم في سبيل دينهم . لذلك نرى العيلة المسيحية تقضي اوقاتها بالوفق والمحبة وتربية البنين وخوف الله والحياة الهنيئة . فما اجمل الاب في مقام الاحترام، والام في منزلة الحب، والاولاد في الطاعة لوالديهم، والهناء بين الجميع !

ثانياً – الدمار والخراب في عدم حفظ سنة الزواج

ان كان العمار في حفظ سنة الزواج، فالدمار والخراب في الاخلال بها . فالشاب الذي يريد ان يحصل على ملذات الزواج بدون ان يتقيد بقوانينه انما يكون مقاوماً لله نفسه الذي يحرم عليه الزنى بقوله « لا تزنِ » ويحرم عليه حتى الشهوة بالفكر بقوله « لا تشتهِ امرأة قريبك »

وعليه فهو مقاوم شريعة الله وعدو له . لان الطبيعة نفسها تنتقم من الزاني الذي يخسر شرفه بالزنى . وليس من خطيئة تشوّه جمال النفس ويسفل بها الانسان حتى الى احط من درجة البهيمة مثل خطيئة الزنى . أجل ومن العبث ان تحاولوا الكلام عن الشرف مع الزاني، فهو في منزلة البهائم . قد فقد كل فهم لمعنى الشرف والكرامة . ولا تكلموه عن محبة الاهل فهو قد باع نفسه للزانية وجعل كل عواطفه في ملذاته . فابكوا ايها الاهل على ولدكم اذا كان لا سمح الله منغمساً في حمأة هذه الرذيلة . ابكيا ايها الوالدان ولدكما ولا تنتظرا منه مساعدة ولا

حناناً، لان قلبه اقسى من الجلمود. ابكِ ايها الشاب على مستقبلك. فلا رواق لعقلك، ولا قوة لعزيمتك، ولا اهتمام بمستقبلك. وابكِ على ثروتك لان الزاني لا يعرف ان يدّخر ثروة، بل صدق المثل القائل: «بشّر الزاني بالفقر». ابكِ ايها الشاب على الدم الذي تفسده وتضعفه فيك وتسرف في تبذيره، وصحتك احوج اليه. فالفضيلة تضمن الصحة لاولادك. والرذيلة تجعلك في هزال وسقام. وما اكثر عدد الذين اوقعتهم هذه المخازي في الامراض الصدرية! ابكِ على هذا الدم الذي يُبتلى في الغالب بامراض مخزية تسمّم حياتك، وتجعلك غير أهل للزواج. حتى لو تجاسرت واقدمت عليه وانت مبتلى تكون مجرماً الى الاولاد الذين يولدون ويعيشون تاعسين، وهم سوف يلعنونك فيما بعد. وتكون مجرماً الى تلك الفتاة النقيّة الطاهرة، التي استسلمتْ اليك بسلامة نيّة ظانة فيك الشرف والكرامة، فرميتها في الامراض وفي الشقاء والعار! فباي وجه طلبتها؟ وما عذرك ان خدعتها وخدعت اهلها؟ قد اردت ان تفتح بيتاً، ففتحت قبراً. أردت ان يكون لك فرحٌ او عرس، فكان الأولى ان يسمّى جِنازة! لا بل كان الاولى ان تحمل العار وحدك وتكفِّر عنه نادماً على آثامك!

ولا أحاول الآن ان اظهر ما في غشيان بيوت الدعارة، سواء كانت عمومية ام سريّة، من الاثم والعار وخراب البيوت. فان بيت الزاني لا يلبث ان يُصبح خراباً. على ان الخراب يصبح الطامة الكبرى اذا تخطّى الزاني الى بيوت عُقد فيها سرّ

الزواج المقدَّس . فهنا الاثم يتحوَّل من زنى الى تعدٍّ وسرقةٍ وخيانةٍ بل الى كارثة كبرى

فتعساً للبيت الذي يخلّ فيه الرجل بالامانة ! فانه يخون امرأته ويضرّ باولاده، وتفقد محبته وشفقته نحو بيته، ويذهب منه الهناء الداخليّ، وتصبح العيشة فيه جهنمية

ولكن ما القول ان كانت المرأة هي البادئة بالخيانة ؟ واي تعبير يفي بوصف فظاعة عملها ؟ فقولوا على الراحة البيتية السلام. ولا عجب ان كان المصريّون الوثنيّون انفسهم يحكمون على المرأة الزانية بألف عصا . وان كانت امّة السكسون تُلزم المرأة بان تشنق نفسها . والمشترك الثابت هذا الجرم عليه بأن يُحرَق . وكم نسمع في بلادنا من حوادث القتل التي يُقدم عليها اولئك الذين يفضّلون الموت على العار، وهم يقولون « المنايا ولا الدنايا، وخير من ركوب الخنا ركوب الجنازة » ! نعم ان القتل غير مُباح . ولكنهم، لشدّة ما في هذه الرذيلة من قباحة، صاروا يحسبون الحياة نفسها ذلّة، والموت نجاة

أملي وثيق ايها الاخوة ان لا يكون بينكم شيء من ذلك . وان كنتم تسمعون بها فيما حولكم، فلنطلب الى الله ان يحمينا منها، وان يحفظ افكارنا طاهرة وقلوبنا نقية . فلنلتمس منه الرحمة عمّا يجري بين ظهرانينا، لكي لا ينصبّ غضبه علينا، بل يجري دم ابنه الالهي على نفوسنا فيغسّلها ويقيها من كل شرّ

أقف عند هذا الحدّ من البيان مكتفياً بذكر ما تقدّم من

البلايا التي تجرّها هذه الرذيلة على الفرد وعلى العائلة وعلى المجتمع. وهي كلها ضمن نظام الطبيعة، ولم اذكر شيئاً مما تحدثه من الدمار الهائل الجهنمي في النفس، مما هو ضمن النظام الفائق الطبيعة. ليس لان هذا الدمار ثانوياً بالنسبة الى الاول، وهو بالعكس اهول ما يجب ان نخافه، بلَ لان وصف المضارّ الطبيعية تسهِّل لكم فهم المضارّ الفائقة الطبيعة. وحسبي ان اقول لكم انكم، طبقاً لتعليم السيد المسيح ولشرح الرسل، هياكل الروح القدس وان اجسادكم نفسها هي هذه الهياكل (١ كور ٣: ١٦-١٧ وف ٦: ١٩). فعلينا ان نحترمها احتراماً لما هو مقدّس بالرب، ولاسيا بعد ان تقدست بجسده الطاهر في سرّ القربان الاقدس. وقد قال بولس الرسول كلمته الرهيبة بهذا المعنى: « أمآ تعلمون ان اجسادكم هي هيكل الروح القدس؟ ... أمآ تعلمون انكم هيكل الله، وان روح الله مستقر فيكم؟ ... أمآ تعلمون ان اجسادكم هي اعضاء المسيح؟ أفآخذ اعضاء المسيح واجعلها اعضاء زانية؟ حاشى ... من يفسد هيكل الله يفسده الله» ... (١ كور ٣: ١٦-١٧ وف ٦: ١٩ و ١٥). أجارنا الله ايها الاخوة، اجارنا من ذلك

والوقاية من الفساد تكون بالابتعاد عن اسباب الخطيئة وعن العشرة الرديئة، وبالتقرّب الى الله بواسطة الصوم والصلاة، وقبول الاسرار، والتأمل في العواقب الاخيرة، وقهر النفس الامّارة بالسوء. والله لا يمسك نعمته عمّن يطلبها بحرارة وتواضع. و « طوبى للانقياء القلوب فانهم يعاينون الله » (متى ٥: ٨)

الرقص

انّ حفظ الوصية السادسة يقتضي الابتعاد عن المخاطر العديدة التي تتهدّد فضيلة النقاوة الملائكية في القلوب واعظمها الرقص والسينما الخلاعية والكتب المفسدة والعشرة الرديئة . ومرادنا في هذه المحادثة ان نتكلم على الرقص غير المحتشم

ان الانجيل المقدس يتكلم عن شيطان اعمى واخرس، اذا دخل انساناً افقده النطق والبصر معاً (متى ١٢ : ٢٢) . ويذكر في موضع آخر شيطاناً عاتياً يستبدّ بمن يستولي عليه للتعذيب من غير شفقة او هوادة، فيلقيه تارة في النار وتارة في الماء ويرضّه بالحجار (متى ١٧ : ١٤) . ويروي الانجيل الطاهر ايضاً حادث شيطان ثالث مستبدّ، اذا خرج من الانسان يطوف في اراضٍ لا ماء فيها . ثم يرجع الى بيته الاول مع سبعة شياطين شرّ منه ويجعل اواخر ذلك الانسان شراً من اوائله (متى ١٢ : ٤٣ ـ ٤٥) . فهولاء الشياطين الثلاثة يصحّ ان نرى فيهم شياطين الرّقص : يحاول الاول منهم، وان عبثاً، منع الكنيسة عن الكلام على الرقص بدعوى ان ذلك ليس من اختصاصها . ويحاول القاء حجاب كثيف بين الناس والحقيقة، فيكونون كالعميان لا يرون ما في الرقص الخلاعي من شرّ ورذيلة . والشيطان الثاني يستبدّ بالراقص، فيهوّره في انواع المآثم ويَحرمه راحة الفضيلة وبهجة النقاوة، ويجعل ذلك بين الناس مألوفاً شاملاً كأنه من مقتضيات العصر . والشيطان

الثالث لا يكلّ ولا يملّ في افساد العالم . فاذا حصل في طريقة الرقص بعض الاصلاح اعاد الكرّة لابتكار رقصات اخرى جديدة اكثر فساداً من الاولى، فيزيد العالم شرًّا على شرّ

اما الكنيسة فلا خطر عليها من الشيطان الاول لان السيد المسيح قد جعلها نور العالم وملح الارض ووعدها بان لا تقوى عليها ابواب الجحيم . ولذلك فهي تعلن الحقيقة وتبذل جهد الطاقة في منع الفساد . فان لم تتمكن من استئصال شأفة الرذيلة فهي تبذل جهدها في ان تقي اولادها من الفساد وتحذّرهم منه، وهي المأمورة بأن تزرع الحقيقة في العالم . اجل ان هناك بعض الاراضي غير القابلة للزرع . منها ارض شائكة . ومنها ذات تربة صخرية كما ورد في الانجيل المقدس . الا ان هناك ايضاً تربة جيدة تعطي ثماراً ثلاثين وستين ومئة (متى ١٣:٣ـ٨) . ففي هذه الاراضي الجيدة، التي اسأل الله ان تكونوا جميعكم منها، سأبذر هذه الكلمات الخلاصية راجياً منه تعالى ان يجعلها بنعمته مخصبة مثمرة ثمار ارض جيدة . لذلك اريد اليوم ان اكلمكم اولاً على ما كانت مخاطر الرقص فيما سلف من الزمان، ثانياً على مخاطر الرقص في وقتنا الحاضر

اولاً — مخاطر الرقص في الزمن الماضي

ليس مرادي في كلامي على الرقص ان اقول بتحريم كلّ رقص، كأن الرقص شرّ في حدّ ذاته . كلا . بل ان هناك بعض

الرقص مما لا مطعن فيه اذا لم يمتزج بما يعكر صفاء النقاوة والطهارة في القلوب . فالرقص في الاصل مظهر حسيّ لبهجةٍ في النفس تتجلى بحركة خارجية هي الرقص بعينه . وقد كان كل حين في الغرب والشرق رقص محتشم كالدبكة مثلاً في سوريا، والسحجة في بلاد العرب، والعاب السيف والترس . فهذه كلها، فضلاً عما فيها من المهارة واللذة، لا غبار عليها في الغالب ولا لوم . بل هو مظهر من مظاهر الرجولية . انما اريد الكلام على الرقص غير المحتشم، الرقص المخنّث الذي يؤدي الى الفساد والخلاعة . بل الذي تتجسم فيه الخلاعة نفسها ويسيطر الفساد . فأبيّن لكم من الاقدمين والمعاصرين ما يجب ان نحكم على الرقص كما يُنظَّم ويقام في ايامنا

رقص الشعب الاسرائيلي امام عجل الذهب رقص عبادة . فاتقد غضب الله ونزل موسى من الطور حانقاً ناقماً . ورمى باللوحين الحجريين المنقوشة عليهما الوصايا العشر . وتقلّد السيف مع بني لاوي، وأمر بضرب الراقصين عقاباً لهم، فسقط من الشعب نحو ثلاثة آلاف . وعدّ موسى هذا الرقص امام العجل المسجود له خطيئة عظيمة (خروج ٣٢: ١٩-٣٠)

رقصت هيروديا امام هيرودس في عشاء عظيم رقص خلاعة، فأعجب برقصها، ووعدها بأن يعطيها ولو نصف مُلكه . وكانت نتيجة ذاك الرقص قطع رأس يوحنا المعمدان الصابغ سابق المسيح الذي كان يوبّخ هيرودس لاتخاذه امرأة اخيه زوجة له، واخوه

في قيد الحياة . وكان ذاك الاثم، وهو من افظع الكبائر، نتيجة الرقص الخلاعي (متى ١٤: ٦-١١)

بل فلنسمع ما يقوله الوثنيون انفسهم عن الرقص . قال المؤلف الشهير سالست : ان اكبر شكاية الرومانيين شكاية الرقص . وقال الخطيب الشهير شيشرون مدافعاً عن شخص كانوا يتهمونه بالرقص : لا احد يرقص ما لم يكن سكران او مجنوناً . وقد تكلم سالست ايضاً عن احدى النساء فقال : من المستحيل ان تكون السيدة الفلانية شريفة لانها تحسن الرقص وتجيده . وكان السيأفون وسافكو الدماء في عهد اضطهاد المسيحيين يرقصون، قبل ان يفتكوا بالشهداء، رقصات هياج . فيضيعون رشدهم قبل ان يُقدموا على هذا المنكر . تلك كانت اقوال وآراء الوثنيين انفسهم في الرقص لِما كان بادياً فيه من شرّ وفساد

فلنسمع الآن ما قاله اباؤنا وملافنتنا العظام عن الرقص : فالقديس ايرونيمس قال : « ان الشيطان نفسه يشترك في الرقص » . والقديس اغسطينوس سمَّى محلّ الرقص « مغارة ابليس » . والقديس يوحنا فم الذهب قال في خطاب له بعد ان علم ان بعض المسيحيين اقاموا الرقص في حفلة عيد : « لو كنت اعرف من هم الذين اشتركوا في هذا الجنون لكنتُ طردتهم من الكنيسة وماسمحت لاحد منهم ان يحضر الاسرار الرهيبة، بعد ما اشترك في اباطيل الشيطان » . ثم اضاف : « تأملوا كم بارك الله افراح ابراهيم واسحق ويعقوب لانه لم يكن فيها رقص . ولكن لا بركة في

افراحكم بل فيها اللعنة، لانها تسبب الوفاً من الخطايا »

وقال القديس افرام : « من الذي علّم النـاس الرقص ؟ ليس هو القديس بولس ولا القديس بطرس ولا احد من الرسل . بل انما هو الشيطان نفسه هو الذي علّم هذه العادة القبيحة مع عبادة الاوثان والدنس »

ولما اتى القديس عبد الاحد لاصلاح اوربا وصف الرقص بانه دائرة، يرقص الشيطان لوسيفورس في وسطها، وباقي الشياطين من حولها

والقديس فرنسيس السالسي يقول بما عُهد فيه من اللطف : « تدّعون ان بعض انواع الرقص حسن . لكنني اقول ان احسنه لا منفعة منه . بل قد يكون ينبوعاً للرذائل »

فاذا كانت تلك هي اقوال الوثنيين والمسيحيين فيما سلف عن الرقص في ايامهم، فماذا نقول عن الرقص في عصرنا، وقـد حوى من دواعي الفساد ومظاهر الخلاعة ما يُحسَب الرقص القديم في جنبه أُلعوبة صبيانية ؟ ...

ثانياً — الرقص في عصرنا

هذا الرقص المُختلط الجديد الآتي من بلاد غريبة والمسمّى بأسماء غريبة كالفالس والفوكس تروت والوانستيب والشارلستون والتانجو وغيرها، هذا الرقص الذي تعرفونه أنتم بمـا فيه من الاختلاط بين الجنسين، والالتصاق بين الجسمين، حتى ليمنعني

فساده ان اخدّش آذانكم بوصفه، هذا الرقص الذي كل ما فيه من حركات ورموز ومظاهر بين القائمين به في اشتباكهم وملبوسهم الخ، انما هو دعوة صريحة الى الخلاعة، بل هو فعل خلاعة علنية تحت رياء دعوى الفنّ والرياضة البدنية . هذا الرقص الذي وُضع قصداً ليكون كل مبناه مهيجاً للنظر والسمع والشمّ واللمس وسائر الحواسّ، هذا الرقص الذي هو تحدٍ شيطاني للفضيلة والآداب، هذا الرقص هو عارٌ بين جماعة يؤمنون بسلطان الله على النفوس وبجمال الطهارة وسموّ الاخلاق. ولقد احسن من سمّاه « بلشفيّة او فوضوية في الآداب ». فكما ان البلشفية والفوضوية تهدمان السلطة والمال والغنى والاسرة والاخلاق وكل شيء يسمّى نظاماً او فضيلة . هكذا يفعل هذا الرقص الذي اخترعه اناس لا يعرفون الدين ولا الحياء ولا الفضيلة، وهم يحاولون ان يؤلّهوا الفساد في العالم

لذلك لم يبقَ باباوات ولا مطارنة ولا كهنة ولا علمانيون افاضل لم يصبّوا سخطهم ولومهم وكرههم على هذا الرقص الغريب. فلنسمع البابا بندكتس الخامس عشر يقول : « لا شيء يُنافي الآداب مثل هذا الرقص » . وقال احد اساقفة باريس : « اننا نحرّم هذه الرقصات الجديدة التي لا يقدر مسيحي ان يشترك فيها براحة ضمير » . وقال غيره من المطارنة : « ان كل ما في الرقص مهيّج للحواس تهييج شرّ وفساد » . وقال غيرهم ان ممارسة بعض انواع الرقص هي الخطيئة بالذات، لا خطر الخطيئة

فقط . ثم فلنسمع بعض العلمانيين الادباء كيف يتكلمون بلهجة اشد استنكاراً - قال احدهم ممن له معرفة تامة بالرقص: «الطانجو منتهى الرذالة، والفوكس تروت فظيع، والجافا غليظ، والباقي قلة حياء وعدم ادب» . وقال آخر : «لا يرقص رجل وامرأة الا يكون ثالثهما الشيطان»

هذا فضلاً عما يؤكده الاطباء من ضرر بعض انواع الرقص بالصحة، زيادة على ما فيه من الخلاعة . فالدكتور بينار يقول: «ان هذا الرقص يحدث تهييجاً مضراً في بعض الراقصات . وله تأثير سيئ في النسل . والدكتور باجس يقول: «ان هذا الرقص يضعف الجسد بدل ان يقويه، ويلقي فيه عجز الشيخوخة بدل ان يجدد فيه نشاط الشباب» . والدكتور برنار يقول: «ان هذا الرقص لا يضر بالنسل فقط، بل بالاعصاب ايضاً ويولد الامراض»

وكم نسمع من الشبان ممن يجيدون الرقص يقولون : اني اذا عزمت على الزواج لن اقترن ابداً بفتاة ترقص . لاني اعرف ما هو الرقص . ومن المعروف المشتهر ان الشبان يجاملون الفتيات لا احتراماً واكراماً لهن، ولكن طلباً للملذات عن طريق الرقص والمرح معهن، وهم في الوقت نفسه يحتقرون من تقع منهن في حبائلهم، لا يرون فيها كرامة ولا اخلاقاً، بل اداة لهو وخلاعة

وهذا هو السبب الاكبر لقلة الزواج في عصرنا . فان الشبان الذين يرحون بالرقص مثل هـذا المرح الخلاعي السهل المنال، ينفرون معه ان يتقيدوا برابطة الزواج الشريفة المقدسة . ثم ان

هذه الخفّة التي يراها الشبان الراقصون في بعض البنات، تجعلهم يحذرون من غيرهن ويهربون من الزواج . وعلى ذلك فان التي تظن ان انصرافها الى الرقص يُسعدها بنصيب حسن، ان مثل هذه الفتاة لهي في ضلال مبين

أجل ان الرقص كما يقام في ايامنا هو الذي يطفئ نور العقل ويُضعف الارادة ويوهن العزيمة ويُهيّج الحواس . فهل تُريدون ان تعرفوا سبب ضعف الاخلاق وارتخاء العزائم في هذه الايام ؟ فتشوا عن الاسباب، تروا الرقص في مقدّمة المخاطر

هي الملذّة في الرقص تجعل الشاب يسأم الاشغال العقليـة والجدّية، فلا يبقى معها مضاء لعزيمته ولا قوّة لارادته، ولا يبقى له همّة على مواصلة الجهد . وهي التي تُضعف العزم، فلا يبقى للراقص قوّة لممارسة الفضيلة ولمجابهة مشاكل هذه الحياة ومصاعبها . وهي التي تهيج الحواس فـلا يحلو للشاب المنهمك في الرقص اجتماع الا اذا وجد فيه ما يُرضي حواسّه من المناظر الخلاعيّة والاغاني المفسدة والاحاديث الخفيفة

لذلك قلّ الرجال اصحاب العزائم والهمم، و كثر المتخنّثون . لمَ لا نرجع الى الصواب ونتّبع ما فيه منفعة لنفسنا وعقلنـا ومستقبلنا ؟ هل ننسى الآداب الشرقية وفضائل آبائنا ؟ ألا نحافظ على تقاليدنا وعوائدنا، لئلا ننتحر انتحاراً ادبياً ؟

لمَ لا يتضافر الرجال فيمنعون نساءهم وبناتهم من هـذا الرقص الخلاعيّ ؟ لمَ لا تتفق الامهات المسيحيّات فلا يسمحن لبناتهن

بهذا التهتك وبهذا العار ؟ لمَ لا نذكر اننا جميعاً ابناء الله بالمعمودية، وانّ جسدنا هيكل الروح القدس فلا ندنّس هيكل الله ؟ لمَ لا نمنع الشكوك ذاكرين « ان الويل لمن تقع الشكوك عن يده » ؟ (متى ١٨ : ٧) ؟ لمَ لا نُوقف ضربات الله بسلوكنا الحسن، ونحن كل يوم نرى شيئاً منها او نسمع عنها ؟

فارحمنا يا رب ارحمنا ولا تعاملنا بعدلك بل برحمتك، وانظر الى دم ابنك الالهي الذي يهراق في ذبيحة القدّاس كل يوم مجدّداً ذبيحة الصليب . وكلنا هنا امام الصليب فلنعاهد الله على ان نقاوم الرقص غير المحتشم بكل قوانا . ولتكن نظراتنا الاحترامية الى هذا المصلوب الالهي وعواطف المحبة والشكر والإخلاص له هي خير ما نداوي به جراح نفوسنا ونصرفها به عن تلك المفاسد المتدفقة اليها من الرقص الخلاعي . فليكن يا رب صليبك المقدس هو الدواء الشافي لنهم النفوس الى ملذّات الحواس . آمين

الكتب المفسدة والسينما المضرة

اذا انعمنا النظر في الحالة الادبية الحاضرة، وتأملنا في اسباب الانحطاط الادبيّ بين الافراد، وما ينتشر من المبادئ المضعضعة اركان الاسرة المسيحية، وما يُهدّد اساس المجتمع الانساني من الافكار الثوريّة والمبادئ البلشفية، رأينا انّ من اكبر دواعي الدّمار استخدام اعداء الفضيلة والدين أقوى وسائل النشر والدعاية، لبثّ افكارهم الكفرية واخلاقهم المُفسدة، عنيت بذلك الكتب والصحافة ودُور السينما . فصدق فيهم قول السيد المسيح : «انّ ابناء هذا الدهر احكم من ابناء النور في جيلهم» (لوقا ١٦ : ٨) . قبضوا على ناصية المطبوعات والسينما، وحوّلوها الى ادوات تدمير وسلاح ضلال وفساد . وها نحن نكلمكم في هذه المُحادثة على خطر الكتب المُفسدة، والسينما الضارّة، مبرهنين انها تُضعف القلب بتهييج الاهواء، وتظلم العقل بنشر المبادئ المُفسدة، وتُرخي العزائم بما تنفث فيها من سموم الفساد . والله المسئول ان يسقي البذار الذي نلقيه في ارض نفوسكم الصالحة، فيثمر ثمراً صالحاً ثلاثين وستين ومئة ضعف

معلوم ان الطبيعة البشرية قد جُرحت بواسطة الخطيئة الاصلية، فأصبحت تميل الى الشرّ اكثر منها الى الخير . تمرّد الجسد على النفس مندفعاً الى التمتع بالمحسوسات، وضعفت انوار العقل فاشتغل بما هو للزمان، وانصرف عما هو للابدية . وحلّ

جمال الطبيعة محل جمال ما فوقها . وتراخت عزيمة الارادة عن تطلّب السماويات واستسلمت للميل الى تعجّل السعادة الزائلة في الارضيات . فصار من الواجب علينا لخلاص نفسنا ان نقاوم هذه الاهواء المُفسدة، ونغلّب النفس على الجسد . وقد وضع السيد المسيح خلاص النفس في قهرها، اي في قهر انحرافها نحو الاباطيل اذ قال : « من اراد ان يخلّص نفسه فليهلكها (متى ١٦ : ٢٥) . ومن لا يحمل صليبه ويتبعني فلن يستحقّني » (متى ١٠ : ٣٨) . والواسطة لقهر النفس هي الابتعاد عن اسباب الرذيلة والتذرّع بالتأمل الروحي والصلاة، وقبول الاسرار المانحة النعمة . فبهذه الوسائل الخلاصية يجاهد الانسان ويقهر اهواءه المفسدة ويحقق قول السيد المسيح : « ان ملكوت السماوات يُغصب والغاصبون يختطفونه » (متى ١١ : ١٢) . فاذا كان الخلاص لا يُنال الا بالجهاد فماذا تكون حالة الذين لا يجاهدون، بل يرمون بانفسهم في التهلكة ويتعرّضون لاخطار قراءة الكتب المفسدة ومشاهدة صور السينما الخلاعية ؟ لذلك نرى من الواجب ان نُظهر لكم هذه الاخطار لتبتعدوا عنها

ان الشيطان اللعين عدوّ كل خير يحسد الانسان على المكان المعدّ له في السماء ويبذل كل جهده في ان يدهوره معه الى الجحيم . وقد زاده وقاحة انه مُذ نجح فأوقع أبانا آدم في فخاخه قد تعدّدت وتوالت انتصاراته على البشر للخراب الروحي والشقاء، حتى لقد جعل لنفسه اعواناً منهم في كل عصر وآن، يساعدونه على نشر

الضلال والفساد بكل وسيلة . وما اكثر الذين يستخدمهم في ايامنا هذه للشرّ بواسطة نشر الكتب الكفرية المفسدة والسينما الخلاعية، فيعملون تحت رايته ! يا ويلهم ! بل يأتمرون بأوامره كالعبيد لسيّدهم، عاملين على هدم الفضيلة ونشر الرذيلة، يقومون بكل ذلك جهراً بكل وقاحة جهنمية، لا يوقفهم عنه توبيخ ولا يردعهم عنه ضمير . وانما هم يطلبون من ورائه المكسب الخسيس . فيستغلّون له الاهواء السافلة في الناس، ويستبيحون لنفوسهم كل وسيلة في هذا السبيل، ويضحّون بالفضيلة والمبادئ القويمة على مذبح الربح والمكسب الخسيس !

وقد قوي اصحاب الكفر والضلال في هذه الاجيال الاخيرة الى درجة انهم اضرموا نيران الثورة على الدين والآداب . وألفوا جمعيات سرية لاضرام الحرب علناً في بعض البلاد على الله وعلى الدين وعلى اربابه، حتى انتهى بهم الامر الى مبادئ البلشفية المقوّضة لاساس كل دين ونظام وألفة بشرية وأسرة مسيحيـة . وفي ذلك ما ترون من خراب العالم الاجتماعي والادبي والمادي . وقـد اضافوا الى استعمال الكتب المفسدة والجرائد الكفرية والمجلات المضلّة استعمال السينما التي هي قابلة لنشر الخير كالكتب، الا انهم قد استعملوها واسطة لنشر الفساد والافكار الكفرية . وهنا الخطر العظيم الذي يقع فيه عدد من المسيحيين وغيرهم

انكم تتعبون على اولادكم في صغرهم وتضعونهم في ارقى المدارس وتبذلون لاجلهم دم اكبادكم حارمين انفسكم الراحة

واللذة لتعليمهم وتهذيبهم . وحسناً تفعلون . ولكنكم تخسرون كل فائدة من تعبكم بتغافلكم عن وقايتهم من الكتب المُفسدة، والسينما المضرّة . ثمّ تتعجبون بعد ذلك من رؤية أولادكم في خفّة وطيش، ساعين وراء الملاهي، قليلي الاكتراث لاشغالهم، وقليلي الحنوّ والمحبة لكم، وعادمي الاحترام لكل من يستحقّ الاحترام . وتبحثون عن السبب في ذلك . فاذا هو في الغالب العشرة الرديئة، والمداومة على الرقص غير المحتشم، ثم قراءة الكتب المفسدة وحضور السينما المضرّة

فان الكتب المفسدة والجرائد الكفرية منتشرة في ايامنا انتشاراً يكاد لا يترك محلًّا للكتب الجيدة والجرائد الجديّة . يتولى العمل في ذلك شيع سرّية متضافرة مع الكفار والمارقين من الدين لنشر الكفر بمسخ الحقائق الدينية والادبية . وبحجة البحث العلمي الزائف يدسّون السم بالدسم بالروايات الغرامية التي تفتك بالقلب فتفسده، وبالعقل فتظلمه، وبالعزائم فترخيها

يبتدئ الولد او الابنة بقراءة هذه الكتب على غير سابق علم واضح بما فيها من شرّ وخطر . وهي في الغالب روايات غرامية تصف هيام وتصرّف شاب او فتاة وصفاً يُغري القارئ على استحسان الفساد عن طريق الكشف الخسيس، او تورد رواية رجل مفسد او فاسد تمكن بأساليب الحيَل من التغلب على قلب امرأة قريبه، وأصبح واسطة لخراب بيتها . هذا ما عدا الروايات المُفعمة بجرائم القتل والسرقة . وكلها تسطو على مخيلة

القارئ وتجعلها تهيم في بيداء الاوهام والاحلام. فيخفّ ميله الى الصلاة والاشغال الجدّية، ويقلّ احترامه لاهله، وتضعف محبته لذويه. ويقضي اكثر اوقاته، وهو في ذهول وشرود عقل، يحلم في النهار اكثر مما في الليل، ويندفع نحو الملاهي، محاولاً ان يحقق بالفعل ما تجسّم في قلبه ومخيلته من تلك الروايات، وقد يبلغ به الامر ان يستسلم الى الحزن والضجر واليأس، اذا لم ينجح في ما يسعى اليه

وبعد ان يتمكن مروّجو الفساد من إغواء القلب، يتوصلون بسهولة الى تضليل العقل. وهي الطريقة التي يسلكها اكثر الكافرين. فانهم يحاولون ارضاء اهواء الشعب السافلة. واذ يرون في الدين والسلطة والضمير الرادع الذي يبكتهم على افعالهم ويحول دون نجاحهم، يُسكتون صوت الشريعة وصوت الضمير بإنكار الايمان والوحي، ويعملون على التخلص من كل سلطة تزعجهم في التمتع بملذّاتهم المحرّمة. لذلك ترون هذه الكتب مشحونة بالافكار الكفرية، ولا يقفون عند حدّ. بل يدكّون صرح الوحي وسلطة الكتاب المقدس، ويُنكرون العجائب. ويحاولون إنكار روحانية النفس وخلودها، والدينونة الاخيرة. ثم يتخلّصون من سلطة الكنيسة، ويزدرون أرباب الدين، ولا يلبثون ان ينكروا سلطة الله نفسه، جلّ جلاله. وقد سبق داود النبي من زمن بعيد ووصفهم قائلاً: «قال الجاهل في قلبه ليس إله» (مز ١٣:١)

ومتى ضل العقل وفسد القلب، فهل تبقى عزائم للارادة ؟

وهل يبقى لها قوّة على مكافحة الرذيلة وممارسة الفضيلة ؟ أفلا تبتعد بالاحرى عن كلّ مشقـة وعناء ، وتصبح مأسورة للإثم والرذيلة ؟ قال السيد المسيح : « ان كل من يعمل الخطيئة هو عبد للخطيئة » (يوحنا ٨ : ٣٤) . ويا ويل من يكون عبداً للخطيئة ! فالدخول من باب الهوى يسيرٌ . ولكنّ الخروج منه عسير . فلا يزال اسير الهوى يتدهور من هوّة الى هوّة « واللجّة تنادي اللجّة » (مز ٤١ : ٨) الى ان يستقرّ لشقائه في قرار الهاويـة . فماذا تنتظرون من هؤلاء الذين استعبدوا لاهوائهم ؟ هل تنتظرون افكاراً سامية ، ام عواطف رقيقة ، ام محبّة وعطفاً على والديهم ، ام شفقة على الفقير ، ام تضحية لكنيستهم ووطنهم ، ام منفعـة للقريب ؟ ماذا يُنتظر ممن خنق في نفسه كل عاطفة احترام نحو ربه وخالقه ومسخ بالرذيلة صورة الله في نفسه ؟ لقد اصبحت قلوبهم صخرية . ولم يبقَ لهم همّة الّا في ارضاء اهوائهم . ولم يبقَ لهم قوّة على التضحية والكفر بالذات . بل اصبحت الانانية والاثرة هي مطلبهم الوحيد ومرماهم . لقد خسروا مُستقبلهم في هذه الدنيا ! وما أشدّ ما هم مُهدَّدون به من فقد السماء أيضاً ان لم يرعووا او يتوبوا ! والسماء لا تُنال إلا بالجهاد

فابكِ على ولدكِ الذي باستسلامه لاهوائه قـد مات موتاً أدبياً . فلم تعـد منفعة منه لا لك ولا لذويك . وهو بدل ان يكون فخراً وسنداً لك اصبح عاراً وخزياً . ابكِ على مستقبله لانه بهذه الغواية اصبح غير قابل لان يكون رجلاً مفيداً لنفسه

ولا لغيره . لان الذي يسعى وراء ملذّاته غير قابل للتضحية . وبدون تضحية وقهر نفس لا سبيل الى التقدم والنجاح . لذلك قلّ عدد الرجال بيننا، وقلّ عدد رجال الخير

ان داء السينما الخلاعيـة هو اعظم وبالاً من داء الكتب المفسدة . لان المَشاهد المتحرّكة ومظاهر الحياة في السينما أقدر جداً على ادخال الفساد في نفس المشاهدين عن طريق السمع والبصر من المطالعات في الكتب والجرائد. فهم يرون رأي العين فيها ويسمعون الحركات الخلاعية والاحاديث الغرامية فضلاً عن الخيانات والجرائم والسرقات . فياخذ الحاضر يعتاد تلك الموبقات شيئاً فشيئاً، وان يكن قد استهجنها لاوّل مرّة ينتهي به الامر مع المداومة الى ان يراها فيما بعد شيئاً مألوفاً طبيعياً . ولا يلبث ان يُقدم على ارتكاب الاثم كما يشرب الماء . وما اكثر الاولاد والبنات الذين تطرّق اليهم الفساد بواسطة السينما ! واكثر ما يكون ذلك كله من تغافل الوالدين ان لم يكن من تشجيعهم . فهل يحق لهم بعد ذلك ان يلوموا سوى انفسهم ؟ ألا فليحصدوا ما زرعوا . فليحصدوا الخيبة والندم وخسارة مستقبل اولادهم واخلاقهم

أجل لا أدّعي ان كل كتاب هو مضرّ، ولا ان كل سينما هي مفسدة . فان الكتب المفيدة والحمد لله كثيرة في كل اللغات . كما ان السينما قابلة ان تُستعمَل لنشر الحق والفضيلة . ولكن من الواجب على الوالدين ان يكونوا متيقظين على سلامة الكتب

والسينما من الفساد والضلال، وان لا يغفلوا عن هذا الامر المهمّ ولاسيما لاولادهم . فلا يسمحون لهم بالذهاب الى السينما قبل التثبُّت من سلامة آداب ما يُعرَض فيها

فمن الواجب عليكم يا ايها الآباء ويا ايتها الامهات، السهر على نفوس اولادكم واخلاقهم . فان الله سيحاسبكم على تربية اولادكم . ولا خلاص لنفوسكم ان لم تسهروا على هذه النفوس الزكية ...

لا يكفي ان تبعدوا عن اولادكم الكتب المسمومة . بل ان من الواجب ان تغذّوا عقولهم بالمبادئ القويمة والاخلاق الشريفة . فكما انكم تبذلون جهدكم في ان تضعوهم في ارقى المدارس . كذلك يجب عليكم ان تجلبوا لهم احسن الكتب، مما يغذّي عقولهم ونفوسهم بالفضيلة . يجب ان تضعوا بين ايديهم الكتاب المقدس ولاسيما الانجيل وتاريخ الكنيسة وسير القديسين، وان تخشوا من الكفر والضلال حتى في بعض الكتب العلمية

فاذا سهرتم على اولادكم هذا السهر المقدّس عاد ذلك عليكم وعليهم بالنفع الجزيل في هذه الدنيا . اذ تبقى عقولهم رائقة لمعرفة الحقائق، وقلوبهم مصغية لمحبتكم، وعزائمهم قوية لمساعدتكم، ماعدا انكم تكفلون لهم عيشةً سعيدة ومستقبلاً حسناً . وفي الآخرة يكلّل الرب اتعابكم باكليل المجد، الذي اتمناه لجميعكم . آمين

التبرّج

تكلمنا فيما سبق عن وجوب حفظ الوصية السادسة، بالامتناع فكراً وقولاً وفعلاً عن الفساد، وذكرنا الاخطار الواجب تجنبها لحفظ الطهارة، من ذلك الرقص غير المحتشم، والكتب المفسدة، والسينما المُضرّة. وفي هذه المُحاضرة نبحث في خطر آخر يهدّد هذه الفضيلة الملائكية بما لا يقلّ عما تقدم ذكره، ألا وهو التبرج اي حياة الترف والظهور بمظاهر البذخ والفخفخة، بالزينة غير اللائقة. وهو في حد ذاته كثيراً ما يكون صادراً عن خفّة عقل وطيش، ولكنه في الغالب يؤذي القلوب النقية ويؤدي الى الكبرياء والفساد وقساوة القلب. لذلك عزمت على طرق هذا الموضوع معتمداً على الانجيل المقدس وآباء الكنيسة الذين ندّدوا بهذا العيب لما فيه من ضرر بالاخلاق السليمة ودعوة الى الفساد. وما املي الا بنعمة الله التي وعد بها مَن يبشر بكلام الله، ومَن يسمع هذا الكلام، وهو القائل: «من سمع منكم فقد سمع مني» (لوقا ١٠:١٦)

إني عندما اطالع مثل الغني في الانجيل اقف ذاهلاً من الويلات الهائلة التي يجرّها الانصراف الى التبرّج والترف في الحياة: أرى رجلاً قد ادّى به ذلك الى الهلاك الابدي. ليس لان في التبرّج بحدّ ذاته، ما يُوجب الهلاك، ولكن لما يؤدّي اليه من الموبقات القتالة للفضيلة. فان الانجيل المقدس ذكر مثل رجلٍ غني، كان يلبس البزّ والارجوان، ويتنعم تنعماً فاخراً. ولم يكن يشفق على

لعازر المسكين المطروح عند بابه، والذي كان يشتهي ان يأكل من الفتات الساقط من مائدة الغنيّ فلا يُعطى له ذلك (لوقا ١٦ : ١٩ الخ)

ابتدأ هذا الغنيّ بالترف المفرط فأدّى به ذلك الى الكبرياء والفساد . والكبرياء والفساد حملاه على قساوة القلب نحو لعازر المسكين . فحبس احشاءه عن كل رحمة . وطلب سعادتـه في المآكل والمشرب والبذخ وملذّات الحواس . ولذلك حكم الله عليه عند موته بأن يُدفن في جهنم

هذه اذن الطريق التي أدّت بالغني الى جهنم، ابتدأ بحبّ التظاهر والتبرّج . وواصل بالكبرياء والفساد . وانتهى بقساوة القلب والانصراف الى الدنيا عن الآخرة . ابتدأ بحب التظاهر: فاخذ يلبس أثمن اللبس وانعمه، البزّ والارجوان، ليظهر غناه للناس ويتمتع به . ولم يكن التظـاهر باللبس فقط، بل كان باثاث البيت أيضاً كالطنافس الفاخرة المفروشة على الارض وعـلى الجدران، والمرايا الصقيلة، والتصاوير الانيقة، والخيول المطهّمة، والولائم الفاخرة، وظهور النساء والاولاد من اهل بيتـه بمظهر البذخ والاسراف . وقد ادّى به حب التظاهر هذا الى العجرفة والكبرياء، فاخذ يزهو بنفسه ويختال بمشيته، ويحتقر كل من كان دونه مالاً وغنى . وهنـا اخذ يتوغّل في طريق الهلاك لان الكبرياء مصدر كل رذيلة وفساد . اخذ يتنعّم تنعماً فاخراً على ما قال الانجيل، والتنعم الفاخر يدل على انه كان يتلذّذ بكل ما يُرضي اهواءه، فينعم ذوقه بالمآكل الشهية والمشروبات الكحولية،

وجسمه بانواع الطيوب، والادهان، واذنه بسماع الاغاني الغرامية، وأنفه بانواع الطيوب، واهواءه السافلة بمغازلة النساء. ومتى أطلق الانسان العنان لجسده، تمرّد عليه جسده وعصاه وألقاه في حمأة الملذّات والفواحش. ومتى سار في هذا السبيل لم يبقَ في قلبه محلّ للرغبة في الصلاة، ولا مكان للشفقة على الفقير. ولذلك تراه لا ينظر الى لعازر المطروح على بابه، المصاب بالقروح، المشتهي قطعة خبز، ولم يفكّر في أن يُساعده ولو بما يحفظ فيه الرمق، او يساعد غيره من البائسين. ولذلك عندما مات دفن في جهنم، حيث اشتد به العذاب حتى طلب من ابراهيم ان يُرسل لعازر ويبرّد طرف لسانه، ولو بقطرة ماء، لانه معذّب في اللهيب. فلم يُعطَ ذلك لانه اراد ان يتعجل السعادة بالمادة في الدنيا فخسر السعادة الخالدة في الابدية. ولكن هل كان ذلك الغني شذوذًا في البشرية؟ أفلا يوجد مسيحيون يعيشون هذه العيشة، ويعرضون انفسهم للهلاك الابدي؟ وهل ينتظرون ان يُرسل لهم ابراهيم واحدًا من الاموات لكي يرعووا عن غيّهم، ام يكتفون بكلام الانجيل وكلام المبشرين به؟

رأيتم اذن كيف الانصراف الى التبرّج يؤدي الى الفساد، والفساد الى قساوة القلب، وكيف كل ذلك يؤدي الى الهلاك. كم الذين في عصرنا ينسون ويا للاسف ابديتهم ولا يهتمون الا بالزمان، ينسون النفس ولا يهتمون الا بالجسد، وبما يُرضي الحواسّ! وهم لا عذر ولا شبه عذر لهم بعد ان عرفوا من تعاليم السيد

المسيح الصريحة ما في ذلك من المنافاة للخلاص ! يتفاخرون ببيوتهم الفخمة، وقصورهم الشاهقة، وحدائقهم الانيقة. يتبجحون بالرياش الفاخر لديهم الحاوي اجمل ما وُجد من الاسرّة والسجّاد والمقاعد والثريّات والنقوش وكل انواع الزخارف. يباهون بولائم يولمونها لامثالهم من الاغنياء، جامعة كل ما طاب من المآكل اللذيذة. يتظاهرون بسيّاراتهم اللامعة وتبرُّج نسائهم بالملابس الفاخرة الناعمة التي لا تستر لهن مع ذلك صدراً ولا ساعداً. وهنَّ يتخطّرن بها في المجتمعات، هازئات بروح الانجيل الداعي الى الحشمة والوقار، ناصعات البياض، لامعات بالجواهر والمصوغات الثمينة البرّاقة الباهرة الانظار. ويحاولن بملابسهن الخلاعية هذه ان يصرفن انظار الغير عن كل شيء اليهن حتى في دور السينما والتمثيل. ومن الكماليات في عرف عشاق الدنيا ان يحضر الرجال والنساء في عصرنا سباق الخيل ولو خسروا المبالغ الباهظة

يحق القول، بعدما تقدم وصفه، انهم يفوقون الغني في لبس البز والارجوان. وقد يبلغ البذخ في نسائهم ان يلبسن كل يوم زيّاً (او مودة) بل عدة ازياء في اليوم الواحد. وهم يفوقونه انغماساً في الملذّات ايضاً، ووسائل التنعم كثيرة في عصرنا. يسهرون في ليالي الآحاد بالرقص واللعب وينامون في مواعيد القداسات . واذا حضروا القداس فما ذلك للعبادة بل لعادة ألفوها. ولا يتورّعون مع ذلك عند ظهورهم في الكنيسة رجالاً ونساء كأنهم في ملهى

ولكن من اشهى ما يرتادونه من المحالّ اليهم مجتمعات اللهو

والمسرح . فيتنعمون بانواع الرقص المختلط الخلاعي توسّلاً به الى تهييج اهوائهم، وهم لا يرون في ذلك الا تسلية واضاعة وقت . يتنعمون بتلك الزيارات الاثيمة وتلك المسامرات التي يندى لها جبين الطهارة والادب . ويسمعون كل انواع الاغاني مهما كانت غرامية او سافلة . وهم بانصرافهم الى ذلك لا يقفون عند حدّ، لان الجسد يتمرّد عليهم واللّجة تنادي اللجة، فلا وقوف الا في قرار الهاوية . ولذلك لا تسأل عن كل انواع المخازي في عصرنا ! ومع ذلك نرى هؤلاء الذين يلتحفون بها يسمّون انفسهم ادباء بحجة انهم لا يقتلون ولا يسرقون !

وقد قال احد الآباء القديسين ان شيطـان الفساد لا يمشي وحده بل يمشي معه شيطان الكبرياء . لذلك ترون عددًا كبيرًا من الاغنياء قد نسوا اقاربهم الفقراء . ولا يريدون ان يعرفوهم معتذرين بان مطاليبهم كثيرة، وان لا زوائد عندهم للفقير ولليتيم ولبيت الله وللمشروعات الخيرية . وقد كان المسيحيون فيما سلف يعطون الله العُشر من اموالهم وما زاد عنهم . والآن من تراه يعطي جزءًا من مئة ؟ لا بل اصبحت القلوب بانصرافهـا الى المادة لا تعطِف على مشروع خيري

ولعلكم تقولون لي : انك تتكلّم على طبقة الاغنياء، ونحن في الغالب لسنا منهم . ولكني اجيبكم : اولاً ان ليس كل الاغنياء والحمد لله من صنف المتبهرجين السابق وصفهم . وحاشا ان اتهم الجميع ممن آتاهم الله خيرات هذه الدنيا بمثـل ما سمعتم

ذكره من المخزيات . لقد كان لعازر صديق المسيح غنياً . وكان نقوديمس ويوسف الرامي ايضاً من الاغنياء . وقد رأيتم كيف قدّسوا غناهم بخدمة السيد المسيح في حياته وفي مماته . وأمثال هؤلاء غير قليل والحمد لله بيننا . فما كل غنيّ خالعاً متبهرجاً . ولكن الغنى سبيل مفتوح الى ذلك . ثم اجيبكم ثانياً ان الفقير نفسه قد يتطلب البذخ والتبهرج مجارياً، على قدر ما تصل اليه يده، كبار المترفين من الاغنياء . بل اضيف، والاسف ملء القلب، ان اغلب ابناء الطبقة المحتاجة يحاولون ان يعيشوا عيشة البذخ والملاهي وان يضارعوا الاغنياء، ان لم يكن في املاكهم وفي دخلهم وفي اشغالهم، ففي مظاهر فخفختهم على الاقل . فالفقير يُريد ان يلبس كالغني . والصغير يريد ان يظهر مَظهر الكبير . وهذا هو سبب مماحكات كثيرة في البيوت . هذا هو سبب ظُلم رجال كثيرين، وربما سبب جرائم كثيرة . هذا هو سبب قساوة قلبكِ ايتها السيدة على امٍّ تحتاج الى الضروريات وانت تتمتَّعين بالنوافل . هذا هو سبب عدم الاقتصاد الذي يرمي العيلة في حالة البؤس والعجز وفي الفقر المُدقع، لانكم لا تدّخرون ليوم الحاجة، ولا تخبئون قرشكم الابيض ليومكم الاسود . هذا هو سبب عدم مساعدة من هو أفقر منكم، وعدم مساعدتكم لبيت الله . هذا هو سبب عدم زواج شبأن كثيرين يخشون الاقدام عليه، لعدم مقدرتهم ان يقوموا بواجب التظاهر والتبرج . وعدم الزواج يسبب الفساد، والفساد يؤدي الى الهلاك

على ان التبرج او التظاهر لا يقف عند هذا الحدّ، بل هو يؤدي الى أهول خطيئة وبّخ عليها السيد المسيح في الانجيل بكلمات قاسية وتهديد مُرعب . ألا وهي خطيئة الشك (متى ١٨ : ٦ ـ ٧) . انك تدعين ايتها السيدة ان نيتكِ مستقيمة في لبس الشفاف او كشف الصدر والذراعين، فهل تكفلين غيركِ من عدم الوقوع في الخطيئة ؟ هل يجوز ان تستعملي السلاح القاتل غيركِ وان لم يضركِ ؟ هل تقدّمين السمّ لغيركِ بدعوى انه لن يلحقك منه أذى ؟ هل يُعاقب قاتل الجسد امام الحاكم ولا يعاقب قاتل النفس أمام الله ؟ أفلا من شفقة على نفوس الشبان الضعيفة، وعلى نفوس الفتيات اللواتي يقتدين بك وبامثالك السيئة ؟ هل تسمحين للازياء التي يخترعها النساء العاهرات ورجال المكسب الخسيس ان تقوى على كلام الله، وكلام القدّيسين، وعواطف رجال الحشمة والادب ؟ أأنا وحدي ألومكم ام السيد المسيح الذي يقول: « كل من نظر الى امرأة لكي يشتهيها فقد زنى بها في قلبه » (متى ٥:٢٨) ؟ أأنا وحدي ألومكم ام اتكلم مع القديس بولس الذي طلب ان تُصلّي النساء بزينة لائقة متزيّنات على مقتضى الحشمة والتعقل (١ تيمو ٢:٩) ؟ او ليس الآباء القديسون صوتاً واحداً في مقاومة عدم الحشمة في اللبس ؟ فلنسمع القديس كبريانس لسان حال افريقية في القرن الرابع يقول: « ان الشيطان علّم الانسان استعمال المساحيق والزينات الباطلة . وزينة النساء تقتل القلب وتنفث السمّ » . فلنسمع القديس امبروسيوس الذي

كان قاضياً في ميلانو قبل ان يصير أسقفاً عليها يقول : « على قدر ما تسعى المرأة في زينة جسمها يحتقرها الله »

وماذا نقول عن القديس يوحنا فم الذهب الذي مات ضحية تقريعه الملكة على اللبس غير المحتشم، كما مات القديس يوحنا المعمدان ضحية الرقص الخلاعي . وقد قال : « ان الجمال كل الجمال في الفضائل والحشمة، لا في المظاهر الخارجية » . وقال ايضاً : « على قدر ما تزيّن المرأة جسدها تعرّي نفسها من الكمال » . ولنسمع القديس اوغسطينس يُقرّ بان ما لقيه من المصاعب في اهتدائه الى الايمان، كان في مناظر الخلاعة واللبس غير المحتشم . ولو أتى الآباء القديسون في أيامنا، ورأوا الازياء الحاضرة، فماذا كانوا يقولون؟ لا بل فلنختم بسماع الروح القدس في نبوءة أشعيا القائل : « يقول الرب اذ قد اختالت بنات صهيون فيمشين مُتلَعات الاعناق، غامزات بالعيون، يمشينَ ويقارِبن الخطو في مشيهنّ، ويجلجلن بخلاخل اقدامهن، فسيصلح السيد هامات بنات صهيون ويعرّي الرب سوءاتهن . . . ويكون لهن النتن بدل الطيب، والرمّة بدل المنطقة، والقرع بدل تجعيد الشعر، وحزام المسح بدل الوشاح، والكيّ بدل الجمال » (اشعيا ٣:١٦ـ٢٤)

اني ادعوكم ايها الاعزاء الى التأمل في ما يؤول اليه الشباب والجمال في القبر . وهناك تفهمون ضلال الكبرياء والتظاهر . ادعوكم الى الحشمة في بيت الله، امام الملائكة الحاضرين تجاه القربان المقدس . فاجعلوا أعمالكم مطابقةً لايمانكم

الطهارة

ما اجمل الذريّة الطاهرة

هذا كلام الروح القدس في سفر الحكمة . فالطهارة إذن بشهادة الروح القدس نفسه جمال الانسانية . ولذلك بعد ان ذكرنا مضار خطيئة الدنس الواجب تجنبها نرى من الضرورة ان نتكلم على فضيلة الطهارة وانواعها . ففضيلة الطهارة اما كاملة وهي الامتناع الطوعي عن كل الملذّات اللحمية، ولو بمجرّد الاشتهاء الارادي، وهي في هذه الحالة تدعى بتولية . واما طهارة نسبيّة، وهي الفضيلة المطلوبة من المتزوجين بان يحافظوا على حدود الناموس بالزواج، ويحفظوا الامانة الزوجية، ولا يتعدّوا الشريعة

ولما كانت الطهارة لا تُنال الا من الله حسبما قال سفر الحكمة (٨:٢١) فلنطلبها اليه تعالى جميعنا، كل واحد منا طبقاً للدعوة التي دُعي اليها . فان « كل عطيّة صالحة وكل موهبة كاملة انما تهبط من فوق من لُدن ابي الانوار » (يعقوب ١ : ١٧) . فالذريّة الطاهرة هي هِبة منه تعالى . ان القديس بولس عندما تكلم على الدعوة قال : « فليستمرّ كل واحد على الدعوة التي دُعي فيها » (١ كور ٧ : ٢٠) . فالبتولية هبة من الله . والزواج دعوة من الله، وهو سرّ مقدّس . اما الطهارة ففرض واجب على كل واحد في حدود حالته، كما سبق الكلام، من المتبتلين

والمتزوّجين على السواء . ويعود الارمل في حكم غير المتزوج الى ان يتزوج اذا شاء.

اولاً – البتولية هبة من الله

فالبتولية هبة من الله بدليل ان السيد المسيح بعد ان تكلم على الذين يحفظون نفوسهم من الزواج لاجل ملكوت السماوات قال: «ما كل احد يحتمل هذا الكلام الا الذين وُهب لهم» (متى ١٩: ١١). والقديس بولس يفضّل البتولية على الزواج ويقول: «ان من يزوّج عذراءه يفعل حسناً. ومن لا يزوجها يفعل احسن ... انها تكون اكثر غبطة ان بقيت على ما هي عليه». وقال ايضاً: «ان غير المتزوّج يهتمّ فيما للرب كيف يرضي الرب. اما المتزوج فيهتم فيما للعالم كيف يرضي امرأته، فهو منقسم» (١ كور ٧: ٣٨ و٤٠ و٣٢_٣٣)

والبتولية التي هي هبة من الله كما ذكرنا، هي فوق ذلك فضيلة مسيحية، اذ لم تكن معروفة عند الوثنيين ولا عند الشعب الاسرائيلي. أجل ان الوثنيين في روما كان عندهم نظام دينيّ لحفظ النار المقدسة في الهيكل، يُعهد فيه الى بعض العذارى - وهن المدعوات بالفستال - الا انهن لم يكنّ يحافظن على البتولية بدافع شعور ديني بالمعنى الذي نفهمه من تحديد فضيلة الطهارة، بحيث يتنزّه القلب عن الانصراف الى كل ميل فاسد وكل ملذّة دنسة . بل كان يقتصر أمرهن على الامتناع عن

الزواج، وذلك مقابل منافع ماديّـة جمّة، وامتيازات عظيمة يتمتعن بها للانقطاع الى خدمة النار المقدّسة. فهن كنّ مأجورات لا متحصنات بالمعنى المسيحي. اما اليهود فقد كانت البتوليـة مجهولة عندهم الى حدّ انهم كانوا يحسبون العقم عاراً

ان السيد المسيح وحده هو الذي غرس زهرة البتولية في العالم. وهي فضيلة الملائكة. بل ان الملائكة اطهار من طبيعتهم. اما البتول فعفيف بحرية ارادته التي تساعدها نعمة الله، بالرغم من ميل الطبيعة الى الانهماك بالملذّات. وقد اظهر السيد المسيح تفضيله للبتولية، اذ اختار لنفسه اماً بتولاً وأباً بتولاً، وفضّل القديس يوحنا الحبيب على غيره لكونه كان بتولاً. بل ان الله اعدّ محلًا خاصاً في السماء للذين حفظوا بتوليتهم، كما ورد في سفر الرؤيا: من انّ الابكار هم التابعون للحمَل حيث يذهب، وهم يسبحون تسبيحة جديدة حول العرش (رؤيا ١٤: ٤ و٣). ولدينا فوق ذلك كلام السيد المسيح الصريح في مدح الطهارة اذ قال: «طوبى للانقياء القلوب فانهم يعاينون الله» (متى ٥: ٨)

ان هذه الفضيلة التي يحبهـا الله لها اكبر المنافع حتى في هذه الدنيا

ألا ما اجمل الذريّة الطاهرة! ان البتوليـة هي الاعجوبة المستمرّة في الديانة المسيحية. ان ما كان يُعـدّ في حكم المستحيل في الديانة الوثنية، وكان يُحسب عاراً عند الشعب الاسرائيلي، اصبح امراً مألوفاً عادياً في الديانة المسيحية بقوّة

الروح القدس وبمساعدة النعمة الالهية . فما اكثر عدد الرهبان والراهبات والكهنة المتبتلين ممن نزّهوا نفوسهم عن كل دنس! وما أكثر عدد الابكار العلمانيين الذين تعشقوا الطهارة، فكانوا في العالم كالرهبان في صوامعهم ! ورب معترض يقول ان هذا التعميم لا ينطبق على الواقع . فاجيب : الشذوذ لاينفي القاعدة. والقليل النادر لا يُبدّل شيئاً من حالة الاكثرية الساحقة . والا فهل يصحّ مثلاً ان يُوصم الرسل بالخيانة، لان يهوذا الخائن كان رسولاً ؟ ما اكثر الكهنة الذين فضلوا لنفوسهم البتولية ليتمكنوا كل يوم ان يلمسوا ويأخذوا جسد المسيح في القداس الالهي، وهم اطهار وباذلون انفسهم في زيارة المرضى وخدمة الانسانية ! ما اكثر عدد الرهبان والراهبات الذين حققوا في نفوسهم معنى ما قاله السيد المسيح، فعافوا الزواج لاجل ملكوت السماء (متى ١٩:١٢)، ونذروا بتوليتهم لله وحرموا انفسهم ملذّات الدنيا الفانية لكي يحصلوا على ملذات السماء الخالدة، ولكي يبذلوا انفسهم في خدمة المستشفيات واليتامى والعجز ومداواة جراح الانسانية التعسة! ما اكثر الابكار في العالم الذين حرموا انفسهم ملذّات الزواج لكي يقفوا حياتهم على خدمة الضعفاء والمحتاجين في أسرتهم، يخدمونهم بنفوسهم وأموالهم ! هذه هي الذرّية الطاهرة الجميلة

جميلةٌ هذه الذرّية في قلوبها النقية، فلا تعصف فيها عواصف الشهوات السافلة . هي جميلة في عقولها الصافية، فلا تتلبد في

جوّها غيوم الافكار الدنيئة . هي جميلة في نفوسها البهية التي تُحلق في سماء البهاء الملائكي وتفهم بسهولة صفات الله وحقائق الابدية وما هو امر الخلاص الابدي

كم نبغ في هذه الذرّية المقدسة من العلماء الاعلام ! وقد كتبوا في اللاهوت الحقائق السامية، حتى ان اميرهم القديس توما الاكويني عندما كان يلتوي عليه أمرٌ كان يفتح باب القربان ويقول للجالس على هيا كلنا : يا رب ماذا يجب ان اقول ؟ فيُلهَم الجواب محكماً واضحاً كأنه ملاك، فيتحدّث عما يراه . فهذه الذرية حتى غير المتعلّمة منها تفوق غيرها في معرفة اسرار الله طبقاً لقول السيد المسيح : «طوبى للانقياء القلوب فانهم يعاينون الله» (متى ٥:٨)

أجل جميلة هذه الذرّية في قلوبها التي تحن على التعس اكثر من غيرها، وتفهم مصاعب الانسان وترقّ لها وتعالجها . فكيف نفهم عطف الكهنة على النفوس لو لم يكونوا اطهارًا قلباً وعقلاً ؟ وكيف كان يتقد الحب المجرّد لاجل الله في قلب الراهبات حتى يضحين بنفوسهن في سبيل المرضى والعجز والبائسين لو كنّ متزوّجات ؟ ما أعظم الفرق بين المُرسل الذي يطوف البلاد المتوحشة ليهدي النفوس الى الايمان بالمسيح، وبين المنهمك في ملذّات الدنيا او المرتبط بقيد الزواج وهو يحاول الامر نفسه ! فهذه الذرّية الطاهرة تفهم التضحية وتعرف كيف تبذل النفس في خدمة غيرها

جميلة هذه الذرّية في شرفها : لانها تدوس الاهواء، وتحافظ على العواطف النبيلة، وتترفع عن الدنايا وعن المكر والخداع .

لان الذي يُسيطر على أهوائه هو بالحقيقة ملك، لا من يستسلم لها . وقد قال السيد له المجد : « ان كل من يعمل الخطيئة هو عبد للخطيئة » (يوحنا ٨:٣٤)، عبد لاهوائه، عبد لمن يسلّم نفسه اليه لقضاء شهواته، حتى يستعصي عليه التخلص منه، بل كثيراً ما يضحي أشدّ ضعفاً وذلّا من العبد في يد سيده

جميلة هذه الذريّة في أجسادها . فبينما ترى الامراض تتكاثر على من يستسلمون لرذيلة الدنس بنوع مُخيف، نشاهد الحافظين انفسهم منها يترقرق على محيّاهم ماء الحياء، ويتألق على وجوههم جمال النفس، وينعكس في عيونهم صفاء ضميرهم، وهم محافظون على صحتهم . وشيبهم يكون محترماً، وشيخوختهم موقّرة

ثانياً — طهارة المتزوجين

على ان الطهارة ليست مطلوبة من الابكار والمتبتلين فقط . بل هي واجبة على المتزوجين ايضاً لان للزواج نواميس الهية مغروسة بقوّة الشريعة الطبيعية في القلوب، لا يجوز للمتزوجين ان يتعدّوها . وإلا كان مضجعهم دنساً . فالزواج نظام طبيعي سنّه الله تعالى وجعل غايته الكبرى ولادة الاولاد لحفظ النوع . ومن يُعاكس هذه السنّة يقاوم ترتيب الله ويُفسد المضجع الطاهر . وهو عقد بين الزوجين يُصبح كل منهما للآخر بقوّة هذا النظام المقدّس . وهو عهد وثيق يُوجب عليهما الامانة المتبادلة التامة أحدهما للآخر . حتى ان كل خلل في الامانة من احد الزوجين

يكون خيانة مخالفة لنواميس الطبيعة . وكل دنس مخالف لغاية الزواج الاساسية إثم وخيانة . فالزواج له نواميس وحدود من يخالفها يُعرّض بيته للخراب، ونفسه لإهانة الله، واولاده للشقاء، وآخرته للهلاك

ثالثاً — ضرورة الطهارة لغير المتزوجين والارامل

ان الطهارة الضرورية للشبيبة هي التي تعدّهم للزواج المبارك السعيد . فما اجمل صنيع الشبان الذين يستعدّون للزواج بالانصراف عن الشهوات السافلة الى الجدّ والنشاط ليحصلوا على مركز ويضمنوا مستقبلهم ! فهم يداومون على الشغل بتوفير المال الذي يساعدهم على فتح البيوت، ويسعون بحسن سلوكهم وفضل نجاحهم الى بنات اشرف الأسر اللواتي يكفلن سعادة مستقبلهم . فما اعظم الفرق بين امثال هولاء والشبان الذين يضيعون الوقت الثمين بالملاهي، وينفقون في سبيلها مكاسبهم، ويفقدون بفقد طهارتهم أنقى دم شبابهم، ويجازفون بصحتهم ! ثم اذا هم اقدموا بعد ذلك على الزواج كان اوّل ما يهتمون له البائنة او الدوطة التي يقتضونها من زوجاتهم، لا كرامة الاخلاق وبهاء الفضيلة!

ومن أفظع ما يُشاع اليوم بين الشبان ضلالة سَمجة لم يكن يُسمع بها فيما سلف من الزمان . وهي ان الاستسلام للشهوة الفاسدة البهيمية ضروري للصحة . وقد بلغت منهم القحة ان يردّدوا هذه السخافة علناً في المجتمعات كأن الذي امرهم بالطهارة

ليس بيده الصحة والحياة، والذي قال « كل من نظر الى امرأة لكي يشتهيها فقد زنى بها في قلبه » كان يجهل حقيقة ما ينهى عنه ويأمر الانسان بما يؤذيه ويفوق طاقته معاً . أجل ان هناك بعض الاطباء يزعمون مثل هذا الزعم الفاسد الا انهم والحمد لله قليلون جداً . وهم فوق ذلك لا يحق لهم ان يتكلموا باسم الطب في هذا الصدد، ولدينا تصريحات رسمية من مؤتمرات طبية عديدة يعلن فيها كبار الاطباء أفضليَّة الطهارة للصحة، وينفون فيها نفياً باتاً كون عكسها ضرورياً للصحة، او على الاقل نافعاً لها . ولولا خشية الاطالة لذكرنا الكثير من اقوالهم في ذلك . . . ولعلَّ الذين يتهوَّرون من الاطباء في ما يزعمون من ضرورة الرذيلة للشبان يقصدون من وراء ذلك التغرير بهم لايقاعهم في شرك الامراض التي يجرّها الفساد، فيستغلّونهم بها لمنفعتهم الخاصة . وهذا أمرٌ ثبت وقوعه غير مرَّة

ولكن لم يُسمع قط ان احداً مرض لاتباعه سبل الفضيلة . على اننا نسمع كل يوم ما تورثه الرذيلة من الامراض والموت . وان اردتم برهاناً على حسن صحة الذين يمارسون الفضيلة فزوروا ديورة الرهبان والراهبات، تروا العافية مع الفرح والسرور، وتفهموا كيف يحافظ هولاء وامثالهم على العفة بالابتعاد عن المخاطر وبممارسة الصوم والصلاة والتأمل في العواقب الاخيرة وقهر الجسد . هذه هي وسائل حفظ الطهارة

والطهارة واجبة حتماً على الارامل ايضاً رجالاً ونساء، ما

داموا غير مرتبطين بعقد زواج جديد . ان امثال هؤلاء يجدر بهم ان يرفعوا قلوبهم الى الله الذي سمح بامتحانهم . فيقبّلوا اليد الالهية التي ضربتهم . ويحوّلوا محنتهم الى فوز مجيد وأجرٍ سامٍ لديه تعالى . فانه لم يسمح بعذابهم الا ليزيد أجرهم . ولم يأذن بامتحان فضيلتهم الا ليزيد اكليلهم جمالاً وبهاء . وستكون المكافأة على قدر التعب . فبعد ان يتعبوا اكثر من غيرهم سينالون مكافأة اعظم من غيرهم، ذاكرين قول الرسول : « ان ضيقنا الخفيف الحالي ينشئ لنا اكثر فاكثر ثقل مجد ابدياً » (٢ كور ٤ : ١٧)

ولنعلم جميعنا، من اي طبقة كنا، وفي اي حالة وُجدنا، ان الحياة جهاد . ولكي نجاهد في سبيل الفضيلة يجب ان نبتعد عن اسباب الخطيئة كما ذكرنا، اي عن العشرة الرديئة وقراءة الكتب الفاسدة وحضور السينما الخلاعية والرقص غير المحتشم وعن البطالة التي هي ام الرذائل . ويجب ان نتسلّح بالصوم والصلاة، لان شيطان الدنس لا يخرج الا بالصوم والصلاة، وان نتأمل في العواقب الاخيرة التي هي الموت والدينونة والجحيم والنعيم . ولنجعل في الختام موضوع تأملنا ما قاله القديس بولس من زوال افراح هذه الحياة : « اقول ايها الاخوة ان الزمان قصير . فبقي ان يكون الذين لهم نساء كأن لا نساء لهم . والباكون كانهم لا يبكون . والفرحون كانهم لا يفرحون . والمشترون كانهم لا يملكون . والمستعملون هذا العالم كانهم لا يستعملونه . لان هيئة هذا العالم في زوال » (١ كور ٧ : ٢٩ ـ ٣١)

الوصيتان السابعة والعاشرة

لا تسرق ـ لا تشته مقتنى غيرك

بعد ان تكلّمنا على وجوب احترام الوالدَين في الوصية الرابعة، واحترام حياة القريب الروحية والزمنية في الوصية الخامسة، واحترام عرض القريب في الوصية السادسة والتاسعة، بقي علينا الآن ان نتكلم على ضرورة احترام مال القريب في الوصيتين السابعة والعاشرة : « لا تسرق ـ لا تشتهِ مقتنى غيرك »

ولكن قبل ان نشرع في شرح ذلك نرى ان نبدأ بتفنيد اعتراض عصري يحاول دكّ اساس الوصيتين المذكورتين . فان الاشتراكيين والشيوعيين او البلشفيين يزعمون ان حق الامتلاك وهمٌ باطل، وان كل امتلاك انما هو اختلاس . ويستنتجون من ذلك ان لهم الحق بان يستولوا جهراً حتى بالنهب على املاك الاغنياء وأموالهم . وقد اخذت هذه النظرية الفاسدة في الانتشار حتى خرّبت بلداناً باسرها، واصبحت خطراً شديداً يهدّد الهيئة الاجتماعية كلها . ثم انّها اثارت في قلوب الطبقات العاملة والمحتاجة روح الثورة على النظام الاجتماعي، وروح البغض والحقد على الاغنياء، الى حدّ انهم يستبيحون لنفوسهم مالهم، ويلعنون الزمان الذي وُجدوا فيه، ويذهبون في شكواهم الى حدّ

التجديف على الله تعالى، معترضين على الخالق جلّ جلاله، ومدّعين انهم مظلومون لقلة ذات يدهم

فمن الواجب والحالة هذه ان نبتدئ قبل شرح الوصيتين السابعة والعاشرة، فنبحث اولاً في ما هو أساس الملك، ثانياً ما هي منفعة البشرية من الأغنيا، ثالثاً ما هي احسن وسيلة للتقرب بين الغني والفقير . وما العون في كل ما نقوله الا بالله

اولاً — اساس الملك

ان موزّع الارزاق هو الله . فان للرب الارض بكمالها كما يقول الكتاب المقدس، الدنيا وكل الساكنين فيها (مز ٢٣: ١) . هو خالق الكون بأسره وحافظه في قيد الحياة . هو خالق النور والجلد والكواكب الساطعة . وهو مُوجد المعادن والنبات والحيوان والانسان وكل نسمة حياة . فهو مصدر كل خير وحياة . وهو مرجع كل خليقة ناطقة، كلنا لله وكلّنا اليه راجعون

فالله الخالق والضابط بيده المسكونة، الله السيد المُطلق الذي بقبضته كل موجود، قد اعطى الانسان سلطة التملك على الارض وما فيها، اذ قال: « انموا واكثروا واملأوا الارض وأخضعوها » (تكوين ١: ٢٨) . فسيطر الانسان على الارض وما فيها من قوت وكنز وحيوان، يستخدم كل ذلك لنفسه لحفظ الحياة وسعادتها . وكان في البدء لكلّ انسان من الاراضي ما يزيد على احتياجه . فانصرف هابيل الى رعاية الغنم، وقايين الى حراثة

الارض . وتسلط كل منهما على ما انصرف اليه : الغنم ونتاجها وألبانها لهابيل . والارض وغلّاتها لقايين . وكان لكلّ منهما حقه خالصاً في وضع يده عليه . وكل واحد منهما قدّم ذبيحة مما له

فترون ان اساس التملك في الانسان على خيرات الدنيا لم يكن النهب او السرقة . بل انما التعب والاجتهاد . فللانسان الحق في ثمار تعبه وعمله . وعلى ذلك فاساس الارتزاق هو السعي والعمل . فالفلاح الذي يتعب في حراثة ارضه، له حقّ بان ياكل من ثمارها . والذي يبني له بيتاً من ماله له حق بان يتمتع به . والذي يتعب في صناعته كالحدادة مثلًا او النجارة او الخياطة او اي مهنة كانت، له الحق بان ينال جزاء اتعابه منها . والذي يتاجر بماله، له الحق بان ينال جزاء مكسبه . كما ان الذي يتعاطى الفنون الجميلة كالتصوير والنقش والرسم والشعر وتأليف الكتب، له الحق بان يستفيد من ابتكارات عقله . فهذا الفلاح وهذا الصانع وذاك التاجر والمتعاطي الفنون الجميلة اذا عرف ان يشتغل وان يقتصد ويثابر على عمله، يصبح مع الوقت ميسوراً، وقد يصبح غنياً . أفليس له الحق بان يتمتع بماله وان يحافظ عليه وان يهبه لمن يشاء ؟ أفليس له حق التوريث ؟ لا احد يقدر ان يُنكر عليه هذه الحقوق

وقصارى القول ان اصل حق التملك انما هو من وضع الهي، اذ خلق الانسان وسلّطه على الارض، واوجب عليه ان يسعى ويكدّ ليكون قوته بعرق جبينه

اما توزيع الارض على البشر فقد كان في الاصل بأسبقية وضع اليد ولا يزال ذلك حتى يومنا هذا، بمعنى ان الشيء الذي لا يملكه احد معين، يبقى الحق في امتلاكه لاول واضع يده عليه . ولكن للانسان ايضاً الحق في ثمار عمله من مادية وادبية . وله حق في ما ينتقل اليه بالتراضي المتبادل من مالك آخر . ومؤدّى ذلك كله احترام الحقوق المملوكة حفظاً للنظام العام

ثانياً — ما هي منفعة البشرية من الاغنياء

رأينا اذن ان حقّ التملك هو حق طبيعي للجميع على السواء . الا ان هنالك تفاوتاً عملياً في ما يصل اليه كل فرد : فمنهم الفقير، ومنهم متوسط الحال، ومنهم الغني . فما القول في ذلك ؟ اجيبكم ان لكل فريق حقاً في ما هو له . ثم ان الغني يفيد الجماعة كما يستفيد هو . فلولا رأس المال لما حصلنا على المشروعات العامّة التي ينتفع بها الجميع . ولولا رأس مال الاغنياء لما حصلنا على ما ترون من الشركات الكبيرة الكثيرة الفوائد. بل ثروة الغني الفرد اصبحت في هذه الايام لا تكفي غالباً للقيام بالمشروعات العظيمة التي يتطلّبها اصلاح حال المجتمع . واضحى من الضروري ضمّ اموال اغنياء كثيرين لتتألف منها الشركات الكبيرة النافعة وبذلك تتجلّى لنا ايضاً العناية الالهية في تنظيمها الطبقات، اذ جعلت الغني خادماً بماله للمجتمع . فكان من ذلك مثلاً الشركات المالية القويّة مما نرى آثاره في مدينتنا هذه للنور

والكهرباء والماء والمواصلات والبنايات الفخمة والمدن الجميلة كهليوبوليس وامثالها مما يطول تعداده

وعلى ذلك فلا تُعيروا آذاناً صاغية لاولي المآرب التي لا اساس لها الا الجهل والطمع، اذ يكلمونكم على المساواة وهم أوّل من يخلّون بها . قامت في القديم الثورة في فرنسا . وهذه الشيوعية الان في روسيا . وفي كلتيهما غُصب الاغنياء أموالهم فماذا جرى ؟ هل وزّعها الغاصبون على الفقير بالمساواة ؟ بل استولى عليها بعض الثوريين وحلّوا محلّ الاغنياء الذين حلّ بهم التعس والشقاء . يتكلمون على المساواة . ولكن واقع الحال ان لا مساواة بين الناس . فهل هم متساوون في الصفات والمواهب وفي قوى النفس والجسد ؟ ثم فلنفرض المستحيل ولنجرّد الاغنياء من اموالهم ولنوزعها على جميع افراد الناس على السواء . فهل تبقى هذه المساواة يوماً واحداً ؟ ألا يمتاز في آخر النهار الرجل الماهر في شغله على ضعيف العقل، والمجتهد على الكسلان ؟

فالبعض يثابرون على الشغل والاقتصاد ويصبحون بفضل الثبات اغنياء . وغيرهم يفضّلون البطالة والكسل ويسعون وراء الملذّات والشهوات، فيتسارع اليهم الفقر والشقاء . أفلا ترون كيف الارمن الذين هاجروا من بلادهم في حالة الفقر، قد سبق بعضهم أغنياء بلادنا بفضل جهادهم ومهارتهم ؟ واين ترون المساواة بين الناس في صحتهم واستعدادهم للشغل ؟ اين ترون المساواة بين عشرة اشخاص يعرفون القراءة، وتسعين أمياً ؟ اين ترون

المساواة بين الرجل الكسلان الخامل الذي لايعرف للوقت قيمة ولا للعمل ضرورة وبين الذي يسعى ويكدّ من الصباح الى المساء؟ أين ترون المساواة بين الناس وقد فرّقت بينهم عوامل لا تحصى، اما خارجية واما شخصية؟ وكيف تسوُّون مثلاً بين المنصرف الى الملاهي والملذّات، والذي انصرف عنها الى الدرس والاكتشاف والاختراع؟ وهل من مساواة ممكنة بين العالم العامل النشيط الذي اوجد اليسر للبشر باختراع القطرات والطيارات والمناطيد والتلغراف السلكي ثم اللاسلكي، وبين الخامل الجامد الذي لا يخطر له ان يتحوّل قيد شعرة عما تسلّمه من آبائه واجداده من مركبة كالسلحفاة، ومحراث لا يكاد يشقّ الرمل الجافّ، فلا يخطو عنها خطوة، ولا يجهد فكره في تحسينها؟ اين ترون المساواة بين من لا يُتعب فكره في تحسين احواله، والذين يخترعون الغواصات ويبنون المدرّعات الفخمة ويطيرون في الفضاء متفوقين على الطيور؟ فان كان هناك اختلاف في مزايا الانسان ومواهبه، فمن الضروري ان يكون اختلاف في الاموال والارزاق. ولو كان الناس كلهم اغنياء لألغي من بينهم كل تعاضد وتعاون عمليّ. ومن يا ترى يمكنه ان يستغني عن غيره في حاجات نفسه؟ ولو كانوا كلهم فقراء لعجزوا ايضاً عن كثير ما تقتضي الحياة من ضروريات. وعليه فكلا الفريقين نافع للآخر، ضروري له. الغني ينفع الفقير بماله فيُيسّر له الحياة. والفقير ينفع الغني بساعده فيعمل ايضاً لراحته. هذا فضلاً عن ان سبل الغنى فسيحة للجميع

من باب السعي والكدّ والعمل . وربما لا يصبح العامل غنياً، ولكنه يعيش مستوراً في هناء . ولذّة العيش في الهناء، لا في الغنى . فالشغل واجب على الانسان لكي يتم امر الله القائل : «بعرق جبينك تأكل خبزك» (تكوين ٣ : ١٩) . والشغل قد أمر به السيد المسيح بقوله : «العبد البطال القوه في الظلمة البرانية» (متى ٢٥ : ٣٠) . والشغل اقتضاه القديس بولس الى حدّ ان قال : «من لا يشتغل فلا يستحق ان يأكل» (٢ تسا ٣ : ١٠)

ثالثاً – ما هي اهم وسيلة للتقرب بين الغني والفقير

على انه لو عضّنا الدهر بنابه وخانتنا صروفه ورزحنا تحت أثقال المصائب لما كان ذلك مانعاً لنا من حظنا في الراحة . فان لنا مشترعاً قد قرّب المسافات بين الغني والفقير، بل جعل في الفقر نفسه بركة وسعادة ربما لا يعرفها الغنيّ . هذا المشترع عاش في اشد الفقر . ولم يُرد أن يستعمل من خيرات الارض الا الكفاف الذي لا غنى عنه . وُلدَ فقيراً . وبدأ حياته بالنفي الى بلاد غريبة . وعاش فقيراً لا محل له يسند اليه رأسه . وليس بين يديه الا ما يكسبه من عمل يديه الشاق، كأحوج العمّال التعبين . ولكن ذلك كله لم يمنعه ان يبشّر بملكوت السماوات فيما كانت بعض النساء التقيات الفاضلات ينفقن عليه في احتياجه . ذلك المشترع هو الذي قال عن نفسه : «ان للثعالب اوجرة، ولطيور السماء اوكاراً . واما ابن البشر فليس له موضع

يسند اليه رأسه » (متى ٨ : ٢٠) . هو الذي بعد ان عاش في منتهى الفقر مات عرياناً على الصليب، فتصدّقوا عليه بالكفن وبالقبر معاً . هذا المشترع قد عرفتموه كلكم هو السيد المسيح، هو ابن الله المتجسد . هو الذي كان يحق لـه ان يقيم حتى الملائكة ورؤساء الملائكة خدّاماً له . ولكنه هو الذي جاء ليعلّم البشر ان يرفعوا قلوبهم عن الارضيات الى السماويات وسفك دمه لخلاصهم . . . جعل اساس ديانته المحبة والرحمة حتى اراد ان يخدم تلاميذه فغسل ارجلهم وقال : « ان ابن البشر لم يأتِ ليُخدَم بل ليَخدُم » (متى ٢٠ : ٢٨) . وجعل نفسه بمنزلة الفقير، ووعد ان يحسب كل ما يُعطى للفقير كأنه مقدّم له . لا بل هدّد الغني البخيل بالدينونة وبنيران جهنم ان لم يتصدّق من امواله . وقد أبان لنا ان المكافأة في السماء ستكون لصانعي الرحمة كما ان العقاب سيكون للقلوب القاسية (متى ٢٥ : ٣٤ـ٤٦)

هذا المشترع العظيم، بعد ان علّمنا بأمثاله، علّمنا بكلامه . فطلب من الكبير والغني ان يستعملا نقودهما وفيض ما لديهما، في سبيل خدمة الصغير . طلب ان نعامل القريب كنفسنا . لا بل وضع القريب مقام شخصه، فقال : « كلّما فعلتم ذلك باحد اخوتي هولاء الصغار في فعلتموه » (متى ٢٥ : ٤٠)

هذا المشترع الالهي يعلّم الجميع القناعـة التي هي كنز لا يفنى . وقد جعـل الخلاص بالاحتمال والصبر : بصبركم تقتنون انفسكم (لو ٢١ : ١٩) . من يصبر الى المنتهى يخلص (متى

١٣:٢٤) . هذا هو بوجيز الكلام قانون السعادة في هذا العالم . ولو حافظ الكبير والغني عليه لما وصلنا الى ما نحن عليه من هياج الشيوعية وثورة البلشفية

فبعد ما أسس المشترع الالهي هذه الشريعة ظهرت في العالم الرحمة، وتقرّب الغنيّ من الفقير . ولا حاجة لان نذكر كل ما في الكنيسة من اعمال الرحمة . فلنكتفِ بذكر ما نراه حولنا وفي كنيستنا فان فيها الجمعيات الخيرية على انواعها . هذه مثلاً جمعيات يوحنا فم الذهب تعلّم الفقير مجاناً في المدارس . وتأوي اليتامى وتربيهم . وتوزّع الحسنات على البيوت المحتاجة . وتعالج المرضى مجاناً في مستوصفاتها، وترسلهم عند الحاجة الى المستشفيات . وتهتم بالعجّز المتروكين المهملين فترسلهم على نفقتها الى مأوى العجز . ولا تزال تصاحب الفقير حتى في جنازته فتهتمّ بنقل رُفاته بشرف الى المأوى الاخير . وما كل ذلك الا اتباع جزء من وصية المسيح . ولا يزال امامنا مدى شاسع لاتمام هذه الوصية : بان نحب القريب مثل شخصنا، ونريد له من الخير ما نريده لنفسنا، وان نحبه كما احبنا المسيح اي نكون مستعدّين لان نموت لاجله، ونفهم اخيراً ان كل ما نقدّمه للفقير التعس هو مقدم لشخص السيد المسيح نفسه . فعلى قدر ما نمارس ذلك بالعمل تكون الحياة سعيدة حتى في هذه الدنيا . فهذا تاريخ الكنيسة، هو سلسلة اعمال محبة ورحمة . فاذا حافظنا على انجيلنا لا يبقى معنى للشيوعية ولا للفاشستية . بل يعرف الغني نفسه انه وكيل

العناية الالهية في امواله نحو الفقير، ويستعمل غناه لا للمجد الباطل والملذّات المحرمة بل للاعمال الخيرية . ويتعلم الفقير ان يشكر الله على حاله عائشاً بالرضى والقناعة . فيعيش العالم في سلام في تمجيد الله وحمده، ريثما نجتمع جميعنا كأبناء اسرة واحدة لنرث الملك المعدّ لنا مع ابينا السماوي . أمين

الوصيتان السابعة والعاشرة

لا تسرق – لا تشته مقتنى غيرك

رأينا في محاضرتنا الاخيرة طريقة التملك الشرعيّة، فقلنا ان الرزق هو ابن العمل والسعي . فكل من يشتغل ويثابر على شغله ويقتصد في نفقته، ويستعمل قوى عقله وإرادته وجسمه، ويبتعد عن طرُق الفساد، عن اللعب والشرب والدنس، يكسب ويُرزَق ويملك ويعيش مستوراً شريفاً . واذا ساعدته الاحوال يُصبح من الموسرين

وكل من يحاول الحصول على مال القريب بدون حق شرعيّ يسمّى سارقاً . فالسرقة ليست فقط في اختلاس مال القريب او في الاستيلاء على مال القريب بطرُق النهب . بل تكون ايضاً على أنواع كثيرة، فكل من استولى مثلاً على مال الغير بطرُق الغشّ والخداع فهو سارق . وما اكثر انواع السرقة في أيامنا ! لذلك رأينا من المُفيد في معرض الكلام على الوصية السابعة « لا تسرق » ان نتكلّم اولاً على انواع السرقة وفظاعة إثمها، ثانياً على وجوب التعويض عن كل سرقة او ضرر تلحقه بالقريب

اولاً – انواع السرقة وفظاعتها

كل الناس يستفظعون السرقة الدنيئة بالاختلاس، ويشمئزون من السارق . ولكن ما اكثر الذين يستفظعونها في غيرهم،

ويستحلونها في نفوسهم بطرُق الغش والخداع ! ذلك لانهم يعبدون المال ويبرّرون كل الوسائل الموصلة اليه . فالمال في نظرهم يُولي الجاه والعظمة ويمهد وسائل الرفاهية والتلذّذ بالعيش . والمال هو قاضٍ كثيراً من الحاجات والملذّات . بالمال يحصل الانسان على القصور الفخمة والاثاث النفيس والحلى الفاخرة والمآكل الشهية . والناس على العموم يطأطئون الرؤوس امام الاغنياء . ولكنه ويا للأسف معبود ظالم قاسٍ، كذّاب الوعود، يعد بالسعادة الا انه كثيراً ما يورث عبّاده الهم والمرارة والتعس حتى في هذه الدنيا، فضلاً عما يحدثه من الخراب الروحي في النفس، طبقاً لقول القديس بولس الرسول : « اما الذين يرومون الغنى فيسقطون في التجربة والفخ وفي شهوات كثيرة سفيهة مضرّة تغرق الناس في العطب والهلاك لان حب المال اصل كل شر » (١ تيمو ٦:٩)

اي نعم ان حبّ المال هو اصل كل شر . لانه يصرف النفس عن حب المعنويّات الى حب الماديات . ويسفّل بها من مستوى الروحيات الى حضيض المحسوسات . ويجعل حجاباً كثيفاً بين العقل والشرائع المقدّسة، فيستحلّ محب المال كل محرّم في سبيل السعي اليه . هو سبب الغشّ في البيع والشراء . هو سبب الربا الفاحش، وعدم وفاء الديون، والافلاس الاحتيالي، ولعب القمار، ومضاربات البورصة، واسباب جرائم كثيرة كالقتل والكذب والرشوة وارتكاب الفظائع

قد كان احد الاقدمين يصف الناس في ايام الوثنية فيقول :

« فاسدون ومفسدون، هذا هو العصر » . والآن مع وجود الفساد العام نقدر ان نقول : خادعون ومخدوعون، هذا هو العصر

قد ذكرنا ان السارقين ليسوا الذين يختلسون مال الناس فقط، بل هم ايضاً اولئك الذين يغشّون في البيع والشراء . فان كثيرين من الباعة لا يرضون مكسباً شريفاً معقولاً . بل يطمعون باقصى ما يستطيعون الوصول اليه من المال حيلة ودهاء . حتى انهم لو امكنهم بمهارتهم ان يسلبوك لما أحجموا عن ذلك . وهم يباهون بذكائهم ويضحكون من سلامة نيتك

وهم اذا باعوك صنفاً بسيطاً بسعرٍ بخس، فما ذلك الا ليستدرجوك ويغشوك في قيمة الصنف غير المكشوف باضعاف أسعاره

والغش ليس في الامور الكمالية فقط، في بيع المصاغ والمجوهرات والاصواف والاجواخ والحرائر . بل هو في الامور الضرورية للمعاش ايضاً، في الخبز والسمن وفي جميع انواع المأكولات والمشروبات

يجب ان تضعوا ايضاً في عداد السارقين اولئك الذين يغشون في الوزن والقياس . وما اكثر الذين يزنون ويقيسون بمهارة زائدة ! فيتظاهرون بالاستقامة، في حين انهم يهزأون من سلامة نيتك وعدم تمييزك لاساليب خداعهم

يجب ان تحسبوا في عداد السارقين الدائنين بربا فاحش الذين يعطونك الخمسين غرشاً فيحسبونها مائة، ويطلبون عنها فائدة كبيرة

بعد وقت قريب . فلا تشعر بنفسك الا وانت في فخاخهم . ولا تعرف ان تتخلص منهم الا بعد ان يرغموك على بيع ارضك او بيتك وكل عزيز لديك

يجب ان تسمّوا سارقين اولئك الذين يستدينون اموال الناس، او يتسلمونها وديعة . ثم يحبسونها لديهم لمنفعتهم الخاصة، ويمتنعون عن ردّها بحجة عدم المقدرة . وهم في الوقت نفسه يعيشون في بحبوحة من الكماليات وينفقون عن سعة للبهرجة والفُسح والاثاث الفاخر والحلي والحُلل

يجب ان تسمّوا سارقين الذين يرشون القضاة في المحاكم ويعمون عيون الموظفين بهداياهم، فينالون منهم ما يريدون من انواع العسف ويجعلونهم يدوسون اقدس واجباتهم

اولئك جميعهم هم سارقون . ولكن من اخبثهم امام الله والناس عملاً أولئك الذين يعلنون افلاسهم عن غشّ واحتيال . فانهم بعد ان يكونوا قد جمعوا اموال الناس وتمتعوا بها بالرغد والرفاهية وكل اسباب الراحة، يحاولون ان يحتفظوا بها لنفوسهم . فيعزلون كمية وافرة من المال تضمن لهم مستقبلهم من نَكبات الزمان، ثم يتظاهرون بالعجز عن الوفاء، ويعلنون افلاسهم . فيحرمون المساكين والارامل واليتامى مما جمعوه بعناء شديد، واستودعوهم اياه ظناً منهم انه يكون في يدٍ امينة ! فوا أسفاه عليهم !! . . .

وكذلك هم سارقون المستخدَمون الذين يتكاسلون في

شغلهم ويُهملون القيام بحق خدمتهم مع مقدرتهم عليها وتعهدهم بها . ثم يأخذون معاشاً عن ايام يقضونها في الكسل والاهمال وعدم اتقان عملهم

اولئك هم لصوص وسرّاقون المضاربون بالبورصة الذين يروّجون الاخبار الكاذبة بما لهم من الطرق الخبيثة الخدّاعة للتأثير في سير الاسعار . فان تمّ لهم النجاح في انزالها اشتروا لنفوسهم من الاسهم التي بخسوا قدرها اقصى ما استطاعوا . ثم عادوا الى ترويج الاخبار الكاذبة لرفع اسعارها والاستفادة من بيعها غير مشفقين ان يخربوا بيوتاً برمتها

اولئك هم لصوص وسراقون المقامرون الذين يدمنون القمار ويدّعون ان الورق يوليهم الحق بان يستولوا على مال الناس وان يحرموا النساء والاطفال مما هو ضروري لمعاشهم

تقولون لي اذا كان كل من ذكرتهم سارقين نتج من ذلك ان اكثر الناس سرّاقون . لانه كم من الاغنياء قد جمعوا اموالهم من احدى هذه الطرُق الملتوية المعوّجة . فالجواب ان ليس كل ما يبرّره الناس لانفسهم يبرّره الله . فالسرقة لا تزال اثماً ولو بطريق الحيلة والدهاء . السرقة يحرّمها الله حتى ان الكتاب المقدس يجعل السارقين في عداد المنفيين من دخول النعيم، كالزناة وعبادي الاصنام الذين لا يرثون ملكوت السماوات (١ كور ٦ : ٩-١٠) السرقة مخالفة للعدل الذي يقضي ان نعطي كل انسان حقه . السرقة مخالفة لشريعة المحبة التي تقضي ان نعامل غيرنا كما نريد ان يعاملنا الناس

ثانياً — وجوب التعويض عن كل سرقة

اذا كانت الذنوب تُغفر بمجرّد الندامة وبالعزم الثابت على عدم الرجوع الى الخطيئة، فان السرقة لا تُغفر الا بردّ المسلوب عند المقدرة عليه. اذ لا ندامة حقيقية مع تمسك الارادة بالعمل المحرّم. فلا بدّ اذن من التعويض للقريب الذي ألحقنا به الضرر ونحن نقصد الاذى

ان خطيئة السرقة تعظم على مقدار الضرر الذي يُلحَق بالقريب. فان كان الضرر جسيماً كانت الخطيئة جسيمة. ولا غفران للخطيئة الا باصلاح الضرر، على قدر ما تصل اليه المقدرة. ولا يُغني السارق عن التعويض ان يصوم ويصلّي ولو اياماً وسنين طويلة. وكيف يطيب العيش لانسان مثقّل بالديون وهو لا يسعى للوفاء، ولا يفكر به مع مقدرته عليه؟ وكيف يلذّ لامرأة ان تتفاخر بحليها وحلاها، وزوجها على هذه الحالة من الظلم للابرياء اذا كان المال بينهما مشتركاً؟ وكم من الاغنياء يعيشون متمتعين ويا للاسف بمال المظلومين واليتامى والارامل، ثم تداهمهم الامراض ويذهبون لملاقاة ربهم وضميرهم مثقّل بالاموال المختلسة، وهم لم يعوّضوا ولم يزكّوا عنها؟! افيرضون لنفوسهم بالهلاك الابدي لكي يتمتع اولادهم بهذه الاموال الموروثة المختلسة؟ ويا ليت هولاء الاولاد يتصدقون بشيء منها على الفقير المسكين! بل انما يتخذونها واسطة لاظهار مجدهم

الباطل ووسيلة لينالوا ماتشاء اهواؤهم من الملذّات المحرّمة

فلا تحسدوا غنياً على مال مكتسب بالطرق المحرّمة . فان هذا المال ليس فيه هناء . وهو اذا تمتع به بضع سنين فلن يكون في مأمن من ضربات الله حتى في هذه الدنيا . وان لم يحاسبه الله في هذه الدنيا يبقى له الحساب في الآخرة ، وهو القائل « لي الانتقام وانا اجازي كل احد بحسب اعماله » (عبر ١٠ : ٣٠ ورومة ١٢ : ١٩) وان في قصة آحاب وايزابل اكبر رادع عن السرقة اذ كرها بتفاصيلها كما وردت في الكتاب المقدس لتروا فيها عظة وعبرة :

كان لنابوت اليزرعيلي كرم في يزرعيل الى جانب قصر آحاب ملك السامرة . فخاطب أحاب نابوت قائلاً : أعطِني كرمك فيكون لي بستان بُقول ، لانه قريب من بيتي . وانا اعطيك بدلاً منه كرماً خيراً منه . وان حسن في عينيك اعطيك ثمنه فضة . فاجاب نابوت احاب : معاذ الرب ان اعطيك ميراث ابائي . فعاد احاب الى بيته واجماً قلقاً من الكلام الذي تكلم به نابوت اليزرعيلي بقوله : اني لا اعطيك ميراث ابائي . واضطجع على سريره واعرض بوجهه ولم يتناول طعاماً . فجاءت ايزابل امراته وقالت : ما بالك كئيب النفس ولم تتناول طعاماً ؟ فقال لها : لاني خاطبت نابوت اليزرعيلي وقلت له : اعطِني كرمك بالفضة وان شئت اعطيك كرماً بدلاً منه . فقال : لست اعطيك كرمي . فقالت له ايزابل امرأته : ما انفذ سلطانك على اسرائيل ! قم فتناول طعاماً وطب نفساً ، وانا اعطيك كرم

نابوت اليزرعيلي. ثم انها كتبت كتباً باسم احاب وختمتها بخاتمه . وانفذت الكتب الى الشيوخ والاشراف الذين في المدينة الساكنين مع نابوت . و كتبت في الكتب تقول : نادوا بصوم، واجلسوا نابوت في صدر القوم، واقيموا رجلين ابني بليعال تجاهه، يشهدان عليه قائلين : انك قد جدفت على الله وعلى الملك . واخرجوه . فيرجمونه . فيموت . . . فعملوا بحسب اوامر الملك . وبعد ان شهدوا عليه بالزور اخرجوه خارج المدينة ورجموه بالحجارة، فمات . ولما نزل الملك الى كرم نابوت ليرثه، كان كلام الرب الى ايليا التشبي قائلاً : « قم فانحدر للقاء احاب ملك اسرائيل الذي في السامرة . وها هوذا في كرم نابوت الذي نزل اليه ليرثه . و كلمه قائلاً : قتلتَ وورثتَ ايضاً ! هكذا يقول الرب : في الموضع الذي لحست فيه الكلاب دم نابوت، تلحس الكلاب دمك انت ايضاً . وتكلم الرب على ايزابل ايضاً قائلاً : « ان الكلاب ستأكل ايزابل عند مِترسة يزراعيل » . وقد تمت هذه النبوءة بالحرف فقُتل احاب، ولحست الكلاب دمه ودم ايزابل، كما انبأ ايليا، ومات شرَّ ميتة . . . (٣ ملوك ٢١ : ١ ـ ٢٣ وف ٢٢ : ٣٤ ـ ٣٨ و ٤ ملوك ٩ : ٣٠ ـ ٣٧)

قد سمعتم في الانجيل مثل زكا يقول ليسوع « ها انا ذا يا سيدي أعطي المساكين نصف اموالي وان كنت غبنت احداً في شيء اردده اربعة اضعاف . فقال له يسوع : اليوم قد حصل الخلاص لهذا البيت » (لو ١٩ : ٨ ـ ٩) . فالذين ثقل ضميرهم باموال

الناس، فليقولوا ما قاله زكا وليتبعوه بالفعل، يحصلوا هم ايضاً على الخلاص . اما لو تعذر التعويض حقاً دفعة واحدة فلا بدَّ منه تدريجاً، بحيث لا يعفي منه امام الله الا العجز الحقيقي المجرد عن الغش والاحتيال والمخادعة، بشرط الاستعداد مع ذلك للقيام به حالما يعود ميسوراً

لا تسرق

النبذة

راينا ان الوصية السابعة تحرم علينا أخذ مال القريب ظلماً. على ان مال القريب ليس مادياً فقط، بل هو ادبي ايضاً. فصيت القريب او حسن سمعته هو مال ادبي اثمن من ماله المادي. وعلى ذلك يكون الحاق الضرر في سمعته او صيته اعظم من سلبه امواله. ويترتب علينا ان نحترم صيت القريب وان لا نسرق شرفه الذي له حق وثيق فيه لان الشرف هو اهم راس مال في المعاملات: وهو حياة الانسان الادبية. وما قيمة الانسان بين الناس اذا هو فقد شرفه. لذلك نرى من الواجب في شرحنا الوصية الثامنة ان نتكلم اولاً على وجوب احترام صيت القريب، وعلى الامتناع عن مسّ شرفه و كرامته ظلماً، ثانياً على وجوب التعويض عن الضرر اللاحق بصيت القريب، ثالثاً على واجبات السامعين. وليس لنا مساعد في اصلاح عيوبنا الا النعمة الالهية والرغبة الصادقة في اصلاح العيوب

اولاً – وجوب احترام صيت القريب

اشرنا في المقدمة الى ان الانسان، فضلًا عما له من الحق في المحافظة على ماله من نقود ومنقولات وعقارات واملاك، له حق

ايضاً أسمى واقدس في المحافظة على حسن سمعته بين الناس . وهذه السمعة مبنية على صدقه واستقامته وحسن اخلاقه وسائر الصفات والفضائل التي تولي الشرف بين الناس . وهذه السمعة لها قيمة اثمن من المال، لانها مال النفس . والنفس اثمن من الجسد. ولا يبعد ايضاً ان يفقد الانسان ماله وخيراته بعد خسران شرفه

فالعدل يقضي علينا باحترام صيت القريب، لان له حقاً ثابتاً فيه، وهو اثمن شيء لديه . فمن يسلب القريب حسن سمعته يقتله قتلاً ادبياً . ولا يجوز القتل . والمحبة تقضي ان نحترم صيت القريب، لانها تامرنا ان نعامل غيرنا كما نريد ان يعاملنا الناس . فكما اننا نريد ان يحافظ الناس على صيتنا وعرضنا، هكذا يجب ان نحافظ على صيت القريب وعرضه

ومن اعظم الاسباب الدافعة على الحاق الضرر بالقريب الكبرياء والحسد. فالكبرياء توهم الانسان انه ارفع مقاماً من غيره وان مجد غيره مذلة له. وهذا الوهم يحمله على هدم صيت غيره ظناً منه انه بذلك يبني مجده الذاتي. ولا يدري ان هذه الكبرياء تفقد قدره في عيون الناس. ومن اخص ملحقات الكبرياء رذيلة الحسد التي هي من ميزات ابليس تجعل المبتلى بها يحزن لخير غيره، فيبذل جهده في ان يبخس من حق غيره ليفرح بضرره . وهي نقيصة دنيئة تحط من شأن الحاسد وتضر بصحته، لان المثل يقول : الحسود لا يسود، ونار الحسد تأكله، ولا يموت الا كمداً. ولابدّ من الملاحظة ايضاً ان البطالة مع الكبرياء هي من

اكبر دواعي النميمة . فحيث يسود الفراغ من العمل يلهو الناس بأمور غيرهم عوضاً عن ان يهتموا بشؤونهم . فيوردون الامور على علاتها وعلى غير علاتها، ويخترعون حكايات لا اصل لها الا في دماغهم او في مخيلتهم المتهيجة

فواجب المحبة والعدل يقضيان ان نحترم صيت القريب وان نمتنع عما يضره . وهذا الضرر يصدر من الافتراء والنميمة والفتنة والدينونة الباطلة

فالافتراء هو قول كاذب به ننسب الى القريب نقائص وعيوباً نعلم انها ليست فيه . ولا يسقط في هذه الخطيئة من يختلق على القريب هذه الاكاذيب فقط، بل من يبالغ ايضاً في وصف عيوبه، وفي نكران فضائله، او من يسعى في ثلم صيت القريب واسقاط قدره . فترون ان الافتراء خطيئة فظيعة لانها تلجأ الى الكذب لضرر القريب . ففيها الكذب وفيها الاعتداء

والنميمة هي شهر عيوب القريب وخطاياه الخفية بدون حق . فالعبرة في النميمة انما تكون في شهر الخطايا او العيوب الخفية، لان العيوب العلنية التي صدر فيها حكم في المحاكم، او جرت على رؤوس الملإ والاشهاد، لا يبقى ضرر للقريب في معرفتها . لان مرتكبها قد سعى هو نفسه في شهرها . على ان المحبة تطلب ان لا نذكرها من باب الشماتة او البغض

قلنا ايضاً . ان النميمة هي شهر نقائص القريب بدون حق . أما لو اقتضت المصلحة العامة شهر هذه النقائص الخفية لنمنع

ضرراً عن الحكومة او الكنيسة او القريب البري، فلا مانع من ذلك حينئذ. لان القريب الذي له حق في عدم شهر خطيئته لا حق له ان يجعلها وسيلة لالحاق ضرر في المصلحة العامة او أذية في الانسان البري.

والفتنة هي رمي بذار الشقاق بين الافراد والعيلات بما يورده الفتان من الكلام والافعال المهيجة لغضب السامعين . وهذه الاقوال ان كانت صحيحة دعيت نميمة، وان كانت كاذبة سميت افتراء . واما الدينونة الباطلة فهي الحكم على القريب حكماً فاسداً او اساءة الظن فيه بغير مستند ثابت

فكل هذه الخطايا المذكورة الافتراء والنميمة والفتنة والدينونة الباطلة يرذلها الله ويمقتها

وسفر الامثال يقول عن الفتنة : «ستة يبغضها الرب والسابع رجس عنده ... ملقي الشقاق بين الاخوة » (امثال ٦:١٦) . والسيد المسيح يمنعنا من ان ندين القريب بقوله : « لا تدينوا لئلا تدانوا . فانكم بالدينونة التي بها تدينون تدانون » (متى ٧:١-٢) والقديس بولس في رسالته الى اهل رومة (١٤ : ١٠) ينادي: « مَن انت يا هذا حتى تدين اخاك؟ فانا جميعاً سنقف امام منبر المسيح »

هذه الخطايا التي يرذلها الله ويكرهها الناس هي السائدة في العالم. فلا نرى الا امماً تتحارب، واحزاباً تتطاحن، وعيلات تتحاسد، واخواناً يتباغضون. وما اكثر عدد الذين ينسون عيوبهم الكثيرة

الجسيمة لينقّبوا عن هفوات اخوتهم الصغيرة، فيكبّرونها ويجسّمونها وفقاً لغاياتهم واغراضهم . فلمثل هولاء قال السيد المسيح : « ما بالك تنظر القذى الذي في عين اخيك، ولا تفطن للخشبة التي في عينك؟ ... يا مرائي أخرج اولاً الخشبة من عينك وحينئذ تنظر كيف تخرج القذى من عين اخيك » (متى ٧:٣_٥)

وهذا سبب القلق والانزعاج بين الناس، حتى لم يبقَ لاحد راحة . وهذا هو ضعف كبير في بلادنا كان من اكبر اسباب خرابها . فان روح التحزب قطع اوصالنا واضعف قوانا وجعل الاعداء يشمتون بنا . والتباغض بين الاخوان اكبر داعٍ لخراب الاسر . وهل نقدر ان نصف ما لهفوات اللسان من المضرات؟ فكم اسالت هذه الخطايا من دموع ! وكم مزقت من قلوب، وكم هتكت اعراضاً، وافقدت اموالاً، وخربت بيوتاً، وسببت الجرائم والقتل ! وكم جرحت نفوساً جراحات لا تندمل على ما قال بعضهم :

جراحات السنان لها التئامُ ولا يُلتام ما جرح اللسانُ

وما احسن ما قاله القديس يعقوب الرسول في وصف اللسان ! وهو هذا : « اللسان عضو صغير، ويأتي بعظائم . أما ترى كيف النار اليسيرة تضرم غابة كبيرة ؟ اللسان نار، وعالَم من الاثم . اللسان جُعل بين اعضائنا وهو يدنس الجسم كله، ويلهب دائرة عمرنا، وتلهبه جهنم . ان كل طبيعة للوحوش والطيور والدبابات وذوات البحر تُقمع، وقد قُمعت للطبيعة البشرية . واما اللسان

فلا يستطيع احد من الناس ان يقمعه . هو شر لا ينضبط، مملوء سماً مميتاً » (يعقوب ٣: ٥-٨) . لذلك يسمي القديس يعقوب نفسه الرجل الذي يضبط لسانه رجلاً كاملاً : « ان كان احد لا يزلّ في الكلام فهو رجل كامل » (يعقوب ٣: ٢)

ثانياً – وجوب تعويض الضرر اللاحق بصيت القريب

ولا يتوهمن النمّام المضر بصيت قريبه انه ينال الغفران عن خطيئته بالتوبة، ان لم يبذل جهده في اصلاح الضرر الملحَق بالقريب . فكما ان السرقة لا تغفر الا بالتعويض . هكذا الضرر بصيت القريب لا يغفر ايضاً الا بالتعويض عن هذا الضرر

ويتنوّع التعويض بتنوُّع الضرر اللاحق بالقريب . فان كانت خطيئتك افتراء كذباً، فمن الواجب ان تصلح خطأك مهما كلفك الامر، وان تعوض عما الحقت به من الخسارة . وان كان قدحك في صيت القريب صحيحاً، فانك لا تقدر ان تكذب نفسك . ولكن يجب عليك ان تخفف من وطأة الضرر ما امكنك، إما باظهارك ما له من الصفات الساترة عيوبه، او بشهرك ما له من الحسنات . فان كان اصلاح الضرر صعباً جداً كما ترى، فكم يجب علينا ان نتحاشى عن التعرض لصيت القريب! وفي ذلك خير وسيلة لراحة الضمير في ساعة الموت . يحكى عن احد الرهبان انه كان في ساعة موته مطمئناً هادئاً، مع انه لم يكن خالياً من النقائص في سيرته . فاظهر له رئيسه عجبه من

هذا الاطمئنان، في حين انه لم يكن مثال الكمال في كل اموره. فاجاب رئيسه مطمئناً : اني اتممت امر السيد المسيح القائل « لا تدينوا لئلا تدانوا » . فاني في حياتي كلها لم أدِن احداً . ولي رجاء بان الله لا يدينني

ثالثاً — واجبات السامعين

على ان الخطايا المضرة بصيت القريب لم تكثر الا لكثرة السامعين لها . فالذي يتلذذ بسماع الافتراء والنميمة والفتنة يشجّع الناس على ارتكاب هذا الاثم، ويخالف فضيلة المحبة التي يصفها الرسول بقوله (١ كور١٣ : ٤–٧) : « المحبة تتأنى وترفق . المحبة لا تحسد ولا تتباهى ولا تنتفخ ولا تاتي قباحة ولا تلتمس ما هو لها ولا تحتد ولا تظن السوء ولا تفرح بالظلم . بل تفرح بالحق . وتحتمل كل شيء، وتصدق كل شيء، وترجو كل شيء، وتصبر على كل شيء »

فلولا كثرة السامعين لجيش الوشاة النمّامين لقلّت خطايا الافتراء والنميمة والفتنة . لذلك قال القديس برنردس : « لا ادري اي خطيئة اعظم أخطيئة النمام ام خطيئة السامع . فالشيطان على لسان النمام ولكنه ايضاً في اذني السامع »

فماذا يجب علينا فعله عندما نسمع الطعن بصيت القريب ؟ يجب ان يكون مظهرنا بحيث لا يساعد الطاعن او يشجعه على المضيّ في طعنه . والافضل ان ندافع اذ ذاك عن غيرنا كما نريد

ان يحامي غيرنا عنا . ولكن الواجبات تختلف باختلاف منزلة الطاعن في حق القريب . فان كان الطاعن مثلاً من اولادك او ممن لك سلطة عليهم، فمن الواجب ان تردعه عن هذا الكلام او تلزمه السكوت، لئلا تشاركه في خطيئته، اذ يكون سكوتك تشجيعاً له . وان كان المتكلم من امثالك، وجب ان تعامله كما لو كان الكلام في حقك، فاما ان تغير موضوع الحديث، او تدافع عن الشخص الذي يطعن في حقه، او تظهر عدم سرورك من حديثه هذا . وان كان الطاعن ارفع منك مقاماً، فعليك ان تحافظ على السكوت برزانة، ولا تشترك في خطيئة المتكلم، كما قال الروح القدس في سفر الامثال (٢٥:٢٣) : « ريح الشمال تنفي المطر، والوجه العبوس يبكم اللسان الثالب »

وبينما ألوم الطاعنين بصيت القريب لوماً عنيفاً، ادعو المطعون في حقهم والمظلومين ان لا يعبأوا بما يقال عنهم من الشر، قائلين مع القديس بولس : « اما انا فاقل شيء عندي ان يُحكم فيَّ منكم او من يوم بشري » (١ كور ٤:٣) . « الله هو المبرر » (رومة ٨:٣٣) . ولتكن تعزيتنا العظمى في اننا نسعى في ارضاء الله واتباع صوت ضميرنا . واننا لا نقدر ان نرضي جميع الناس، ولاسيما الاشرار الذين توبخ الفضيلة سلوكهم . فهم قد جعلوا من دأبهم مقاومة ارباب الفضل والفضيلة، واتخذوا الاثم شعارهم كما قال احد قوادهم ڤولتير : « فلنكذب . ولنكذب على الدوام . اذ لا بد ان يعلق شيء من الكذب » . هذه هي

خطتهم الدائمة مع الكنيسة ورجال الخير والقديسين . فلنقتدِ بفادينا الالهي الذي شتموه وحكموا عليه بالموت وصلبوه، وهو يقول : « يا ابتِ اغفر لهم . لانهم لا يدرون ما يعملون » (لو ٢٣ : ٣٤) . فهو يشجعنا على احتمال الجور والاضطهاد بقوله : « طوبى لكم اذا عيروكم واضطهدوكم وقالوا عليكم كل كلمة سوء من اجلي كاذبين . افرحوا وابتهجوا فان اجركم عظيم في السماوات » (متى ٥ :١١-١٢) . فالسيد المسيح قد احتمل مدة من الزمن، ولكن انتصاره ابدي . وهو يعدكم، اذا احتملتم في هذه الحياة القصيرة، ان يكون انتصاركم معه مدى الابد . آمين

لا تسرق

القمار

ان لعب القمار الذي اخذ ينتشر في ربوعنا انتشار الامراض الوبائية يبتدئ بصفة لهوٍ وتسلية، وينتهي غالباً بخراب البيوت . حتى كاد يفوق سائر الامراض العصرية . فهو حقيق بان نتكلم عنه في معرض كلامنا عن خطيئة السرقة . لانه يكون في اغلب الاحيان السرقة نفسها على انواع . ففيه سرقة المال وسرقة الوقت، واتلاف الصحة والشرف، وفقد الراحة العيلية . وقصارى الكلام هو من افسح السُبل الى الفساد وخراب الضمير ودمار البيوت وخسارة الدنيا والآخرة

اولاً — لعب القمار سرقة المال

اذا لم يكن لعب القمار سرقة في حد نفسه من حيث هو مقامرة، فهو كثيراً ما يعتمد على السرقة باسناد النجاح فيه الى الغش والمخادعة والاحتيال . ويسهل ذلك على قدر ما في المقامرة من حصة للاتفاق ويد الاقدار، فلا ينتبه المخدوع المسكين الى احتيال مخادعه الطامع بماله عن هذا السبيل . وذلك ليس من النادر فيؤثر هذا الاتفاق في دور اللعب، ويولي الكاسب مبلغاً لا يتنازل عنه الخاسر الا بحسرة . وكثيراً ما يُحرَم عليك ايها

الكاسب ان تستولي على مال زميلك في اللعب ولو برضاه . لان هذا الرضا غير كافٍ اذا كان العدل يقضي عليه ان ينفقه في سبيل آخر . فالمتموّل غير حرٍّ ان يستعمل ماله كما تشاء اهواؤه بدون نظام او حساب . لان المال لله أعطي لقضاء الحاجة، لغاية معقولة، لمنفعة النفس والجسد، ولاعانة الزوجة والاولاد وسائر اعضاء الاسرة، ولمساعدة الفقراء، ولبنيان المعابد ولانشاء مدارس ومياتم ومستشفيات، ولكل المنافع الروحية والزمنية، الى آخر ما هنالك من اعمال الرحمة والمشروعات الوطنية. فانت بانصرافك الى القمار - وما اكثر ما يصبح عادة يصعب جداً الاقلاع عنها - تنصرف عن اقدس واجباتك البيتية والاجتماعية والدينية الى اللهو، وتشجع غيرك ظلماً ان يسرف مثلك وقته وماله تبديداً وتبذيراً. وعلى ذلك فانت ملوم امام الله وامام ضميرك وأمام اهلك وذويك وامام الناس، سواء كنت في مقامرتك رابحاً او خاسراً. ولا تُعفى من التعويض ان لم يكن دائماً من قبيل العدل، فعلى الاقل من باب المحبة

ثانياً — لعب القمار سرقة الوقت

لا تسرق . وفي لعب القمار سرقة الوقت . فالوقت هو من اثمن ما وهبه الله لنا من خيرات الطبيعة، حتى انه لعظم قيمته قد تكون ثانية واحدة منه كافية لنا لربح سعادة ابدية . ولا يهبه الله لنا دفعة واحدة بل ثانية فثانية. فالثانية التي مرّت أفلتت

من حكمنا واصبحت في حساب الابدية . وما يتلو الثانية المعطاة لنا ربما لا تكون من حياتنا، لاننا غير كافلين لحظة واحدة من المستقبل . فالوقت ثمين الى درجة ان ثانية واحدة قد كانت كافية لان تخلّص اللص المصلوب الى يمين السيد المسيح، اذ قال له فيها: «اذكرني يا رب متى جئت في ملكوتك» (لوقا٢٣:٤٢). وفي لحظة قد يخطأ الانسان خطيئة ثقيلة فيفقد فيها نعمة الله ويضحي من ابناء اللعنة والهلاك الابدي

فالوقت وُهب لنا لنزيد بنوع متواصل ثوابنا في السماء، اذا تاجرنا بالوزنات المعطاة لنا . والحساب يكون عن كل فكر وعمل حتى عن كل كلمة بطالة كما قال السيد المسيح (متى ١٢ : ٣٦) . وأيّ أجر يحق يا تُرى لمن لا قيمة للوقت عنده، فيقضيه في اللهو والقمار ؟

اعطانا الله الوقت لنقوم بمطاليب الجسد الكثيرة اذ قد حُكم علينا بان نأكل خبزنا بعرق جبيننا . وقد أُعطينا الوقت لنغذّي عقلنا بالعلوم التي هي بحور لا قرار لها، وهي جميعها سُبُل الى الحقيقة غير المتناهية التي هي الله بالذات . وأعطيناه لنغذي إرادتنا وقلبنا بالفضائل والاعمال الخيرية التي تجعلنا شبيهين بالله مصدر كل خير . وما ابلغ ما جاء في المثل الانكليزي المعروف: «الوقت نقود وذهب»

نعم لا ننكر ان الانسان يحتاج الى الراحة . والراحة ضرورية لكل من يشتغل . فقد اعطى الله الليل للراحة ، وخصّص

لها في كل اسبوع يوماً ؛ وما انفع الراحة في الالعاب الرياضية والمشي في الهواء الطلق والتمتع بجمال الطبيعة والجنائن الغناء ! وما اجمل وقتاً نقضيه في الموسيقى وتلاوة الشعر وسائر الفنون الجميلة وقراءة الكتب والجرائد المفيدة والالعاب الشعبية التي تتعاطاها الاسر الادبية، وفيها اللهو النزيه والشريف ! على انه ان كان لا بدّ من لعب الورق، فما من شريعة تمنعه، وهو على سبيل التسلية واللهو، وبمثابة الحلويات في الاكل : فكما ان اكل الحلويات هو الجزء الثانوي في المآدب، هكذا يجب ان يكون وقت اللعب . فان كانت الراحة ضرورية، فوقتها محدود لتجديد القوى ولاستئناف العمل . ولكن اي عـذر يا ترى لمن يضيع الوقت نفسه باللهو واللعب، ويجعله شغلـه الشاغل يقضي جزءاً كبيراً من النهار، او يصل الليل باطراف النهار وهو لا يملّ من اللعب ؟ أفليس ذلك هو سوء استعمال الوقت بالذات ؟ اوليس ايضاً سرقةً من الوقت الثمين المُعطى لاتمام الواجب ؟ فان كان اللعب راحة، فقد اصبح والحالة هذه ضرراً للصحـة، وملاشاة للقوى العقلية والجسدية، وانكاراً للواجبات المقدسة الذاتيـة والعيلية والاجتماعية

ثالثاً — القمار مضر بالصحة

وكيف لا يضرّ لعب القمار بالصحة، ونحن نرى ممارسيه عُرضةً لكل تأثيرات المكسب والخسارة، وهم دائماً تحت ضغط

عوامل الفرح الشديد والحزن العميق ؟ فهم يشعرون بهذه التأثيرات مهما تظاهروا في كتمانها. لان الغاية الاولى عندهم من اللعب انما هي المكسب وحب المال، لا التسلية فقط. فترى اللاعب مقطّب الوجه كأنه إزاء خصم، وهو غير دارٍ بما يجري حوله. تمرّ ساعات النهار والليل، تتنازعه عوامل الرجاء واليأس. وكم تصفرّ للاعبين وجوه، وتهتز لهم أعصاب، فيما تنقضي ساعات الراحة في الليل، وينهزم الظلام ويلوح الفجر ! ? فتراهم حينئذ وقد ثقلت اجفانهم وضعفت اعصابهم الى حد انهم يتهيجون لاقل داعٍ، لمرور ذبابة امام وجوههم. وما اكثر عدد الذين استولت عليهم الامراض القلبية ! وما اكثر اللاعبين الذين يقضون نحبهم بسكتة قلبية !

لقد دُعيت بصفة كوني كاهناً عند انبثاق الفجر الى محل كان اللعب قد دام فيه الى الصباح. فاذا بي امام احد اللاعبين، وقد سقط باشتداد ازمة مرضية عليه، وهو مُجهد متعب، يستعين بالاشارة عن الكلام. ثم اعياه الكلام والاشارة معاً. فلفظ روحه بين يديَّ امام طاولة اللعب. وهل قليل عدد الذين ينتهي لعبهم باليأس والانتحار ؟

رابعاً – لعب القمار ماط للشرف

واي شرف يكون لمن يحاول ان يستولي على مال غيره بطرق غير مشروعة، ويضيع وقته في اللعب ناسياً اقدس واجباته، ومعرّضاً نفسه لاعظم مخاطر الفقر والانتحار ؟ ومن تراه في

المجتمع البشري مستعداً لان يزوّج ابنته بطيبة نفس لاغنى الشبان واجلهم اذا عرفه مصاباً بداء الميسر ؟ وماذا تكون تربيته لاولاده الذين ينسجون على منواله، « والابن ينشا على ما كان والده » ؟ ولماذا يمتنع الشبان عن الزواج باجمل البنات واتقاهنّ حين يعرفون ان امهاتهن مداومات على لعب القمار ؟ ذلك لان المثل السائر يحذّرهم قائلاً : « ألقِ الجرّة على فمها فالابنة تكون لأمّها » . فالوالدة تجني على ابنتها بسبب هذه العادة الشنيعة . وقد قال الكتاب المقدس : « الآباء اكلوا الحصرم واسنان البنين ضرست » (ارميا ٣١:٢٩ وحزقيال ١٨:٢)

خامساً — لعب القمار دمار البيوت

مَن ذا الذي شيّد بيتاً بلعب القمار ؟ ومَن يا ترى دام له الحظ بحفظ هذا البيت ؟ ذلك ما لم يُسمع به حتى الان . ولكن كم سمعنا عن اغنياء باعوا بيوتهم، واضمحلّت ثروتهم، وعرّضوا اولادهم للاستعطاء، ونساءهم لفقدان الشرف، بسبب انصرافهم الى القمار ! وكم بات اولادهم على الطوى، وقضت نساؤهم الليالي في البكاء والنحيب ! هذا، وقلب صاحب البيت اقسى من الصخر، يشعر بمرضه، ويعرف دواءه، ولا يريد ان يشفى منه . وقد سمعت احدهم يقول : « يا ليتني اموت واريح عائلتي » ! يشعر المسكين ببلواه ولكن عادة اللعب قتلت فيه العزيمة والارادة واذا كان خراب البيت بالرجال المقامرين، فماذا نقول عن

النساء المقامرات ؟ هذا ما لم نكن نسمع به في ما سلف من الزمان . ولكنه اصبح، يا للاسف، مما جرَّهُ عصرنا من الويلات ليزيد آلام الانسانية المتعذبة . فصرنا نرى نساء كثيرات من ربات البيوت وصاحبات الحسب والنسب، وقد بقي لهن شيء من مظاهر التقوى، يغادرن بيوتهنَّ صباحاً ومساء . ويجتمعن كل يوم في بيت ويعقدن حلقات للعب مدى الساعات الطوال، والغداء والعشاء على ذمّة الطهاة، وتدبير المنزل على همة الخدَم. اما اصلاح الثياب والاقتصاد فلا ذكر لهما . واذا وافى الاولاد من المدرسة لا يلاقون في البيت الا الخدم الذين يتولون تربيتهم . ومهما كان رجل هذه المرأة مثرياً، فهو صائر لا محالة الى الفقر والافلاس . وترى بعضهم يتحاشون عن معاكسة نسائهم حباً للسلام وخوفاً من ان يزداد بيتهم خراباً

واذا لعبت المرأة مع الرجال، فهناك الطامة الكبرى التي لا تقدير لعاقبتها؛ والله يعلم ما تجرّ هذه المعاشرات من الحريّة المتطرفة المبلّغة الى فقدان الشرف ودمار البيوت العاجل . فوا لهفاه على البيت المُبتلى أحد أربابه بداء القمار ! ووا أسفاه على تربية الاولاد، وعلى الراحة والسعادة المنزلية ! ويا لتعس الامة كلها المبتلاة بهذا الداء ! فقد نخرتْ من الفساد، ولا دواء لها الا بالفأس التي ترمي بالشجرة الناضرة الى الحضيض وتصبح طعماً للنار

هذه هي عاقبة القمار ! فان فيه اسراف اللاعب بماله ووقته ومواهبه الطبيعية والادبية . وفيه تعس الافراد والاَسر والمجتمع

الانساني. وكثيراً ما يكون خطيئة ثقيلة تجر مرتكبها الى فقدان النعمة وحرمان السعادة في الدارين . وقانا الله من هذه الاسواء وألهم رجال الحكومة في كل قطر ان يقاوموا هذا الوباء الوبيل . فتخفّ وطأة المصائب على وطننا التعس . فقد كفانا ما أصابنا من الارزاء . والله المُلهم الى كل خير



الوصية الثامنة

لا تشهد بالزور

شهادة الزور والكذب

الوصية الثامنة تحرّم علينا ان نجرح الحق، لان الله حق. وهو جلّ جلاله جعل في خليقته غير الناطقة مسحة من صفاته الحسنى، كما انه خلق الانسان على صورته كمثاله. فأعطاه عقلاً يدرك به الخليقة، ويرتفع من معرفتها الى ادراك الخالق. فمن يتكلّم خلاف منطوق عقله قاصداً الغش يخالف الحق، ويشوّه في نفسه صورة الله الذي هو الحق. فالعقل يغتذي من الحق، كما يغتذي القلب من الحبّ. والحق الذي هو ملك الله هو مُلك الجميع. فمن يخدع اخاه يهضمه اقدس حقه، ويضرّه، ويهينه. فالحق ركن الهيئة الاجتماعية واساسها في المعاملات. وعلى قدر ما يستبيح الناس تشويه الحقيقة يهينون الله الحق، ويدكّون صرح المجتمع البشري، ويضيعون الثقة المتبادلة بين الناس، ويصبح الاخ لاخيه ذئباً خاطفاً. لذلك عزمنا ان نتكلم في هذه المحاضرة على الوصية الثامنة التي تطلب منا احترام الحقيقة وتحرّم علينا اولاً شهادة الزور، ثانياً الكذب

شهادة الزور

اولاً – ما هي شهادة الزور

شهادة الزور اقرار مخالف للحقيقة امام المحاكم القضائية . فيكون مدعوماً بقسَم يؤكد قول الشاهد ويجعل شهادته مقبولة قانوناً

فالمحاكم لها حق في معرفة الحقيقة لتجري العدل، وهذا ما يطلبه الحق العام. ويُعفى من هذا الاقرار الكاهن المعرِّف الذي لا يعرف الجريمة الا بالاعتراف، فيحق له ان ينكر معرفة ما يُطلب منه، لان هذه المعرفة صادرة عن سرٍّ إلهي . وأمر الله فوق امر المحاكم البشرية . والتاريخ يذكر شهداء كثيرين من الكهنة ماتوا ضحية واجبهم . ويُعفى ايضاً من هذا الواجب والدا المتهم، فالطبيعة لا تأمرهما باعطاء شهادة مضرّة باولادهما، وكذلك الاولاد بالنسبة الى والديهم . ويستثنى ايضاً من وجوب اعطاء الشهادة الاطباء والمحامون ومَن تقتضي مصلحتهم الوعد بحفظ السرّ، ما لم يكن ايضاً السكوت مضراً بالجمهور او بشخص آخر . فالطبيعة والشريعة تأمر امثال هولاء بحفظ السرّ . ولا يوجد شريعة الهية او بشرية تامرهم بافشائه . الا انهم اذا كانوا معفين من اداء الشهادة في ما عرفوه، لا يحق ولا يجوز لهم ان يختلقوا اقوالاً لتشويه الحقيقة وتضليل القضاء.

ثانياً — فظاعة شهادة الزور

ان شهادة الزور مخالفة لله وللحاكم وللقريب . فان الله عارف الضمائر وفاحص القلوب والكلى ، يرى شاهد الزور داعماً كذبه بقسم يسند به شهادته . واي ذنب اعظم من ان يتخذ الشاهد الله نفسه شاهداً له لتعزيز نفاقه و كذبه بشهادة الحية ؟ ان الله جلّ جلاله قد يعاقب مثل هذا الكاذب عقاباً عاجلاً . ولكنه في الغالب يصبر برحمته على هولاء المنافقين الى يوم الحساب لعلهم يتوبون ويندمون

ولا حاجة الى ان نذكر ما في شهادة الزور من الاهانة للحكام الذين يقومون مقام الله في محاكمهم . وقد ذكرنا ان شهادة الزور مضرّة ايضاً بالقريب . لان هذا القريب ان كان بريئاً فالضرر واقع عليه اما في ماله او في شرفه او في حياته، ويوجب ذلك على شاهد الزور التعويض من قبيل العدل . ثم انه مهما كان في شهادة الزور من المنفعة للمجرم فالضرر واقع على الهيئة الاجتماعية التي لها حق على تمييز البريء من المجرم، وعلى اتخاذ الوسائل اللازمة لردع المجرم نفسه عن التمادي في فساده

وقد اظهر الله جلّ جلاله كرهه لشهادة الزور مراراً في كتابه الكريم . فقد جاء في سفر الامثال (٦ : ١٩) ان من الستة التي يبغضها الرب « شاهد الزور الذي ينفث الاكاذيب » . وجاء فيه

ايضاً : « الانسان الذي يشهد زوراً على قريبه انما هو مطرقة وسيف وسهم مسنون » (امثال ٢٥ : ١٨) . وقال النبي موسى في تثنية الاشتراع (١٩:١٦-٢١): « لا تشفق على شاهد الزور. فاصنع به كما نوى ان يصنع بأخيه : نفساً بنفس، وعيناً بعين، وسناً بسن ». وما أجمل ما قال القديس يعقوب في هذا المعنى (٣:٦): « اللسان نار وعالم من الاثم »

وقد عاقبت الشرائع البشرية كلها شاهد الزور بمنتهى الشدة. فمنها ما أمر بقطع اليد الممدودة لشهادة الزور. ومنها ما قضى بحكم الاعدام على شاهد الزور

الكذب

ان الوصية الثامنة تحرّم علينا الكذب مع شهادة الزور وها نحن نبحث اولاً في ما هو الكذب، ثانياً ما هي انواع الكذب، ثالثاً ما هي فظاعة الكذب

اولاً — ما هو الكذب

الكذب هو الكلام المخالف لفكر المتكلم بقصد خداع من يخاطبه . والخطاب لا يكون باللفظ فقط، بل قد يكون بالاشارة وبالكتابة وبالسكوت نفسه. فكل الطرائق التي يتخذها المتكلم بقصد الخداع تسمّى كذباً . وعلى ذلك فالخطيئة انما هي في نيّة المتكلم لا في الكلام نفسه . حتى ان الذي يتكلم خلافاً للواقع وتكون نيته سليمة، يسمّى مغروراً، او مخدوعاً، ولكنه لا يسمى كاذباً

ثانياً — انواع الكذب

من الناس من يكذبون على سبيل المزاح والتسلية، وليس في كلامهم ضرر . ومنهم من يكذبون لمنفعة القريب، ولا يقصدون في كلامهم غالباً الضرر لاحد . لكن الكذب محرّم بتاتاً سواء كان على سبيل المزاح او لمصلحة القريب . وفي كلتا الحالتين هو خطأ، وان كان هذا الخطأ اثماً خفيفاً

ومن الكذب ما هو اصطلاحي ولا يُغش به احد . فقد اعتاد كثيرون من التجار ان يقولوا : اننا نبيع هذا الصنف برأس المال وبسعر الفاتورة . فلا ينخدع احد بهذا الكلام . وليس في الروايات والحكايات الملفقة مثل كتاب ألف ليلة وليلة ما يُدعى كذباً . فهي احاديث غايتها الفكاهة ويعرف مطالعوها انفسهم انها وهمية وضعت للتسلية لا للخداع . كما ان من كان مُلزماً بحفظ السرّ ولم يكن مطالباً بقول الحقيقة لمن ليس له شأن بالاطلاع عليها . فمثل هذا له ان يقول مثلاً : لا ادري لمن يسأله، ولا يكون كاذباً

واما الكذب الذي فيه ضرر فالاثم يكون فيه على قدر ما يسبب الكاذب من الضرر، وعلى قدر ما تكون نيته رديئة . وهنا ننبه الى وجوب اصلاح الضرر في الكذب . فلا مغفرة للذنب الا باصلاح الضرر

ثالثاً — فظاعة الكذب

الكذب مخالف لناموس الطبيعة، وللغاية التي لاجلها وضع الله الكلام . فان الله وضع الكلام ليتفاهم الانسان مع قريبه ويكاشفه افكاره ليتمكن من الاخذ والعطاء معه . فاذا دخل الكذب والخداع في الكلام بطلت الغاية منه وخالف ناموس الطبيعة . فالكذوب يضرّ مخاطبه ويحتقره . لا بل ان الكاذب يحتقر نفسه ايضاً، ويحط من مقامه ومن شرف الانسانية فيه .

وهو مُحتقر وساقط في عيون الناس . حتى لا تجد احداً يرغب في ان يشارك الكاذب في أشغاله، او ان يكون له معه طَرَف معاملة . وكفى الكذوب اهانة ان يصفوه بمثل هذا اللقب . فلا شيء يفقد الثقة بين الناس مثل الكذب . لذلك لم يصل عصرنا الى هذا الحد من التعس والشقاء الا لفقده الصدق في طبقات الهيئة الاجتماعية كلها حتى اصبحت الحياة كلها تكلفاً وتصنعاً . ووافق عصرنا ما قاله احد الفلاسفة الاقدمين عن جيله في الفساد : « خادعون ومخدوعون . هذا هو العصر كله »

وما لنا الا ان ننظر الى ما حولنا لنرى الغش في المعاملات قائماً مقام الصدق . فعوضاً عن المحبة الصادقة التي اوصى بها السيد المسيح، اصبح الحديث مجاملة يسود فيها التمليق والمدالسة . فيتظاهر الناس بالمودّة والاخلاص، ولا تكاد تجد محلًا للمحبة الصادقة . فما اكثر الكلام الفارغ والكاذب في المجتمعات والزيارات ! وما اكثر الغش في المواعيد حتى في اقدسها ! حتى قلّ من يبرّ بوعده . فحيثما توجهت ترى الغش قائماً مقام الاستقامة : الغش في البيع والشراء، في الموادّ الضرورية للمعاش فضلاً عن الكمالية . ولا تكاد ترى من يظهر بمظهره الحقيقي بين الجمهور . فما اكثر من يتظاهرون بمظاهر الغنى اضعاف ما هم عليه ! واذا سمعتهم يتكلمون، فان كلامهم اكثر من اعمالهم بما لا يوصف . الغش في اللبس والازياء، حتى ضاع الجمال الطبيعي . الغش والرئاء حتى في العبادة والتدين . فما اكثر الذين يتظاهرون بالدين ! وما اقل

الذين يقرنون الايمان بالاعمال ! وما اعظم دينونة الذين يتخذون الدين وسيلة لمآربهم الشخصية ! فهل يبقى تمدين بعد هذا الرثاء ؟ وهل تبقى سعادة بعد هذا التباغض بين الناس ؟

ولكي نتخلص من هذه الفوضى التي ابتلي بها عصرنا ليس لنا الا مدرسة السيد المسيح الملك . فهو، كما علّمنا اساس المدنية في المحبة، يعلمنا اساس المعاملات في الصدق والاستقامة، ويقول لنا : فليكن كلامكم النعم نعم واللّا لا وما زاد على ذلك فهو من الشرّير (متى ٥ : ٣٧) . وهو الذي حذّرنا من الكذب، فدعا الكذوب ابن ابليس (يوحنا ٨:٤٤) . وقد قال القديس اوغسطينس : « من ينكر الحق ينكر المسيح نفسه »

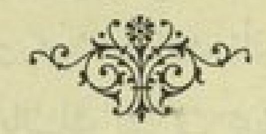
وعلى ذلك فكل من اراد ان يكون من تلاميذ السيد المسيح يجب عليه ان يكون صادقاً . وكل من اراد ان يكون ابناً لله يجب ان يحافظ على شرف منزلته ليستحق ان يُدعى ابناً للآب السماوي . وكل من اراد ان يكون عضواً نافعاً في جسم الانسانية يجب ان يتجنب الكذب الذي يدكّ صرح المجتمع البشري . فالصدق شرف للانسان، وركن وثيق في المعاملات، وعامل ضروري لنجاح الانسانية . والفرد كالأمة يعلو ويسفُل في نظر الله والناس على قدر استقامته او كذبه . ولنا في سيرة السيد المسيح الملك ابلغ مثال على الصدق . فما احرى ان نختم به كلامنا . فقد ضحّى المسيح الملك بحياته ليشهد للحق . واراد حمل الله ان يرفع خطايا العالم، وكانت شهادته الصادقة بانه ابن الله

وانه المسيح الملك واسطة للحكم عليه بالموت

« فقام جمهورهم ومضوا به (اي بيسوع) الى بيلاطس وطفقوا يشكونه قائلين : انا وجدنا هذا يُفسد أمتنا ويمنع من اداء الجزية لقيصر ويدّعي انه المسيح الملك . فسأله بيلاطس قائلاً : هل انت ملك اليهود ؟ فاجابه قائلاً : انت قلت » (لوقا ٢٣ : ١_٣)

وسأله رئيس الكهنة وقال له : « اقسم عليك بالله الحي ان تقول لنا هل انت المسيح ابن الله المبارَك ؟ فقال له يسوع : انا هو . انت قلت . وايضاً اقول لكم انكم من الآن ترون ابن البشر جالساً عن يمين القدرة وآتياً على سحاب السماء . حينئذٍ شق رئيس الكهنة ثيابه وقال : لقد جدَّف فما حاجتنا الى شهود ؟ ها انكم قد سمعتم تجديفه فماذا ترون ؟ فأجابوا وقالوا : انه مستوجب الموت » (متى ٢٦ : ٥٩_٦٦ ومرقس ١٤ : ٥٥_٦٤)

فقد قبل السيد المسيح الموت ليشهد للحق بأنه يسوع الملك وانه المسيح ابن الله الحي . فما أجمله مثالاً نختم بـه كلامنا عن وجوب اتباع الصدق !



صلاة الى يسوع الملك

هلم نسجد ونركع للمسيح ملكنا والهنا

اسجد لك ايها السيد المسيح ملك الدهور، ملك الخليقة بأسرها، لانه بك كان كل شي٠٠ وملك الجنس البشري بسرّ الفدا، والملك الديان الرهيب الذي سيحاسب في آخر الازمان كل انسان بحسب اعماله . فانت الكائن امس واليوم والى منتهى الدهر

انت الكلمة الكائن منذ البدء، الاقنوم الثاني من الثالوث الاقدس، ابن الله الوحيد المولود من الآب قبل كل الدهور . نور من نور . إله حق من إله حق . المساوي للآب في الجوهر

قد أردت لاجل خلاصنا نحن البشر الخطأة ان تفي وفاء تاماً عن الخطيئة لابيك الازلي المهان . فقبلت ان تصير جسداً وتحلّ فينا . وتصير حملاً لترفع خطايا العالم . وقد وعد ابوك الازلي ابوينا آدم وحواء بعد خطيئتهما بمجيئك، بانك ستأتي يوماً وتسحق رأس الحية التي كانت تمثل الشيطان

وقد كتب الانبياء تفاصيل سيرتك على الارض قبل مجيئك: فعرّفونا انك ستكون من نسل سام وابرهيم ويهوذا وداود . وانبأ يعقوب عن وقت مجيئك بأنك تأتي بعد زوال المُلك من يهوذا . وانبأ حجاي بانك تشرّف بحضورك هيكل زربابل . وحدّد دانيال من ايامه الى مجيئك سبعين اسبوعاً من السنين .

واخبرنا اشعيا بانك ستكون ابن العذراء . وافادنا حبقوق انك ستلد في بيت لحم . وذكر اشعيا ما تجترح من العجائب . ووصف زكريا كيفية دخولك الاحتفالي الى اورشليم . وعرّف داود واشعيا كل تفاصيل آلامك بما فيه العطش وشرب المرارة والخل وثقب يديك ورجليك بالمسامير، وصراخك على الصليب : « إلهي إلهي لماذا تركتني » . وانك بعد الموت لن ترى فساداً، بل تقوم وتصعد الى السماء، وتجلس عن يمين الآب وتجعل اعداءك موطئاً لقدميك . وقد افهمنا اشعيا الغاية من آلامك اذ قال : كلنا ضللنا كالغنم ... فالقى الرب عليك اثم كلنا . وبجراحك قد شفينا (اشعيا ٥٣ : ٦ و٥) . وقال لنا يوحنا المعمدان : انك انت حمل الله رافع خطايا العالم . وصرّحت انت لنا بجلاء قائلاً : خذوا فكلوا . هذا هو جسدي الذي يكسر لاجلكم لمغفرة الخطايا ... (١ كور ١١ : ٢٤)

وعلى حسب تلك النبوءات السماوية قد اتيت ايها السيد المسيح وعرّفتنا بصراحة الوهيتك . فقلت لنا انك الطريق والحق والحياة . وانك قبل ابرهيم انت كائن . وانك انت والآب واحد . وختمت بموتك شهادتك بانك ابن الله الحي وانك المسيح الملك

ولم تكتفِ بالاقوال بل اثبت شهادتك بالعجائب والنبوءات . وقلت ان لم اعمل اعمال ابي فلا تصدّقوني . فعملت العجائب بقدرتك الالهية، وأمرت العناصر فأطاعتك كإله، وامرت الاموات بسلطتك الالهية فقاموا . وانبأت الجميع بأنك ستقوم من بين الاموات،

فبيلاطس ورؤساء الكهنة وفرقة كبيرة من الجنود لم يقدروا ان يمنعوا قيامتك . فظهرَتْ بهذه الاعجوبة الوهيتك كالشمس في رائعة النهار

وكل من يطالع انجيلك باخلاص ايها المسيح الملك يرى لاهوتك ساطعاً في كل صفحاته فيقول مع الاعداء : « ما نطق انسان قط بمثل ما نطق هذا » (يوحنا ٧ : ٤٦) . ويهتف : « لقد أحسن في كل ما صنع ! » (مرقس ٧:٣٧) ويسمعك تقول بحق : « من منكم يثبت علي خطيئة ؟ » (يوحنا ٨:٤٦)

وبعد ان خلّصتنا علمتنا تعاليم فيها سعادة البشرية . فأفهمتنا ان الله ابونا . واننا كلّنا اخوة . وطلبت من الكبير ان يساعد الصغير، ومن الغني ان يساعد الفقير . وهدّدت بالدينونة الاخيرة من لم يساعد البائسين . واعطيتنا وصية جديدة : ان نحب بني جنسنا جميعاً اقرباء كانوا ام اعداء . وعلّمتنا فضائل الزهد والطهارة والتواضع والاستقامة، بحيث تصبح حياتنا نعيماً حتى على الارض، اذا اتبعنا تعاليمك . وبعد ان اشتريتنا بدمك الكريم وجعلتنا ابناءك، وهبت لنا حياة النعمة بالمعمودية، وغذوتنا بجسدك ودمك الاطهرين . ولا تزال تواصل الينا نعمك بواسطة الاسرار، الى ان تجمعنا معك في السماء في مقرّ السعادة

فأنت المسيح الملك الذي انبأ به الانبياء . وانت المسيح الملك في مجيئك على الارض وفي مدة مكوثك بيننا . وانت لا تزال المسيح الملك على مدى الاجيال: فانك وعدت رسلك بان

تبقى معهم الى منتهى الدهر . انت مع رسلك الذين بلا مال ولا جاه ولا علم قد جابوا المسكونة باسرها فبشروها بتعاليمك، وأسروا الى حبك القلوب المستقيمة الطالبة الخلاص

انت مع الشهداء الذين منذ الاجيال الاولى الى عصرنا الحاضر فضلوا محبتك والايمان بك على كل ملذّات الدنيا وضحّوا بحياة وقتية ليتمتعوا معك في حياة ابدية

انت مع القديس بطرس وخلفائه الاحبار الرومانيين الذين تسلّموا مفاتيح ملكوت السماوات، وأُمروا بان يرعوا خرفان المسيح وغنمه، فيبعدوا عنها السمّ القاتل، ويرعوها في مراعي الخلاص . ومهما قاومتهم الجحيم، فان ابوابها لا تقوى عليهم

انت مع الرسل وخلفائهم الاحبار والكهنة والمرسلين معاونيهم، تساعدهم على نشر تعاليمك الصافية، وعلى بث الفضائل المسيحية . وبقوتك لا يزالون نور العالم بتعاليمهم، وملح الارض بامثالهم

انت مع الرهبان والراهبات الذين فضلوا الفقر الاختياري ليغتنوا بنعمتك . وأسروا حرّيتهم ليتحرّروا من قيود الخطيئة . وضحوا بملذّاتهم ليكفلوا النعيم معك مدى الابدية

انت مع كل الذين وقفوا حياتهم على خدمة القريب في الاهتمام باليتامى والمرضى والعجز وتعليم الجهال ومؤاساة الانسانية المتعذبة . لانك وعدت بان كل ما يفعلونه باحد اخوتك هولاء الصغار يكون موجهاً اليك

انت مع العلمانيين والعلمانيات الذين يتبعون طرق الفضيلة،

ويقومون بواجباتهم البيتيـة، ويحافظون على التقوى منتظرين اجرهم منك في السماء

انت مع الممالك والشعوب التي تتبع تعاليمك وتحفظ شرائعك . فهي ترتفع وتترقى على قدر ما تتبع شريعتك . وتنحط وتهبط بابتعادها عنك

انت مع كل نفس صالحة صادقة تريد ان تتبع صوتك وصوت ضميرها، وتحافظ على ناموس الانسانية والشرف . فانت لا تهمل احداً من اي دين كان، ان كان صادقاً في خدمتك

انت ملك في السماء بمجدك وبهائك . يفرح برؤيتك الملائكة والقديسون، ويمجدونك قائلين : قدوس قدوس قدوس . السماء والارض مملوءتان من مجدك

انت ملك على الارض برحمتك لا تريد موت الخاطئ بل ان يرجع ويحيا . وانت مستعد ان تقبل توبته ولو في آخر لحظة من حياته

انت ملك على الجحيم بعدلك . فالشيطان يؤمن بك ويرتعد . ويقرّ بأنك إله عادل . وانه يستحق العذاب لاجل خطيئته

انت الملك الديان الرهيب . وقد وعدت بانك ستدين الاحياء والاموات . وقلت انها ستأتي ساعة يسمع فيها الاموات صوت ابن الله والذين يسمعون يحيون . وقلت انك ستأتي على سحاب السماء بمجد وجلال عظيمين، وتكافئ الابرار بسعادة ابدية، كما تعاقب الاشرار بعذاب ابدي

فأنت الآن ايها الملك الالهي، إملِكْ على عقلي بنورك، وعلى قلبي بحبك، وعلى ارادتي بشريعتك . إملك على كل الامم والشعوب

ايها الملك السماوي، ليتقدّس اسمك . ليأتِ ملكوتك . لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الارض . آمين



فهرس

صفحة

